

# Al Muntada

A Cultural Journal

Published every four months by

The Arab Thought Forum (ATF)

Amman - Jordan



# المنتدى

مجلة فكرية ثقافية فصلية

منتدى الفكر العربي

عمان - الأردن

العدد السنوي الممتاز (عدد مزدوج ٢٨١-٢٨٢)

المجلد ٣٤: خريف - شتاء ٢٠٢١

## الهيئة الاستشارية للمجلة

أ. د. عدنان بدران

الأردن (الرئيس)

د. صلاح الدين الزين

السودان

أ. د. صلاح جرار

الأردن

د. عبد الحسين شعبان

العراق

د. وجيهة البحارنة

البحرين

د. يوسف الحسن

الإمارات



لوحة الغلاف

للتشكيلية الأردنية

غدير سعيد حدادين

رئيس التحرير

د. محمد أبو حمور

مدير التحرير

كايد هاشم

التحرير اللغوي

محمد سلام جميعان

التصميم والإخراج الفني

ميساء خلف

اعتُمدت مجلة «المنتدى»، ضمن قاعدة بيانات وملخصات الدوريات العلمية العالمية، في المركز الإقليمي للعلوم والتكنولوجيا في شيراز/إيران، وذلك وفقاً للمؤشرات العلمية المتبعة لدى مركز المراجع الإسلامية الدولية، بحسب ما أقرته المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) في المؤتمر الرابع لوزراء التعليم العالي (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٨)، وهي مؤشرات تتعلق بتصنيف الأداء البحثي في البلدان الإسلامية.



الآراء الواردة في المجلة لا تُعبّر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي

## إرشادات مهمة لكتاب المجلة

- تستقبل المجلة الدراسات المتعمقة والمقالات الفكرية والمراجعات النقدية الرصينة لكتب عربية وأجنبية صادرة حديثاً.
- يُعد أعضاء المنتدى حكماً مراسلين للمجلة في أقطارهم.
- يسرّ المجلة أن تنشر تقارير أعضاء المنتدى عن أنشطتهم الفكرية والثقافية؛ إضافة إلى تقاريرهم عن أي أحداث مهمة يتابعونها في أقطارهم.
- تخضع كل مساهمة للتقييم.
- يُشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشرين صفحة (مقاس A)، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
- يُرجى إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
- يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر إلى أية جهة أخرى.
- يُرجى من الكاتب ذكر عنوانه، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس)؛ كما يُرجى موافقتنا بسيرته الموجزة.
- يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عناية خاصة. وستعتذر هيئة التحرير عن قبول المواد التي لا يتوافر فيها الحد الأدنى من العناية باللغة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات الملائمة على الموضوع المقدم.
- تعذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يُمنح الكاتب مكافأة رمزية على مساهمته.

دعوة للمشاركة بالدراسات والبحوث المحكمة في المجلة (ص ٣٢٦)

Arab Thought Forum (Atf)

P. O. Box: 1541

Amman 11941 Jordan

Tel: (+962- 6) 5333261/5333617/5333715

Fax: (+962- 6) 5331197

منتدى الفكر العربي

ص ب ١٥٤١

عمان ١١٩٤١ الأردن

تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ / ٥٣٣٣٧١٥ (٦-٩٦٢+)

ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

E- mail: [atf@atf.org.jo](mailto:atf@atf.org.jo)

URL: [www.atf.org.jo](http://www.atf.org.jo)

[facebook.com/atf.jordan](https://www.facebook.com/atf.jordan)

# المحتويات

مجلة المنتدى - العدد السنوي الممتاز (عدد مزدوج ٢٨١-٢٨٢) خريف - شتاء ٢٠٢١

- مدخل (رئيس التحرير) ..... ٥
- قطفوف دانية (مقالان لسمو الأمير الحسن بن طلال)
  - عالمية القيم وتعظيم المشتركات الإنسانية ..... ٩
  - التضامن ويقظة الضمير الإنساني ..... ١٣
  - وثيقة مبادرة التضامن والتكافل الإنساني ..... ١٩
- دراسة العدد: في مئوية تأسيس الدولة الأردنية (١٩٢١-٢٠٢١)
  - المغفور له الملك الحسين بن طلال: الاستثناء في الاستثناء (أ.د. عبد الحسين شعبان) ..... ٢٧
- محور العدد: الاقتصاد الاجتماعي والاستثمار وتداعيات جائحة كورونا
  - (١) البعد الاقتصادي والتنموي في العالمين العربي والإسلامي في ضوء المؤشرات العالمية حول جائحة كورونا (د. محمد أبو حمور) ..... ٤٥
  - (٢) الاقتصاد الاجتماعي ودوره في تخفيف الأزمات والجوائح (أ.د. علي محيي الدين القره داغي) ..... ٥٣
  - (٣) الضمان الاجتماعي: نحو نموذج مُحدَّث للتعامل مع الأنماط المستجدة من التحديات (د. حازم الرحاحلة) ..... ٦٣
  - (٤) صندوق استثمار أموال الضمان الاجتماعي: توجهات استراتيجية لاستثمارات آمنة (خلود محمد السقاف) ..... ٦٩
  - (٥) الاستثمار في الأردن: أفق التحديات والمتغيرات (ريم بدران) ..... ٨٥
  - (٦) جائحة كورونا وتداعياتها من منظور الاقتصاد الإسلامي (د. أنوار أبو دلو) ..... ٩١
  - (٧) تطبيقات الاقتصاد السلوكي في ظل جائحة كورونا (حالة الأردن) (د. زايد نواف الدويري) ..... ١٠٩
  - (٨) وحدة التوكز السلوكي (حالة الأردن): دراسة اقتصادية إسلامية تطبيقية (أ.د. إبراهيم عبد الحليم عبادة) ..... ١٢٥

## • دراسات ومقالات

- القدس والمقدسات: تمكين المرجعيات وتحديث الخطاب (أ.د. مهدي عبد الهادي) ..... ١٤٥
- بيت المقدس بعيون أندلسية ومغربية (د. فريال العلي) ..... ١٦١
- النشر في الوطن العربي .. إلى أين؟ (أ.د. خالد عزب) ..... ١٦٩
- الأدب الرقمي وضبابية الحدود بين المبدع والمتلقي (مجدولين أبو الرب) ..... ١٧٩
- بماذا خدمت مواقع التواصل الاجتماعي؟ (رلى هاني السماعيل) ..... ١٨٧

## • دراسات نقدية

- التشكيل البلاغي الحجاجي في نص «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي (نادية الزقان) ... ١٩٣
- أديب صعب في «حيث ينبع الكلام»: الشعر الصافي من منابعه العميقة (د. مرغريت غالي) .... ٢١٥

## • اقتصاد وتنمية

- الأمن المائي العربي: الواقع والمحددات (أ.د. حميد الجميلي) ..... ٢٢٥

## • كتب ومراجعات

- ١- مفاتيح التراث: مشروع معجمي لتوثيق التراث الحضاري والثقافي عند العرب (أ.د. محمد عبيد الله) ..... ٢٥٥
- ٢- إشكاليات التعليم الإلكتروني وتحدياته في ضوء جائحة كورونا (قراءة سوسيوولوجية في جذليات التفاعل والتأثير) (للدكتور علي أسعد وطفة) عرض وتقديم: د. سعيد بو عيطة ..... ٢٦٣
- ٣- دور الصحف والمجلات الثقافية في الحركة الفكرية الأردنية (أ.د. جودي بطاينة) ..... ٢٧١
- ٤- إربد .. مرايا الصبا: ذكريات من الخمسينيات والستينيات (للأستاذ الدكتور نبيل حداد) عرض ومراجعة: سمير أحمد الشريف ..... ٢٧٦
- ٥- التربية: وظيفة - مهنة - رسالة (مسيرة حياة تربوية) (للأستاذ الدكتور عزت جرادات) قراءة ومراجعة: نداء الخزعلي ..... ٢٨٠

## • رسائل ثقافية

- رسالة مصر
- الكيميائي الذي درّس التاريخ وبحث في التنمية (حوار مع الأستاذ الدكتور حامد عيد) حاورته: شيرين نبيل ..... ٢٨٦
- رسالة الأردن
- حكايات المدينة «وصلت الكهرباء»! .. قصة دخول الكهرباء إلى مدينة عمان (نداء الخزعلي) ..... ٣٠٦

## • وثائق

- إعلان مبادرة القيادات الدينية والعلماء والمفكرين للعمل على حماية المصلين ودور العبادة ..... ٣١٩
- بيان منتدى الفكر العربي بمناسبة المولد النبوي الشريف ..... ٣٢٤
- دعوة للمشاركة بالدراسات والبحوث المحكمة في المجلة ..... ٣٢٦

## في الاقتصاد الاجتماعي والتكافل الإنساني

د. محمد أبو حمور

الأمين العام للمنتدى الفكر العربي

(رئيس التحرير)

يعكس هذا العدد السنوي الممتاز جوانب مختلفة من أنشطة المنتدى واهتماماته البحثية، وكذلك النتاجات الفكرية لعدد من أعضائه إلى جانب مساهمات كُتَّاب وباحثين ومتقنين من الوطن العربي في موضوعات متنوعة تشمل مجالات ثقافية واجتماعية واقتصادية وتنموية، يتصدرها محور العدد الذي أفردناه لموضوع «الاقتصاد الاجتماعي والاستثمار في ظل جائحة كورونا»، من منطلق اعتباره أولوية بحثية في ضوء تحليل ما كان من تجربة مواجهة آثار جائحة كورونا، وتأطير النظرة المستقبلية لدور الاقتصاد في تجاوز تلك الآثار ومعالجتها بشكلٍ شامل، وفي إطار متابعة البحث في الجوانب المتعلقة ببلورة رؤية عربية وإسلامية لمواجهة تحديات التنمية، وفي ضوء تجربتنا كجزء من هذا العالم في التعامل مع تحديات فرضتها جائحة كورونا، وأهمها تقوية ركائز التنمية المستدامة بعد أن دخلنا عقد تحقيق الأهداف السبعة عشر التي توافق عليها قادة العالم وتبنتها الأمم المتحدة في خطتها للتنمية المستدامة ٢٠٣٠، لإيجاد المزيد من أسس العدالة والعيش الكريم والحد من الفقر وسوء توزيع المكتسبات التنموية، في عالم عانى طويلاً من الأزمات ولا يزال يخسر من الكثير من هدر موارده وطاقاته البشرية بسبب ذلك.

لعل منتدى الفكر العربي من أكثر المؤسسات الثقافية والفكرية العربية التي استجابت لتحديات جائحة كورونا منذ البدايات؛ فخصص جزءاً مهماً من أنشطته لبحث مختلف تداعيات هذه الجائحة؛ على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والحقوقية الإنسانية والتعليمية، والتنمية بشكل عام. وهناك أكثر من عشرة لقاءات حوارية متخصصة عقدها المنتدى منذ بداية الجائحة، توجتها مبادرة رئيس المنتدى وراعيه صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال المعظم - حفظه الله ورعاه - التي تم إطلاقها على مستوى دولي بما فيه العالم الإسلامي في شهر رمضان المبارك، من العام الماضي (٢٠٢٠)، بمشاركة قيادات وعلماء واقتصاديين وخبراء في التنمية من الدول العربية والإسلامية، وحملت عنوان «التضامن والتكافل الإنساني».

وقد أكدت هذه المبادرة المسؤولية الإنسانية والأخلاقية المشتركة تجاه تفاقم المعضلات الاجتماعية والاقتصادية جراء اجتياح وباء كورونا لعالمنا، ومواجهة التحديات والأخطار التي تهدد البشرية ومستقبلها، ودعت إلى التشبيك مع المؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية والأفراد في هذا الصدد، من منطلق مشاركة الجميع في مقاومة الوباء وتأثيراته البالغة في منظومات الحياة وعلى الكرامة الإنسانية والاقتصاديات في العالم.

ولا شك أن أهم ما أوضحت هذه المبادرة هو الحاجة إلى تفعيل الجهود وبلورة رؤية عملية لمأسسة مشروع «عالمية الزكاة»، من خلال إنشاء مؤسسة عالمية للزكاة والتكافل الإنساني، لتوزيع الموارد بصورة تكفل مواجهة التحديات التي فرضتها، وغيرها من الأزمات التي تراكمت في عالمنا الإسلامي بسبب تشتت الموارد، والتي قدر العلماء بأنها تزيد على ٤٠٠ مليار دولار في العالم الإسلامي للعام ٢٠٢٠.

يعني ذلك أن علينا ألا نتعامل مع الحلول الجزئية على الصعيد الاقتصادي بمعزل عن النظرة الواقعية الشاملة، واستحضار التكامل المعرفي بين العلوم الطبيعية والإنسانية، ليجاد التوازن بين الإنسان والمعرفة والطبيعة، وهو ما أكدته المبادرة، وما يتجه العالم إلى العمل به الآن لإعادة بناء الثقة والعمل بروح واحدة.

ويوضح تقرير لصندوق النقد الدولي في نيسان/ إبريل (٢٠٢١) أن مواجهة جائحة كورونا ما تزال تعاني من التباين في مسارات التعافي الاقتصادي بين البلدان والقطاعات، مما يتطلب الاهتمام بقدرة السياسات الاقتصادية للحد من الضرر المترتب على الأزمة الحاصلة، رغم أن توقعات بعض المؤسسات الدولية مثل توقع تقرير لصندوق النقد الدولي بشأن النمو العالمي يشير إلى أن هذا النمو ستراجع نسبته من ٦٪ في عام ٢٠٢١ لتصبح ٤،٤٪ في العام الحالي ٢٠٢٢.

ولا تزال مجمل التقارير الدولية أيضاً، تحذر من أن الآفاق محاطة بقدر كبير من عدم اليقين، ولا تزال هناك مخوفات من الركود الناجم عن الجائحة، ومن المتوقع أن تعاني اقتصادات الأسواق الصاعدة والاقتصادات النامية من آثار أكبر مما ستعانيه الاقتصادات في العالم المتقدم، ولا سيما على صعيد أسواق العمل والبطالة وما ينعكس جراء الركود على معدلات الفقر والنمو. فالمواجهة لا تتعلق فقط بنتيجة المعركة بين الفيروس واللقاحات فقط على أهمية الجانب الصحي، وإنما تشمل مختلف المجالات المشار إليها.

مقالان لسمو الأمير

الحسن بن طلال

عالمية القيم وتعظيم المشتركات الإنسانية

التضامن ويقظة الضمير الإنساني

و

مبادرة التضامن والتكافل الإنساني





## عالمية القيم وتعظيم المشتركات الإنسانية

الحسن بن طلال\*

تلتقى الأمم والشعوب على جوامع قيَمية مشتركة من شأنها أن تؤسس لروابط وعلاقات راقية تخدم البشرية بأجمعها. وتعدّ القيم الأخلاقية على وجه التحديد من أهم القيم التي يجتمع على تعظيمها الناس في مختلف العصور والدهور.

تحثنا القراءة المعمّقة للدين والدنيا على تعظيم الجوامع والمشاركات بين الناس وذلك من خلال أركان ثلاثة تبدأ من الإيمان بوحدة الخالق، ثم الإيمان بوحدة الأصل البشري، وتنتهي بوحدة المعيار الأخلاقي في التعامل مع الناس، وتتوضح هذه الأركان الثلاثة في قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى (رواه الترمذي).

لا يمكن للبشرية أن تواجه التحديات التي تجتاح كوكبنا كالأوبئة والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية دون التعاون والتضامن، وهذا يستدعي تعزيز مفهوم القيم الإنسانية المشتركة. وخلافاً لما قد يعتقد البعض فإن القيم الإنسانية المشتركة بمعناها العميق لا تُضعف الشُّعور بخصوصية المعتقدات الدينية، ولا تناقض الهوية الثقافية أو الوطنية. فمهما اختلفت الأمم والشعوب في عقائدها وثقافتها، فلا بد من وجود مشتركات تجمع بينها.

\* رئيس منتدى الفكر العربي ورأيه.

إنَّ مهمة الدين الأساسية هي تكميل وتقويم مكارم الأخلاق. ونستجلي ذلك بوضوح في تأكيد القرآن الكريم على وحدة القيم الأخلاقية بين الناس من خلال تحريم الاعتداء على النفس البشرية، واعتباره الاعتداء على نفس واحدة هو بمنزلة الاعتداء على الناس جميعاً، وكذلك فإن الإحسان إلى نفس واحدة هو إحسان للناس جميعاً.

تتكثف في شهر رمضان معاني القيم الإنسانية بمعناها الأرحب، فرمضان هو شهر الرحمة والجود والتكافل والمواساة. وتكفيها هنا الإشارة القرآنية إلى اتصال تشريع الصيام بالشرائع السابقة التي تنزلت على أنبياء الأمم الأخرى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فهي تشعرنا بأهمية استحضار المشتركات الدينية والقيمية بين الأمم وأثرها في إقامة شعائرها الدينية الخاصة، والتي تهدف في نهاية المطاف إلى غاية واحدة تتمثل بتزكية النفس وتحقيق الرقي الروحي والأخلاقي.

تُعزز القيم المشتركة مفهوم الأخوة الإنسانية، ونجد هذا المفهوم جلياً في رسالة البابا «كلنا إخوة» كما في قوله: «تعالوا نحلم باعتبار انتمائنا إلى إنسانية واحدة، وباعتبارنا عابري سبيل خلقنا من اللحم البشري نفسه، وأبناء لهذه الأرض نفسها التي تؤويها جميعاً، وكلٌّ منا يحمل غنى إيمانه أو قناعاته، وكلٌّ منا بصوته الخاص، وجميعنا إخوة. فالأخوة الإنسانية قيمة عالمية وحقيقة تاريخية وإيمانية في الوقت ذاته»، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بأجمل صورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) فالإنسانية التي صدرت من نفس ورحم واحدة جديرة بأن تجتمع بإرادتها ووعيتها من جديد. وهنا أقول إنَّ الزكاة هي أوضح تعبير عملي عن الأخوة الإنسانية وما

تحويه من معاني التضامن والتعاطف والتكافل، بالإضافة إلى كونها تجسيدا لمفهوم الرحمة الذي هو غاية الرسالات والشرائع السماوية.

من القيم التي تلتقي عليها البشرية قيمة الكرامة الإنسانية، وهي قيمة تستظل في رحابها قيمة الإنسان وتتأسس حولها أخلاقيات الحوار وروح الحوار. فكرامة الإنسان هي كرامة أصلية تستمد معناها من كونها هبة من الله للجميع. وهذا يعني أن التمييز بين الناس على أساس اختلاف العرق أو اللون أو المعتقد، هو بمنزلة إساءة وانتقاص لتلك الكرامة الأصلية التي أنعم الله بها على الناس جميعاً.

إن الاختلاف بين البشر في الثقافة أو المعتقدات لا يمنع من إقامة علاقات أخوية تعزز التضامن والوثام بينهم. فالاختلاف مدعاة للتعارف والتعاون على فعل الخير والابتعاد عن الإثم والعدوان ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢). والتعاون يستلزم بناء الثقة وتعزيز مفهوم الخير العام، وهذا يؤسس لبناء الاستقرار ويحد من إمكانية حدوث النزاعات والحروب بين الأمم والشعوب. ونستذكر هنا حلف الفضول الذي يمثل نموذجاً راقياً للتعاون بين المجتمعات البشرية، وهو يؤكد رقي القيم الأخلاقية التي كانت عند العرب قبل الإسلام ورفضهم للظلم، وقد أقر النبي عليه الصلاة والسلام ما جاء في هذا الحلف بقوله: «لو أني دُعيت به في الإسلام لأجبت» (سيرة ابن كثير).

ومن القيم المشتركة التي ترتقي بها المجتمعات البشرية قيمة التعددية والتنوع، وهي قيمة تنسجم والسنن الاجتماعية التي خلق الله الناس عليها، فالخالق تعالى هو الذي أراد أن يكون الناس مختلفين؛ لأن ذلك يحدث بينهم حراكاً معرفياً يرتقى بهم نحو التعارف والتعاون والتسابق في الخيرات، والتي تمثل بمجموعها غاية الأديان والشرائع.

تُسهم قيمة التعددية في تقبل الاختلاف وشحن طاقات الإنسان ودفعه نحو التنافس في عمل الصالحات واستباق الخيرات ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

شهدنا في العقود الأخيرة اهتزازاً مؤرقاً في قيمة التعددية وتصاعداً للمشاعر العدائية والانقسامات الطائفية بين أبناء المجتمعات الواحدة في عالمنا العربي! وهنا أقول لا معنى للتعددية الدينية دون احترام معتقدات الآخرين وحقهم في الإيمان والعيش وفقاً لتلك المعتقدات. ولا بد أن يرافق هذا الاحترام تشريعات تحمي حقوق أتباع الأديان في ممارسة تعاليم دينهم.

اشتملت الحضارة العربية الإسلامية على تنوع ثقافي وعرقي ولغوي، امتزج فيه العرب بالأتراك والبربر والفرس والأكراد والهنود، وغيرهم من الأعراق والقوميات. وفي الوقت الذي كان اليهود يعانون فيه من التمييز والإقصاء في أحيائهم المعزولة (الجيتو) في أوروبا، كان العلماء اليهود في العراق ومصر والمغرب والأندلس جزءاً من الحركة العلمية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، وهذا يؤكد أن قوة الشعوب وراقيها إنما يكون في قدرتها على تجسيد قيمها الأخلاقية في واقعها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وفي نهاية المطاف لا يمكننا أن نستشعر عالمية القيم دون العمل على مساندة الشعوب المظلومة والواقعة تحت جحيم الاحتلال كما هو حال أهلنا في القدس، وأشيد هنا بموقف فضيلة شيخ الأزهر الذي انتقد فيه اقتحام ساحات المسجد الأقصى المبارك، وانتهاك حرمة الله بالاعتداء السافر على المصلين الآمنين. فالاحتلال غير قادر على إدارة الفضاء الديني في واحدة من أقدس المدن على وجه الأرض، ويعود ذلك إلى التناقض الجوهرى بين همجية الاحتلال وبين القيم الإنسانية المشتركة التي يجمعها القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

## التضامن ويقظة الضمير الإنساني

الحسن بن طلال

ما نواجهه اليوم عالمياً من آثار إنسانية واجتماعية واقتصادية مترتبة على انتشار وباء كورونا "Covid-19"، هو بحد ذاته تحدٍّ لمعرفة مدى تجذُّر مفهوم المواطنة الفاعلة لدى كل واحد منا، ويشكّل اختباراً لقدرتنا على الانتقال من محدودية «الأنا»، إلى رحابة المفهوم الجامع لمدلولات التآلف والتضامن والتعاقد (نحن)؛ وبخاصة من حيث توافر القدرة للإنسان الواعي على التفاعل مع قضايا مجتمعه ووطنه والمجتمع الإنساني ككل، مما يؤكد ضرورة السعي إلى بناء عالم اجتماعي يتميز بالفاعلية وبالانخراط الشخصي في التفاعل مع الآخرين.

وإذا اعتبرنا أننا أمام حرب عالمية جديدة ضد وباء اجتاح ١٥٩ بلداً في العالم، فإن الأسئلة التي تتعمق فينا تدور حول ما إذا كان الوباء الفعلي أمامنا أم خلفنا؟ وهل باستطاعتنا في إطار استيعاب البُعد العالمي الأشمل لهذا التحدي أن نصمد بالجدية اللازمة والصبر المطلوب لنخرج من متوالية الأزمات الماثلة أقوى من ذي قبل؟

إنّ الإجابة على مثل هذه التساؤلات ينبغي أن تستند إلى حدس البدهة في أنّ المسؤولية الإنسانية والأخلاقية هي معيار العمل، يبدأ ببيد، خلال المرحلة المقبلة، من أجل زيادة الوعي وتعزيز القيم الأساسية التي تشكّل جوهر إنسانيتنا، وأعني بها تحديداً الرحمة والتعاطف والاحترام والتشاركية. وفوق هذا كله لا بد من تعظيم الروح الجماعية بمعنى "weness" أو تأكيد المفهوم الجمعي المرتبط بضمير «نحن»، وتقديم الصالح العام على فردية «الأنا».

وليس من سبيل إلى ذلك إلا بوقوفنا صفا واحداً في عمل جماعي حقيقي يتجاوز حالة التمني إلى مواجهة مباشرة لتداعيات هذا الانتشار الوبائي أو الجائحة العالمية، والعمل بمنهج تغليب العقل والحكمة، وإيثار تقديم العون والمساعدة بكل ما نستطيع، من أجل إعلاء شأن الكرامة الإنسانية، وأن يكون الشعور مع الآخرين والتعاطف مع المرضى والمنكوبين نابعاً من عمقنا الحضاري الإنساني، كما جاء في الحديث الشريف (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) (أخرجه البخاري ومسلم).

على الإنسانية، بأسرها، أن تتحد وتنسق الجهود وتشارك المعلومات والمعرفة للخروج من هذه الفاجعة العالمية، التي أصابت الجميع دون تمييز بين الأغنياء والفقراء، والشيوخ والأطفال، وكذلك بين الأعراق والألوان والمعتقدات. فالجميع في موضع الخطر أمام وباء سريع الانتشار. وعلى الرغم من كل التقدم العلمي والطبي الذي نشهده، فإن الحل الوحيد للخروج من أي أزمة يبدأ بالوعي والتضامن وترسيخ مبدأ الأمن الديمقراطي.

هذه الأوقات الاستثنائية تُعدُّ فرصة للتواضع والاعتراف بمحدوديتنا كبشر، وحاجتنا لأن نتشارك معاً في العمل لتحقيق النفع العام ومصصلحة المجموع. وفي هذا المجال تبرز أهمية التشبيك والتنسيق بين الجهات المختلفة، واستنفاذ طاقاتنا في التواصل الفعال وحُسن التصرف والأداء الأفضل، ضمن الإطار الوطني؛ الحكومي والأهلي والفردي على السواء، لإيجاد ديناميات من التفاعل، وإعادة بناء الثقة بين الجهات المقدمة للخدمات (حكومية كانت أم أهلية) والجمهور.

وفي سياق إدارة الأزمات، لا بد لنا أيضاً من معالجة أزمة الأفكار والفرغ، فهناك من الدواعي والأسباب ما يحتم ملء هذا الفراغ عبر تعزيز التفاعل بين الجامعات ومراكز الفكر والدراسات والنقابات والهيئات المهنية ومنظمات المجتمع المدني كافة.

كما يقع علينا واجب التعلّم من الآخرين والبناء على الدروس المستفادة من تجاربهم، ونحن نُعيد التفكير فيما ننفق وما نقنتي، بحيث نضكر أكثر بالآخر المُقابل، وندرك مغزى ما تقوم به المؤسسات الدولية من تأكيد الحفاظ على الهوية والالتزام بالعمل المشترك، وهذا لا يعطينا من التساؤل: أيننا من إقامة بنك إقليمي للإعمار بعد الحروب؟ وأين نحن من مشروع مؤسسة عالمية للزكاة والتكافل الإنساني؟ فنحن نتحدث عن الزكاة بهذا المفهوم في إطار الخدمة الإنسانية للجميع. وفي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦)، نجد الخالق - عزَّ وجلَّ - يخاطب الإنسان مترفقاً به، عطوفاً عليه، داعياً إياه إلى العمل الجاد والمسؤول، فالدين في خدمة الإنسانية.

إننا جزء من العالم البشري علينا ما على الآخرين من واجبات، ولنا ما لهم من حقوق، ومن هنا يتحدّد دور كل جزء في المجموع ومسؤوليته على مبدأ المساواة، وترتسم حلقات الامتداد الحضاري في عملية التواصل والحركة الحيوية الدائمة والمُحرّكة للعلاقة العضوية بين الجزء والكلّ.

لقد أنتجت الهجرات الجماعية عبر القرنين الماضيين أعداداً كبيرة من المهجريين العرب في الأمريكيتين، تساوي في حجمها نصف مجموع سكان الوطن العربي، وبالرغم من أن كل جيل قد يظن أنه أمام حدث غير مسبوق في بعض الحالات، إلا أن التاريخ المستمر الذي لا يعيد نفسه يعلمنا بأن ذلك ليس صحيحاً. فنحن أبناء التجربة الحضارية الإنسانية في حكم التاريخ ولنا بمعزل عن شركائنا في كل ما يجمع البشرية من أواصر وصلات. ولا نخطئ هذا المفهوم التواصلي حينما نعدّ امتداداً لآسيا كما نحن بمثابة امتداد لأوروبا، وكما أن امتدادنا ليس مقتصرًا على الشرق، وإنما يصل إلى الغرب الذي يمكن أن يُعدّ أيضاً من جهة أخرى امتداداً لنا.

## مصير مشترك يواجه الإنسانية

غابتنا أن نبحث عن السلام الداخلي في مكنوناتنا، وعن السلام فيما بيننا. فالسلام لا يعني غياب الحرب فقط؛ بل يعني النهضة والتنوير، ولنا في الوحدة الأوروبية القائمة على السلم مقياساً وحجةً على أهمية المنحى السلمي.

ويظل السؤال المشروع: كيف ننهض من فواجعنا؟ إن ذلك لن يتأتى لنا إلا من خلال تفعيل رصيد أساسي من الفكر والإرادة، لأن الأفكار أهم من المال. فهل نستطيع أن نطبق هذا المفهوم على شبابنا وهم يهاجرون بمئات الألوف لدول مختلفة؟ كيف نعطي لشبابنا معنى حقيقياً للحياة؟ كيف نواجه التحديات الثلاثة المتمثلة بالكوارث التي اقترفها الإنسان؛ والحروب المستعرة بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ والكوارث التي من صنع الطبيعة مثل التصحر والجفاف والتمدين غير المنضبط على حساب الأرض، هذه وحدها كافية لكي نعيد النظر في أولوياتنا.

إذن، علينا إعطاء الفكر محتوى جديداً، نبحث فيه عن أقطاب البوصلة في دعوتنا لبناء محتوى المشاركة العلمية والتطبيقية، سواء في الصحة أو التربية أو البيئة المكانية والإنسانية والجغرافية، وعلى رأس من نعينهم بذلك الشباب من الوطن والمهجر، فالدمج بين العلوم الطبيعية والإنسانية هو ما يشكل تقدماً كبيراً في فهمنا لبناء المعرفة المشتركة، وتعزيز البحث العلمي والفكر العلمي الناقد. وفي هذا المجال علينا الاعتراف بأن الضغط الأدبي من الشباب مقبول في سياق التطوير الفكري والقيمي لتطوير التعليم وبرامج الصحة الوقائية قبل العلاجية.

علينا كذلك أن نعمل على أنسنة البيئة المكانية والإنسانية، ونطور من مفاعيل الهوية في إطار المقاصد العليا للدين. وهنا نستطيع التحدث عن دساتير شرف ومواثيق أخلاقية وتضامن أخلاقي في مجالات أوسع من المصالح والمنافع الضيقة.



لا شك أن الأولويات لا يمكن أن يحددها الوضع الاقتصادي فقط كما حصل في بعض الدول، بل يجب التفكير ملياً والتروي وإيثار الكرامة الإنسانية، فالبعد الأخلاقي للأزمة هو امتحان لضمير الأطباء والمرضى والمواطنين على حد سواء؛ في بناء مجتمعات أكثر مناعة تقاوم الأمراض والفايروسات التي قد تهاجم العالم في المستقبل، والعمل لبلورة رؤية إنسانية واضحة نحو العلم والتكنولوجيا تقتضي تلبية حاجات الفقراء والمهمشين والضعفاء من الخدمات والمنتجات بوصفها أولوية في أعلى قائمة الأولويات.

ولا ننسى هنا أهمية بناء «المناعة النفسية» والارتقاء بمستوى تقديم خدمات الصحة النفسية والدعم الاجتماعي لحماية أنفسنا والآخرين. فالتكامل المتناغم للجسد والعقل والبيئة هو الأساس في بناء مجتمع أكثر صحة وأماناً.

وفي سياق تفعيل التواصل الإلكتروني واللقاء الافتراضي إلى حين انتهاء الأزمة، لا بد من العمل عبر وسائل التكنولوجيا المختلفة على بث روح الأمل والتذكير بفاعلية الإيمان التي تعظم في نفوسنا مشتركاتنا الإيمانية والإنسانية، بدلاً من نشر الشائعات واللغو والغيبة والشماتة بمعاناة الآخرين وألامهم واغتيال الشخصية. فالظروف الاستثنائية تبرر التصييق في حدود الحقوق والحريات الدستورية بالقدر الكافي للتعاطي معها، فمبدأ سيادة القانون والدولة القانونية وإن كان يصلح في الظروف العادية، إلا أنه وعند تعرض مكونات الدولة للخطر يكون تقديم الصالح العام على حقوق الأفراد مصلحة عامة، بحيث نعود نتفياً بظلال المشروعية بعد الانتهاء من هذه الأيام الاستثنائية. كما علينا أن نؤمن بقدرة الإنسان على الإبداع كي نجسد معاً قدرتنا على الصمود وإعادة البناء والتجديد بعيداً عن أي اختلافات قد تقسمنا وتخلخل التماسك الاجتماعي.

كلّي أمل بقدرتنا على تجاوز هذه المحنة، وأؤكد أن مستقبلنا لا يعتمد فقط على مجرد اكتشاف الحلول العلمية لمشكلاتنا فقط، بل يعتمد أيضاً على

اتفاقنا بأن التطور العلمي يجب أن يوجه من أجل خير البشرية ورفاهها والذي يجب أن يكون أساس جهود التنمية.

لقد كنا بحاجة إلى صدمة قوية توظف ضميرنا الإنساني، وتخرجنا من وهم التسلط والتفوق، والشعور الخادع بالاستغناء عن الآخرين والابتعاد عن الخلق الإيماني الإنساني. إنها لحظة تاريخية اجتمعت فيها مخاوف البشرية وآمالهم وشعورهم بوحدة همومهم ومصيرهم المشترك. فالالتفات إلى التاريخ يكون بالنهضة والتنوير، وليس بإعادة التاريخ إلى زوايا الضياء، كما كان الحال مع بعض الحضارات قبل الميلاد. وأقول إن التاريخ هو معلم حكيم للتغيير حين يصلح الإنسان من أمره في تغيير يتماشى مع وضعه وحياته ومستقبل إنسانيته.

## وثيقة

# مبادرة التضامن والتكافل الإنساني

في هذه الأيام العصيبة من تاريخ البشرية، التي نشهد فيها اجتياح وباء كورونا لعالمنا، مخلِّفاً مزيداً من المآسي من موت، وعوز، وتفاقم معضلات اجتماعية واقتصادية، نجد أننا أحوج ما نكون لبناء إجماع إنساني فاعل وقوي، لمواجهة التحديات والأخطار التي تهدد البشرية ومستقبلها على كوكبنا الصغير هذا.

وانطلاقاً من المسؤولية الإنسانية والأخلاقية المشتركة، ندعو نحن مجموعة العلماء والمفكرين المسلمين إلى التشبيك مع الجهود المباركة التي تبذلها المؤسسات الدولية والإقليمية والوطنية والأفراد في مختلف المجالات، لحث الناس جميعاً على أداء واجبهم الإيماني والإنساني والأخلاقي لمقاومة هذا الوباء القاتل الذي أثار في البشر ومنظوماتهم الحيائية، وفي اقتصاديات العالم، بل وأصاب الفقراء بمزيد من المعاناة نتيجة ما سببه من انحسار في موارد العيش.

كما ندعو إلى تعزيز ما بادر به سمو الأمير الحسن بن طلال حين أطلق ندائه بعنوان «التضامن ويقظة الضمير الإنساني»، وتفعيل الجهود لمأسسة مشروع «عالمية الزكاة» الذي دعا إليه سموه منذ سنوات طويلة، في سبيل إنشاء مؤسسة عالمية للزكاة والتكافل الإنساني، وبخاصة مع اقتراب موعد المؤتمر الدولي الذي كان (منتدى الفكر العربي) يزمع عقده في شهر

---

\* أُطلقت هذه المبادرة في ٩ نيسان (إبريل) ٢٠٢٠.

رمضان ١٤٤١هـ بعنوان «عالمية الزكاة: الأبعاد، والتمثيلات المؤسسية»، ضمن رؤى تركّز على الأبواب الواسعة للزكاة بوصفها من أسباب الخير للبشرية، وإحياء المسؤولية الإنسانية والأخلاقية، وجعلها المحرك الأساس والمعياري الناظم لعملنا جميعاً.

علينا في ظل هذه المرحلة وما سيترتب عليها أن نبحث عن الإصلاح من دواخلنا بالتفكير المستمر بتحقيق الأمن والسلام الداخلي، والحرص على سلامة القلوب، وإحياء الوعي الجماعي الذي يدفعنا نحو تعزيز القيم التي تُعلي من كرامة الإنسان، بصرف النظر عن قوميته، وجنسيته، ولونه، ودينه، وجنسه.

نحن نواجه اليوم تحدياً كبيراً للعقل والوجود البشري، فقد وقف الذكاء البشري مرتبكاً أمام فيروس ضئيل. وإن قوة الوباء وصرامته وعدم تمييزه بين ضحاياه، كل ذلك يدعونا إلى التأكيد بأن المعاناة البشرية يمكن لها أن تجمع بين الشعوب أكثر مما تفعله لغة المصالح والمكاسب. وينتاب كل واحد منا شعور بأن الخطر الذي يهدد البشرية هو خطر واحد، وهذا ما يستنهض قدراتنا وتفكيرنا في المعنى الجمعيّ لإنسانيتنا ضمن مكامن قوتها وضعفها، ويكشف أمامنا مساحات جديدة من اللقاء والعمل المشترك.

إن قيمة الإنسان تكمن في إنسانيته، وهي ركيزة جوهرية يقوم عليها تضامن البشر وتعاضدهم، وتنتظم حولها المشتركات القيمية جميعها. ويقتضي الإيمان بكرامة الإنسان وبحقوقه التفكير الجاد بالتحديات التي تواجه البشرية، ويجعلنا نستشعر مسؤوليتنا المشتركة إزاء الأجيال القادمة. إن هذه الأوقات العصيبة هي اختبار لإنسانية الإنسان، وتواضعه، وحقيقة الإيمان وأثره، وتعظيم الشعائر الدينية وتأثيرها، هل ننجح أم نفشل؟ إننا نحن المسلمين أصحاب مشروع (الرحمة للعالمين)، ولا بدّ، في هذا الصدد، من تفعيل الاجتهاد الفقهيّ حول القضايا المعاصرة، كما هو الحال في

قضايا الزكاة والتكافل الاجتماعي، ومن ذلك العمل الجاد على إطلاق مشروع (المؤسسة العالمية للزكاة والتكافل الإنساني)، إذ يحسُن بمفهوم الزكاة أن يكون منطلقاً لتجسيد الرحمة، التي جعلها الله عزّ وجلّ الغاية الرئيسة من إرسال رسله للعالمين. وإنّ إحياء هذه المسؤولية هو إحياء للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، كما أنها تمثل دين الله الحقّ في ثوابته وموجّهاته.

ونشير هنا إلى فتوى نخبة من العلماء المسلمين بجواز تعجيل الزكاة لعام أو لعامين، بل واستحباب التعجيل فيها وفاقاً لحاجة الفقراء، وتفضيل ذلك على الانتظار إلى شهر رمضان لإخراج الزكاة، التي قدرها هؤلاء النفر من العلماء بما يزيد على أربعمئة مليار دولار في العالم الإسلامي لهذه السنة، وهو مبلغ عظيم، لو اجتمع، في هذه الظروف لإنقاذ الفقراء دينهم، وأنفسهم، وأعراضهم، نظراً لظروف حظر التجول في كثير من البلدان، وإغلاق كثير من مجالات العمل والارتزاق، مما فاقم حاجة الناس، وضيّق العيش على المحتاجين. وفي الوقت الذي نؤمن فيه بقدرة العقل البشري على الإبداع والابتكار ومواجهة التحديات، فإننا بحاجة لاستحضار التكامل المعرفي بين العلوم الطبيعية والإنسانية، الذي من شأنه أن يستوعب الإشكالات المترتبة على طغيان المعرفة البشرية، حين تبتعد عن أطر التوازن مع الطبيعة. إنها فرصة لإظهار مدى تفاعلنا لإدارة الأزمة بشكل محترف، وتشاركونا في العمل لتحقيق النفع العام، وتخفيف آثار الفقر والعوز والحاجة والمرض عن الناس، وهنا يظهر دور التشبيك والتنسيق بين الطاقات الهائلة، ويبرز واجب التعلم من الآخرين، والعمل بروح واحدة لإعادة بناء الثقة بين الجميع، والتي ظلت مفقودة، أو ضعيفة بين الكبار والصغار، والأغنياء والفقراء. ولا بدّ لنا من تأكيد على دور الإيمان وتأثيره في تقوية قدراتنا البشرية على التحمّل والمثابرة ودفعنا إلى مواساة الآخرين والتخفيف من معاناتهم وآلامهم. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

إننا ننظر إلى الإنسان بوصفه جزءاً مهماً من هذا الكون الذي خلقه الله، وليس كائناً متجاوزاً لنواميس الكون. فالإنسان مؤتمن على رعاية الأرض وما عليها من كائنات. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

إننا ننادي بتحقيق المصالحة بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة، من خلال تعميق الشعور بمسؤولية الإنسان تجاه البيئة وحمايتها، والتقليل من التلوث بأنواعه، ومن سائر أنواع التعديّات، فضلاً عن ترشيد استخدام الموارد الطبيعية، وصون الركاز، والعمل على تحقيق التوازن والانسجام بين متطلبات المدنية المعاصرة والحفاظ على الحياة الطبيعية، وتعزيز المسؤولية المؤسسية للعمل على زيادة الإنفاق على البحث العلمي في مجتمعاتنا المعاصرة. وكم هي اللحظة الحالية مواتية لإبراز العمق الإنساني للدين، ولإنتاج خطاب حضاري يرتكز على القيم الإنسانية المشتركة. فعلى الإنسانية بأسرها أن تتحد وتنسق جهودها ومعارفها للخروج من هذه الفاجعة العالمية، التي تواجه الجميع من دون تمييز بين أعراقهم أو ألوانهم أو معتقداتهم.

إن البشر جميعاً هم أبناء حضارة إنسانية واحدة، مهما اختلفت ثقافاتهم وأعراقهم، وما يجمع البشرية من أواصر وصلات أكثر بكثير مما يفرقها. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١). ولا بد لنا من استشعار المسؤولية الأخلاقية عن الكوارث التي يقترفها الإنسان، أو التي تصنعها الطبيعة، بأثر الفعل البشري واختلال سلوكه، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١). والله من وراء القصد.

## الموقَّعون:

١. الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي.
٢. عبد الله غول، رئيس جمهورية تركيا السابق.
٣. الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي يضم علماء من دول العالم كافة؛ عنهم رئيس الاتحاد الأستاذ الدكتور الشيخ أحمد عبد السلام الريسوني، والأمين العام الأستاذ الدكتور علي محيي الدين القرّة داغي.
٤. مجلس العلماء الأندونيسي، والذي يضم العديد من الهيئات والمجموعات الإسلامية والعلماء في أندونيسيا؛ عنهم الأمين العام الأستاذ الدكتور أنور عباس.
٥. أرشد هورمولو، مستشار الرئيس التركي السابق.
٦. خليل الخليل، عضو مجلس الشورى السابق، المملكة العربية السعودية.
٧. شيخ الإسلام «الله شكر» باشازاده، رئيس إدارة مسلمي القوقاز، الأمين العام لمركز باكو للتعاون بين الأديان والحضارات، أذربيجان.
٨. العلامة عبد الله العزي، الجمهورية اليمنية.
٩. الشيخ عكرمة صبري، خطيب المسجد الأقصى المبارك، القدس.
١٠. الأستاذ الدكتور هشام قريسه، رئيس جامعة الزيتونة، تونس.
١١. الشيخ عبد الكريم الخصاونة، مفتي المملكة الأردنية الهاشمية.
١٢. الإمام يحيى بالافاتشيني، رئيس جمعية مسلمي إيطاليا وسفير منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) للحوار بين الحضارات، وعضو المجلس الأوروبي للقادة الدينيين.
١٣. الأستاذ الدكتور محمد عبد الحلّيم، جامعة لندن.
١٤. الأستاذة الدكتورة عزة كرم، جامعة VRIJE، امستردام/هولندا.
١٥. الإمام عز الدين الزير، إمام فلورنسا، إيطاليا.
١٦. الدكتور سيد ظفر محمود، رئيس مؤسسة الزكاة، الهند.

١٧. الدكتور محمد حسين الزغبى، رئيس اتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل.
١٨. مؤسسة بازناز للزكاة، عنهم رئيس المؤسسة الأستاذ الدكتور بامبانغ سوديبيو ونائب الرئيس الدكتور زين البحار نور.
١٩. الدكتور محمد أبوحمور، الأمين العام لمنتدى الفكر العربي.





دراسة العدد

في مئوية تأسيس الدولة الأردنية (١٩٢١-٢٠٢١)

المغفور له الملك الحسين بن طلال

الاستثناء في الاستثناء





## المغفور له الملك الحسين بن طلال الاستثناء في الاستثناء

أ. د. عبد الحسين شعبان\*

مقدمة: مئوية الدولة الأردنية

يستذكر الأردنيون والعرب والمسلمون عموماً في هذه الأيام الذكرى العطرة لتأسيس المملكة الأردنية الهاشمية، وذلك بمناسبة مرور مئة عام على تأسيسها، كما ويصادف في هذه الذكرى مرور ٨٦ عاماً على ميلاد جلالة الملك الحسين، الذي أبصر النور في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٥، وغادرنا في ٧ شباط/فبراير ١٩٩٩، وكان تسلّم عرش المملكة لنحو ٤٦ عاماً، أي حوالي نصف عمر الدولة الأردنية، وترك بصمته الواضحة على مسارها وتوجّهها.

وإذا كان عمره البيولوجي قد بلغ ٦٥ عاماً يوم رحل إلى «الرفيق الأعلى»، فقد قضى أكثر من ثلثيه وهو على رأس الدولة الأردنية، واكتسب خلاله تجارب لا حدود لها وخلص إلى عبر ودروس غاية في الأهمية والعمق، وهو ما يزال يافعاً في مقتبل ربيع حياته وفي عزّ شبابه، وهو ما مكّنه من قيادة المملكة بحكمة وعقلانية وتسامح واعتدال وبُعدٍ نظر، خصوصاً وقد تلقى تاهيلاً علمياً ودينياً ولغوياً وعسكرياً عالياً وتربية عائلية سديدة في بيت يزخر بالقيم والمعاني الإنسانية. وأستذكر ما قاله الشاعر الجواهري الكبير في ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٢ بحق جلالة الملك الحسين وبحضوره في حفل مهيب:

\* أكاديمي ومفكر، نائب رئيس جامعة اللا عنف في بيروت، وعضو منتدى الفكر العربي (العراق).

يا سيدي أسعف فمي ليُقولا  
في عيد مولدك الجميل جميلاً  
أسعف فمي يطّلعك حُرّاً ناطفاً  
عَسلاً، وليس مُداهناً مَعسُولا  
يا ابن الهواشم من قُرَيْشِ أَسْلَفوا  
جِياً بِمَدْرَجَةِ الفَخَّارِ، فَجِياً  
يا ابن الذين نَزَلَتْ بِبُيُوتِهِمْ  
سُورُ الكِتَابِ، وَرُتِلَتْ تَرْتِياً  
يا ابن النَّبِيِّ، وَلِلْمَلُوكِ رِسَالَةٌ  
مَنْ حَقَّهَا بِالْعَدْلِ كَانَ رَسُولاً

### العنف والقدس

في العام ١٩٢١، وعلى هامش الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف الحسين بن علي للتحرر والإنعتاق والتخلص من الهيمنة العثمانية، أعلن الأمير عبد الله الأول عن تأسيس «إمارة الشرق العربي»، ثم سُميت «إمارة شرق الأردن» وأعلن عن استقلالها في ٢٥ أيار/مايو ١٩٤٦ تحت اسم «المملكة الأردنية الهاشمية»، ونودي بالأمير عبد الله الأول بن الحسين ليصبح ملكاً دستورياً عليها وهو المؤسس الأول لها، لكن اغتياله في العام ١٩٥١ في القدس وهو على درجات المسجد الأقصى، ترك أثراً كبيراً لدى الفتى الذي سيتولى عرش المملكة بعد سنتين من إطلاق النار على جدّه، ومثل هذا الأثر لازمه حتى آخر يوم في حياته. واتسم بتوجهين أساسيين:

أولها- نبذ العنف بكل أشكاله ومبرراته وحججه وتداعياته؛ فقد أدرك منذ وقت مبكر أن العنف ليس السبيل السليم لحلّ الخلافات أو إجبار الآخر على تغيير قناعاته، بل أن الحوار خيار واضطرار في الآن، فأبى اجتهاد يبقى نسبياً وهو قابل للخطأ مثلما هو قابل للصواب أيضاً، وحسب الفيلسوف الفرنسي

فولتير: إننا كائنات بشرية قابلة للوقوع في الخطأ، وبما أن البشر خطاءون، فعلينا أن نأخذ بعضنا البعض بالتسامح.

وثانيها- رسوخ صورة القدس في وجدانه والتي ظلت حاضرة في كل خطوة اتخذها كجزء من إستراتيجيته، وهو الذي كان قال: إن الرمز الحقيقي للسلام هو القدس وعودتها عربية هو المعيار الوحيد لصدق الداعين إلى السلام في المنطقة. وهو ما كتبه في رسالة إلى الرئيس الأمريكي رونالد ريغان مصححاً المعتقدات التوراتية المزيفة حول فلسطين والقدس والمسجد الأقصى نتيجة الدعاية الصهيونية، مؤكداً على حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره وضرورة عودة أراضيهم المحتلة وسيادته عليها، واستمر الأردن حامياً للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ووصياً عليها حتى بعد قرار فك الارتباط، وحيث تستمر الرعاية الهاشمية بالإعمار والصيانة والتبرع الشخصي لهذه الغاية.

### الملك الباني

إذا كان الملك طلال قد صاغ دستور المملكة فإن الملك الحسين هو بانيتها منذ أن اعتلى عرشها في ١١ آب/أغسطس ١٩٥٢، وفي ٢ أيار/مايو ١٩٥٣ تسلّم الحسين سلطاته الدستورية كاملة بعد أن أتمّ الثامنة عشر من عمره وفق التقويم الهجري. وحدّد خطاب العرش المبادئ الأساسية التي تسيّر عليها المملكة والتي ستصبح بمثابة «بلا تفورم» للملك الحسين وللمملكة مكّمة ومتمّمة دستورها ومواثيقها. وهي ما يأتي:

- النظام رائدنا
- التعاون مطلبنا
- الاتحاد في الصفوف رمزنا
- العمل شعارنا
- بناء وطن محكم الدعائم راسخ الأركان هدفنا
- مساواة جميع المواطنين مبدؤنا

وظلّت هذه المبادئ مرشداً لسلوك الملك الحسين طوال فترة حكمه، بل إنها مثلّت الخلفية المرجعية القيمة الأساسية للمملكة الأردنية الهاشمية خلال الفترة المنصرمة، وحين يتم الخروج عليها أحياناً أو التهاون بشأنها بسبب تعقيدات الوضع السياسي كان الملك الحسين يبادر إلى إعادة البوصلة باتجاهها محاولاً تصحيح ما ينشئ من أخطاء وممارسات سلبية بروح الشجاعة والنقد، فقد كانت مسألة توطيد أركان الدولة وتعزيز مكانتها وتثبيت هيبتها داخلياً وعلى المستوى العربي والإقليمي والدولي شغله الشاغل ووضعها هدفاً استراتيجياً له، بالاستناد إلى مبادئ الثورة العربية الكبرى التي فجرها جدّه الشريف الحسين بن علي في ١٠ حزيران/يونيو العام ١٩١٦ في مكة والمصادف ٩ شعبان ١٣٣٤هـ، واسترشاداً بمسيرته التي ساهمت في تعزيز حركة الوعي واليقظة العربية نحو التحرر والاستقلال وتقرير المصير. وما تزال ألوان علم الثورة العربية الكبرى تمثل أساس أعلام العديد من الدول العربية، وهو ما أوردته في بحثي الموسوم: «ملاحظات أولية وقراءة ارتجاعية بعد قرن من الزمن لأول كيانية عربية»، وذلك بمناسبة مئوية الحكومة العربية والمملكة السورية بزعامة الملك فيصل بن الحسين (١٩١٨ - ٢٠١٨)، ندوة منتدى الفكر العربي، ٢ أيلول/سبتمبر ٢٠١٨.

### استثنائية الموقع

أدرك الملك الحسين ما لا يدركه الآخرون، من حساسية وخطورة موقع الأردن في خريطة الشرق الأوسط التي ظلّ نابليون يقول عنها منذ أواخر القرن الثامن عشر إنها: «مفترق طرق العالم»، ويصفها الرئيس أيزنهاور في العام ١٩٥٧ بأنها: «أقيم قطعة عقار في العالم»، فحاول وهو يواجه عواصف عاتية أن يتوازن ويوازن ويضع مسافة من الجميع بحيث لا ينخرط في الصراعات القائمة أو ينجرّ إليها إلا دفاعاً عن النفس والحق وعند الضرورة، خصوصاً وهو يعرف موازين القوى، بما لها وما عليها.

فالأردن يمتلك موقعاً استثنائياً وسطياً وهو ما جعله يواجه تحديات استثنائية أيضاً، وهو محاطٌ بخمس دول، فمن الغرب فلسطين التي تحتلّها

«إسرائيل» بؤرة العدوان المستديمة والترسانة العسكرية التي تغتصب حقوق أهلها وتشردهم، ومن الشرق، العراق الذي ارتبط مع الأردن بـ «اتحاد هاشمي» في العام ١٩٥٨، سرعان ما أطاحت به ثورة ١٤ تموز/يوليو العام ١٩٥٨ وانفردت العلاقة بين البلدين لسنوات غير قليلة، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية، ومن الشمال الجمهورية العربية السورية، ويشترك الأردن مع مصر بحدود مائية في خليج العقبة، ومصر وسوريا كانا ضدّ توجهات الأردن على الرغم من أن الأخير لم يشارك في حلف بغداد العام ١٩٥٤-١٩٥٥، بل نأى بنفسه وتعرض حينها إلى ضغوط غربية وإقليمية عديدة.

وإذا تأسست «إسرائيل» في ظلّ تواطؤ دولي واستناداً إلى مزاعم دينية ورواية أقرب إلى الميثولوجيا، فإن المملكة العربية السعودية تحتضن مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهما مكانان مقدّسان للمسلمين، وتأسست في العام ١٩٢٦ باتحاد نجد والحجاز، أما العراق وسوريا، فهما منذ قيامهما شهدا حركات راديكالية ثورية وأقيمت فيهما أنظمة قومية شمولية، ومعهما مصر منذ ثورة ٢٣ يوليو/تموز العام ١٩٥٢، في حين استمرت المملكة الأردنية الهاشمية تغرد خارج السرب وسط هذا الخضم من الواحدية والإطلاقية، فاتجهت صوب الاعتدال والوسطية وبصياغات أقرب إلى الليبرالية أو بعض إرهاباتها، حسب وصفة نهاية الأربعينيات والخمسينيات.

وقد حاول الأردن وهو بلدٌ صغير قياساً بجيرانه: السعودية والعراق وسوريا، ناهيك عن مصر، الحفاظ على خصوصيته وتوجهه الوسطي، وإن بإمكانات محدودة مادياً وبشرياً وجغرافياً، حيث تبلغ مساحة الأردن ٢١٣, ٨٩ كيلومتراً مربعاً وعدد نفوسه لم يتجاوز الأربعة ملايين في مطلع الستينيات، ولكن العين ظلّت عليه بين هذه الدول الكبيرة، ناهيك عن أطماع «إسرائيل» المختلفة والمتعددة والمتجددة.

و حين يحتفل الأردن اليوم بمئويته، فالاحتفال ليس أردنياً فحسب، بل هو احتفال عربي ودولي أيضاً، فقد تمكّن هذا البلد الصغير والفقير قياساً بدول تجلس على بحر من النفط والمحاط بأطماع وتحديات كبرى أن يواصل البقاء وأن يحرص على علاقات طيبة مع الجميع، ويمسك بأوراق غير قليلة في ذروة لعبة الكبار. وكان الأردن من الدول المؤسسة لجامعة الدول العربية في ٢٢ آذار/مارس ١٩٤٥، وانضمّ إلى الأمم المتحدة في العام ١٩٥٥.

### استثنائية التحديات

واجه الأردن تحديات وامتحانات عسيرة منذ استقلاله العام ١٩٤٦، منها حرب العام ١٩٤٨ العربية - «الإسرائيلية»، بعد قيام دولة «إسرائيل» بموجب قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ومحاولة تمددها في الأراضي الفلسطينية، وخصوصاً في القدس التي ظلت الإدارة الأردنية وصية عليها، كما واجه مسألة بناء الدولة وتعريب الجيش والعلاقة مع بريطانيا التي توجت بإلغاء المعاهدة معها، فضلاً عن التجاذبات السياسية في مراحل عديدة من تاريخها، ثم عدوان «إسرائيل» العام ١٩٦٧.

ولعل أهمها الموقف من الحرب العراقية-الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨، وأخطرها غزو القوات العراقية للكويت العام ١٩٩٠، ثم حرب الخليج الثانية لتحرير الكويت ١٩٩١ والتي قادت إلى تدمير العراق، يضاف إلى ذلك رفض الأردن المشاركة في مفاوضات كامب ديفيد الأولى (١٩٧٨-١٩٧٩) بعد زيارة الرئيس المصري محمد أنور السادات إلى القدس في العام ١٩٧٧، واستمرّ الأردن اقتفاءً بأثر نهج الملك الحسين في مواجهة العديد من التحديات أهمها: احتلال العراق العام ٢٠٠٣، إضافة إلى صفقة القرن التي حاول الرئيس دونالد ترامب الترويج لها فيما بعد وذلك في عهد جلالة الملك عبد الله الثاني.

ومثل هذه التحديات الاستثنائية لم تتمكّن دول أكبر وأغنى من الأردن وأكثر سكاناً أن تصمد أمامها، لكن الأردن بحكم قيادة الملك الحسين وتوجهاته الاعتدالية وحنكته السياسية تمكّن من ذلك لميزات شخصية وعامة.



## استثنائية الشخصية

تجمعت في شخص الملك الحسين استثناءات عديدة، سواء على المستوى الشخصي أو العام، وهذه الاستثناءات جعلت منه شخصية استثنائية بامتياز، وقد تمكّن بفضل ذلك السير بالأردن في طريق تُجنّبهُ المغامرة، وكان مقياسه ذهبياً أحياناً، أي دقيقاً لكل خطوة يخطوها، لأن أي خطأ أو عدم تقدير سليم سيكلف الأردن خسائر فادحة بما فيها وجودها، وهو ما فتح أبواباً أمامها للتنمية والتقدم، ومن ينظر إلى مسيرة الدولة الأردنية ويعرف إمكاناتها الشحيحة والمخاطر التي تحيط بها يدرك حقيقة الدور الاستثنائي الذي لعبه الملك الحسين بنجاح واقتدار وأفق مستقبلي.

وتتجلى عناصر استثنائية الملك الحسين في:

- قدرته الاستثنائية على استنباط الجوهر من الأشياء، فعلى الرغم من اهتمامه بالتفاصيل التي قد تقود إلى الجحيم أو الهلاك أحياناً، إلا أنه كان ينظر بشمولية إلى المشهد العام وكان حريصاً عليه، مثل حرصه على التدقيق في التفاصيل.

- وبقدر اتساع رؤيته فقد عمل بواقعية استثنائية أيضاً، معتبراً السياسة فن الممكن دائماً (صراع واتفاق مصالح) وهي كانت كذلك منذ أرسطو وكتابه «السياسة»: تحقيق الخير العام ووصولاً إلى عبد الرحمن بن خلدون، دون طموحات أقرب إلى الأوهام ودون يأس أقرب إلى الاستسلام، فبالرغم من الظروف الصعبة واضطراره لتقديم تنازلات أحياناً، لكنه بقي ماسكاً بالجوهر والمضمون، ولذلك امتاز بأنه صاحب مبادرات ومشاريع باستمرار، فعقله ظلّ شغالاً ومنفتحاً وحيوياً حتى آخر لحظة من حياته، فضلاً عن نظريته المستقبلية.

- شخصيته الكاريزمية الاستثنائية، وهي شخصية أسرة، وهو ما يدرس في إطار أدبيات علم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية، والمقصود بذلك دور الفرد في التاريخ، أي ما يمكن أن يلعبه القائد أو الزعيم في السياسات العامة وفي

الحرب والسلم وفي البناء والهدم والتأثير على الآخر، صديقاً أو خصماً أو عدواً، وهذا يندرج في علم النفس الاجتماعي، وغالباً ما تكون لمثل هذه الشخصيات قدرة في التأثير على الآخر، مثلما لها قدرة على الإقناع، ناهيك عما يمنحه من ثقة سرعان ما تنتقل إلى الغير، فتفتح أمامه فرصاً ونوافذ وحتى بعض المغاليق من خلال صداقة تمتد بجسور من التواصل، فما بالك حين يكون مصحوباً بأدوات حديثة من علم الإدارة، الذي سيكون نجاح أي خطة مستنداً إليه وإلى الإدارة الحكيمة.

- تواضعه الاستثنائي، وهو ما يجمع عليه كل من قابلوه أو التقوا به أو استمعوا إليه، وقدّر لي، لمرة واحدة، أن ألتقي به وإن كان بحضور عام في لندن (لدى السيد عبد المجيد الخوئي)، إلا أنني بقيت أراقبه طوال فترة وجوده، وكنت أصغي إلى حديثه وكلماته، فضلاً عن اختيار مفرداته، ومع الأسف ضاعت عليّ فرصة اللقاء المباشر والخاص، حين طلب لقاء بعض الشخصيات العراقية في لندن، وكنت حينها مسافراً، وحصل أن تجددت الفكرة لاحقاً باتصال من اللواء عبدالإله الكردي السفير لاحقاً، لكن ذلك لم يحصل حتى خلال دعوتي إلى الأردن من رئيس مجلس النواب سعد هایل السرور، بسبب تدهور صحته الذي حال دون ذلك.

ومثل هذا التواضع ينطلق من تربيته العائلية، وإضافة إلى حسن معشره، منذ أن كان طفلاً مع أقرانه في المدرسة، فلم يشعر يوماً بالتعالي أو التكبر عليهم وهو ما يستذكره الأردنيون من الناس البسطاء الذين أحبوه حباً جمّاً، بل بكوا بكاءً مرّاً حين رحيله.

وقد نقلت في بحث لي عن الملك الحسين بعد عام على رحيله قدمته إلى «المؤتمر الفكري الدولي» العام ٢٠٠٠ في جامعة الحسين بن طلال والموسوم «الملك الحسين: الحاكم والإنسان وسؤال التسامح»، ما قالته الصديقة ليلي شرف وزيرة الإعلام سابقاً والعضو السابق في مجلس الأعيان، وهذا الاقتباس يمثل نموذجاً لعلاقة الحاكم بالمحكوم، ومن هو في قمة الهرم بمن هو في قاعدته،

وذلك نقلاً عن شابة أردنية روت لها بأن أمها خاطبت زائرين (أجانب) عبّروا عن دهشتهم لما شاهدوه من مظاهر الحزن التي تلت وفاة الملك حين قالت لهم: انظروا، لم يسبق لي أن قابلت الملك أو صافحته، كما لم يسبق له أن مرّ شخصياً بجوارنا ولم أره شخصياً أبداً، إلا أنني في كل مساء عندما أعدّ مائدة العشاء، أشعر أن هناك شخصاً غائباً عنا.

ولعلّ السيماء الشخصي للملك الحسين وروح السخاء والبساطة والمروءة التي امتاز بها هي التي جعلته قريباً من الحس الشعبي. وحسب ليلي شرف، فالأردنيون يشعرون أنهم يعرفونه فرداً فرداً وأنهم يستطيعون اللجوء إليه في أوقات الشدّة. وهو ما سمعته من دولة أحمد عبيدات ودولة طاهر المصري ودولة عدنان بدران ومعالي سمير الحباشنة ومعالي جواد العناني وآخرين.

- تسامحه الاستثنائي الجّم فقد امتاز بتواضع الكبار، وكلما تسامت النفوس تواضعت، ولم يكن ذلك متكلفاً أو مصطنعاً، وإنما كان نابغاً من سويّة إنسانية وخلق رفيع، فالتسامح بالنسبة إليه يقوم على أسس أخلاقية وحضارية وإنسانية، وهو ما شكّل صورةً للدولة الأردنية وأصبح ملمحاً من ملامحها حتى اقترب من القاعدة الحقوقية، حيث أصبحت حالة عامة، وهو ما يطبع علاقة الحاكم بالإنسان.

وقد ذكرت في البحث الذي جرت الإشارة إليه، أنه لم يلتجئ إلى إعدام شخص واحد خلال كل فترة حكمه، على الرغم من العديد من محاولات الانقلاب العسكري التي قامت ضده، لكنّه بعد حين يلجأ إلى تخفيف الأحكام من الإعدام إلى المؤبد، ومع مرور الوقت يتم الإفراج عن المحكومين، وفي الغالب، تتم معاملتهم بالحسنى، وبعضهم احتل مناصب رفيعة.

وقد تطورت نظرتّه المتسامحة مع نضج تجربته وأصبح التسامح الوسيلة الأكثر ملاءمة لتحقيق المثل الإنسانية والقيم العليا، فلم يجلب العنف غير العنف

والانتقام غير الانتقام والكرهية غير الكراهية، فرديلتان لا تتجان فضيلة، وظلمان لا يجبان عدلاً وقد كان حقاً قريباً من إعلان منظمة اليونسكو الصادر في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥ «إعلان مبادئ التسامح»، لأنه أدرك أن نقيض التسامح هو اللاتسامح، ونقيض اللأعنف هو العنف، وهما ينجمان عن التعصّب ووليده التطرّف، وحين يصير الأخير سلوكاً يصبح عنفاً، وإذا ما ضرب العنف عشوائياً فإنه يتحول إلى «إرهاب» و«إرهاب دولي»، حين يكون عابراً للحدود.

إن إيمانه بمبادئ التسامح جعله أميل إلى الاعتدال والوسطية، وحين يصبح الحاكم بمثل هذا الفهم والمسؤولية، فإنه يتطلّع بعديل إلى الدولة وبنائها وترسيخها وحقوق المواطن ومستقبله، بل يحاول معالجة ما ينشأ من ظواهر سلبية وممارسات خاطئة وانتهاكات لحقوق الإنسان، لأنها ستعود بالضرر على الدولة وعليه.

إن وسطيته واعتداله جعلت من إيمانه الديني بعيداً عن التعصّب والتطرّف، فقد كان مؤمناً بحب الحياة وفي الوقت نفسه معتقداً باليوم الآخر، وغالباً ما تأتي آيات قرآنية على لسانه، على نحو عفوي وغير متكلف وهو ما وجدته أيضاً لدى شقيقه سمو الأمير الحسن، الذي يكاد يكون الوجه الآخر للملك الحسين، وهو ما أشرت إليه في بحث عن سمو الأمير الحسن الموسوم: «لا يكتمل نصفه إلا بالنصف الآخر».

- عقلانيته الاستثنائية، وهي نتاج لمراجعة وتفكّر ونقد ذاتي ورسوخ رؤية، فقد قاده المبادئ التي أعلنها والسياسات التي رسمها وسار على هداها إلى التوازن والعقلانية، فالغاية بالنسبة إليه لا تبرّر الوسيلة، لأن الأخيرة ملموسة ومعروفة، في حين أن الغاية بعيدة المدى وغير منظورة، وهكذا تصبح الوسيلة من «شرف الغاية»، ولا غاية شريفة وعادلة دون وسائل شريفة وعادلة، وحسب المهاتما غاندي فإن الوسيلة إلى الغاية هي مثل البذرة إلى الشجرة ترتبط بها عضويّاً ولا يمكن فصلهما.

وكان الحسين يقلّب الأمور ولا يحاول أن ينفرد في رأي أي وإن كان رأيه مختلفاً، وهو ما كانت قراراته خلال الحروب مع «إسرائيل» والتصدي لعدوانها، سواء دخلها مقتنعاً أو اضطرَّ إليها بفعل الجو العام السائد أو حين حاول تجنبها، ومثل تلك العلاقة المركبة والمزدوجة كانت تطبع مواقف من المقاومة الفلسطينية على الرغم من الموقع الحساس الجيوبوليتيكي للأردن كدولة مواجهة ضد «إسرائيل»، ذلك بحكم أن القدس ضمن الإدارة الأردنية قبل احتلالها العام ١٩٦٧ (القسم الشرقي) والضفة الغربية، وحتى فك الارتباط في العام ١٩٨٨، يضاف إلى انطلاق الثورة الفلسطينية والعمليات الفدائية من الأردن.

وعلى الرغم من اختلاف التصوّرات والتباين في وجهات النظر وتنازع السلطات، إلا أن دور الجيش الأردني في معركة الكرامة ٢١ آذار/مارس ١٩٦٨ كان له صدًى كبيراً في دعم المقاومة الفلسطينية وإعلاء شأنها، وذلك بإلحاق ضربة موجعة بـ «إسرائيل» بعد عدوان ٥ حزيران/يونيو العام ١٩٦٧.

لقد تعامل الأردن مع الفلسطينيين من منظور مختلف، فعلى الرغم من رفضه فكرة التوطين، مثل بقية البلدان العربية، بما فيها من جانب المنظمات الفلسطينية لأسباب سياسية، إلا أنه منح الفلسطينيين الحقوق الأساسية كمواطنين، وهذه الحقوق جزء من الحقوق الإنسانية كالملكية والجنسية والإقامة والسفر، ناهيك عن الحقوق السياسية، وهو ما أخذت به لاحقاً العراق وسوريا. وكان أمام الأردن قرابة مليون لاجئ فلسطيني في حين كان عدد الأردنيين لا يزيد عن ٤٠٠ ألف أردني، وخلال ثلاث سنوات ارتفع عدد سكان عمّان من ٣٠ ألف ليصل إلى ٢٠٠ ألف نسمة.

وتعتبر مخيّمات اللاجئين في الأردن أكبر المخيمات وهي ستة أساسية. وكان الملك الحسين يعتقد وهو على حق أن منح الفلسطينيين الحقوق الأساسية لا يتعارض مع حقهم الثابت وغير القابل للتصرّف بالعودة والتعويض. وعلى الرغم مما حصل من أحداث مؤلمة في أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، راح فيها ضحايا من الفلسطينيين والأردنيين في اقتتال الإخوة، إلا أنه ما إن انتهت الأحداث فإنها

لم تترك مجالاً للكراهية أو الحقد أو الانتقام، وعاد الملك الحسين والتقى مع الرئيس ياسر عرفات وفتح صفحة جديدة، حيث كان خطر «إسرائيل» قائماً ومستمراً، وهو الذي ينبغي أن تصوّب نحوه البنادق.

- ثقافته الاستثنائية الموسوعية، فهو يمتاز بين الزعماء العرب بأفقه الثقافي الواسع، فقد كان مثقفاً وقارئاً جيداً وخطيباً ذرب اللسان بلغة متقنة وحديثة.

وخلال فترة حكمه انتعشت الحركة الثقافية التي أولاهها اهتماماً خاصاً وأسّس مجمّع اللغة العربية العام ١٩٧٦ وكذلك تطوّرت حركة الفنون التشكيلية والمسرحية والسينمائية والموسيقية، كما اهتم بالتنوع الثقافي للمجموعات المختلفة، وأقصد بذلك من المسيحيين والشركس والشيشانيين وغيرهم، الذين شاركوا في بناء الدولة وحماية صرحها على أساس المواطنة، وأصبح منهم رؤساء حكومات ووزراء وفنّانين وروّاد في الأدب. كما تأسّست في عهده المنتديات والمراكز الثقافية وتعزّزت مكانتها، واهتم بالعلوم الأثرية فتأسّس متحف البترا في العام ١٩٦٣، ومتحف الحلي والأزياء العام ١٩٧١ ومتحف الحياة الشعبية العام ١٩٧٧ ومتحف صرح الشهيد العام ١٩٧٧.

- رؤيته الاستثنائية الاستشراافية، حيث امتاز الملك الحسين بقراءة استشراافية للمستقبل فهو شخصية رؤيوية وضعت المستقبل دائماً في ذهنها وفكرها، وربما ينطبق عليه قول الروائي الروسي مكسيم غوركي عن أحد مفكري وثوربي عصره: «إن نصف عقله يعيش في المستقبل»، بل إنه امتلك حاسة شمّ سياسية واجتماعية ذكية جداً، فكان يقرأ إرهاصات المتغيرات الدولية والإقليمية ويحاول أن يضع خططاً استراتيجية وتجريبية في الآن، أي قصيرة ومتوسطة المدى لاختبار مدى تساوق ما يجري كونياً وإقليمياً وانعكاساته على الوضع الداخلي، فيتخذ المبادرة السريعة بشجاعة وبُعدٍ نظرٍ.

فعلى سبيل المثال، أدرك عشية انتهاء الحرب الباردة وبداية أشكال جديدة من الصراع الأيديولوجي في نهاية الثمانينيات أن السياسات والوسائل القديمة لم تعد صالحة في ظل صعود موجة احترام الحقوق والحريات وارتفاع رصيد الدعوات الديمقراطية والإقرار بالتنوع والتعددية، فبادر بجرأة قبل العديد من دول المنطقة لتهيئة البنية التحتية لعملية التحوّل التدريجي، فأقدم في العام ١٩٨٩ على تحديث التشريعات لتكريس التعددية السياسية وبعض المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان والديمقراطية، وتفعيل قانون الأحزاب السياسية الذي شرّع منذ العام ١٩٥٥، حيث أجريت أول انتخابات برلمانية بعد أن تعطلت بسبب الأوضاع الاستثنائية إثر عدوان العام ١٩٦٧. وهكذا حصل الانفتاح الأردني الداخلي مبكراً حتى قبل أن تهب موجة التغيير على الشرق الأوسط.

وكان تقرّر فك الارتباط القانوني والإداري بال الضفة الغربية الذي اتخذه الملك الحسين في العام ١٩٨٨ استجابة لمؤتمر قمة الرباط العام ١٩٧٤، والذي اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.) كممثل وحيد وشرعي عن الشعب العربي الفلسطيني، وهو ما أتاح له التفرغ للداخل واستئناف مسيرة انفتاحية جديدة في العام ١٩٨٩ وتوسيع دائرة المشاركة لتشمل المرأة مرشحة وناخبة.

مثلما انصرف لتوسيع دائرة التعليم الإلزامي والمجاني في الصفوف العشرة الأولى، لأنه أدرك أن إحداث النهضة الحقيقية والتنمية المستدامة لا بدّ أن تقوم على التعليم، خصوصاً بنقل المجتمع الأردني من مجتمع شبه أمّي إلى مجتمع متعلّم يتطلّع إلى الحداثة والمدنية. وشملت النهضة قطاع الصحة والخدمات والبنية التحتية والعمران والنقل والزراعة والسياحة والصناعة والتجارة والطرق والجسور والمواصلات والاهتمام بالثقافة والرعاية الشبابية والرياضة.

- قدرته الاستثنائية في عقد تحالفات ومدّ جسور وقنوات اتصال، دون نسيان الإمساك بالحلقة المركزية بيد الدولة، فقد عمل بكل سعي لعقد اتفاقات وتحالفات عسكرية ومدنية وعشائرية في الحضر والبادية تحت لواء الدولة وقيادتها، وحاول ذلك عبر فلسفة تقوم على إخضاع كلّ المرجعيات للدولة وقوانينها الموحّدة لإحداث التغيير المنشود. وأتاح له ذلك الانفتاح دعم قوى اجتماعية مختلفة لتعزيز مكانة الدولة وتمثيلها، خصوصاً وأنه محاط بدول إيديولوجية شمولية دينية أو قومية، الأمر الذي دفع الأردن للبحث عن حلول للمشاكل القائمة بوسائل سلمية وإيقاع دبلوماسية نشطة وبناءة ومدّ أواصر التواصل مع الآخر وتجنب القطيعة.

لقد أدرك الملك الحسين أن شرعية أي نظام سياسي تقوم على رضا الناس وتحقيق منجزات لمصلحتها، أمّا المشروعية فتقوم على الالتزام بحكم القانون، وإذا ما سارت الشرعية السياسية بموازاة المشروعية القانونية، فإن ذلك يعني أن الدولة سلكت الطريق الصحيحة على الرغم من وعورتها أحياناً وكثرة منعرجاتها وتقلّبات المناخ السياسي وعواصفه.

- قدرته الاستثنائية على تدوير الزوايا وسعيه المستمر لتنقية الأجواء العربية، خصوصاً في فترة الأزمات وتعقّد المشكلات وتعاضم التوترات، فيبادر حين تتلبّد السماء بالغيوم ويسعى لانكشافها ليرى الجميع شمس الواقع وما خلفها، وذلك بوضع الخلافات جانباً وتهيئة الأجواء لقبول اللقاء والحوار ومن ثم الجلوس إلى طاولة مفاوضات أو عقد اجتماعات ثنائية أو جماعية، معلنة أو سرّية وصولاً إلى توافقات واتفاقات ومصالحات كلّما اقتضت الضرورة ذلك.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد ترك خلافاته مع قيادة الرئيس جمال عبد الناصر جانباً وتوجّه إليه عشية عدوان ٥ حزيران/يونيو ١٩٦٧ ليطلب منه توقيع معاهدة للدفاع المشترك شبيهة بالمعاهدة المصرية - السورية، بل هي استنساخ لها، وطلب منه إرسال الجنرال عبد المنعم رياض معه إلى الأردن ليكون مسؤولاً



عن القوات الأردنية والقوات العربية المتوقَّع قدومها من العراق والسعودية، ووافق على المصالحة مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري بطلب من عبد الناصر، بل قام باصطحابه معه في الطائرة إلى عمان مع عبد المنعم رياض، وذلك لتأكيد صدقيه توجَّهه.

وعلى الرغم من معلوماته وتقديراته المختلفة عن معلومات القيادة المصرية، إلا أنه كان حريصاً على وحدة الصف العربي مثلما هو حريص على تأكيد صدقيته، وهو ما أكده محمد حسنين هيكل، بتبنيه للفخ الذي أريد للعرب أن يقعوا فيه، وهو ما كان لديه من معلومات مسبقة.

وحاول خلال حرب الخليج الثانية أي بعد غزو القوات العراقية للكويت في ٢ آب/أغسطس ١٩٩٠، الحيلولة دون الحل العسكري لأنه أدرك أن التدمير سيمتد إلى عموم دول المنطقة، فحاول الضغط على الجانب العراقي للانسحاب من الكويت، ونزع فتيل الحرب، إلا أن التعنت والرؤوس الحامية والمخططات الهادفة إلى الاستيلاء على المنطقة كانت هي الأقوى والأسرع، وحصل ما حصل. وظلَّ حريصاً على التخفيف من عبء الحصار الدولي الجائر على العراق وشعبه.

- إنسانيته الاستثنائية، فقد تمَّعَّ الحسين بسعة صدر وقدرة كبيرة جداً على التحمل، وبعيداً عن السياسة فقد كان رحيماً « والرحمة فوق القانون» كما يُقال ورؤوفاً وعطوفاً، بل عاطفياً تترقرق عيناه بالدموع إزاء بعض المشاهد الإنسانية. وحسب نيتشه: «ما قيمة فضيلتي إن لم تجعل منِّي إنساناً عاطفياً».

وعلى الرغم من إحساسه بالغدر في الكثير من الأحيان، إلا أنه تعامل ببعده نظر إنساني مع خصومه وأعدائه، وحسبي هنا أن أذكر بعض الحوادث ذات الدلالة، منها حادثة الجنرال علي أبو نوار رئيس الأركان العامة الذي كان على رأس حركة استهدفت النظام بالكامل في العام ١٩٥٧، واضطرَّ بعدها للعيش في المنفى حين سمح له الملك بالمغادرة وهو يعرف أنه سيتحوَّل إلى «خصم لدود» كما يذكر الملك الحسين في كتابه: «مهنتي كملك: أحاديث ملكية»، إلا أنه عفا عنه

وعاد إلى الأردن في العام ١٩٦٥، ثم عينه سفيراً في باريس العام ١٩٧١، وعضواً في مجلس الأعيان في العام ١٩٨٩.

ونستعيد أيضاً ما حصل مع الجنرال نذير رشيد الذي شارك أيضاً في المحاولة الانقلابية ضد الملك الحسين في نيسان/أبريل ١٩٥٧، وهرب على إثرها إلى سوريا، ثم صدر العفو الملكي عنه وبقيّة المعارضين العام ١٩٦٥، وعاد إلى الخدمة وعيّنه الملك مديراً للمخابرات العامة العام ١٩٧٠، ثم سفيراً وعضواً في مجلس الأعيان، وأصبح وزيراً للداخلية في حكومة عبد السلام المجالي (أبريل/ نيسان ١٩٩٧).

وأستعيد ما حصل مع الصديق ليث شبيلات كما نقله لي، فبعد أن قضى سبعة أشهر في السجن بعد الحكم عليه ٣ سنوات بتهمة «تشويه سمعة الملك» قابلته والدته طالبة إطلاق سراحه «عشيّة يوم العيد»، فقال لها «أبشري الليلة ينام لديك في البيت»، وذهب الملك الحسين بنفسه إليه في السجن واصطحبه معه بسيارته وطاف به في شوارع عمّان ليوصله إلى البيت وفاءً لوعده.

وفي الختام أقول إنّ هذه الإنسانية المرهفة والحساسية الأخلاقية الفائضة، إضافة إلى السجايا الشخصية والقيادية الاستثنائية هي التي وفّرت «الإجماع الاستثنائي» على شخصه، فحتى المعارضة لبعض الإجراءات والتوجّهات كانت تعتبره ملكاً للجميع، وتلك إحدى امتيازات الأردن. وهكذا كان رحيله صدمة وخسارة حقيقية لكل أردني وربما لكل عربي منصف، اختلف أو اتفق معه، وهو ما نستعيده اليوم بمناسبة مئوية ميلاد الدولة الأردنية.

محور العدد

الاقتصاد الاجتماعي والاستثمار  
وتداعيات جائحة كورونا



## البُعد الاقتصادي والتنموي في العالمين العربي والإسلامي في ضوء المؤشرات العالمية حول جائحة كورونا

د. محمد أبوحمور\*

تمهيد

لا شك بأن المؤشرات الناتجة عن آثار وتداعيات جائحة كورونا على المنطقة العربية ليست منفصلة عما يشهده العالم من آثار عميقة حالية وأخرى متوقعة في المستقبل غير البعيد، ووفقاً للدراسات حول العالم والإقليم فإن هذا العالم سيكون مختلفاً عما قبل الجائحة؛ بمعنى أن المنطقة العربية ستال نصيبها من التغييرات، مما يفرض علينا أن نعد الخطط والاستراتيجيات الإصلاحية والبدائل على أسس واضحة، لا تترك مجالاً أمام أي أزمة قادمة لمفاجأتنا بما هو غير متوقع، أو على الأقل بناء قدراتنا المحلية والعربية الإقليمية لتخفيف آثار الأزمات المشابهة وتقليل الخسائر ما أمكن.

### آثار الجائحة الاقتصادية والصحية والغذائية والتعليمية

أدت جائحة فيروس كورونا إلى تراجع الأمن الاقتصادي والصحي والغذائي لملايين البشر، مما دفع نحو ١٥٠ مليون شخص إلى الفقر المدقع؛ إذ أثرت الإغلاقات العامة الناجمة عن الجائحة تأثيراً شديداً على منشآت الأعمال والوظائف، وتعرض الشركات في شتى أنحاء العالم - ولا سيما المنشآت متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة في بلدان العالم النامية - لضغوط شديدة؛ إذ إن أكثر من نصفها لم تسدد ما عليها من متأخرات مستحقة الدفع أو من المرجح أن تتخلف قريباً عن السداد.

\* وزير المالية الأسبق، والأمين العام لمنتدى الفكر العربي (الأردن).

وقد تحوّلت الخسائر في الدخل لدى العديد من المناطق ولا سيما في البلدان النامية إلى تراجع ما لدى الناس من مبالغ نقدية لشراء الغذاء، في حين أنّ تعطل الأسواق والإمدادات بسبب القيود المفروضة على التنقل خلق نقصاً في المواد الغذائية وارتفاع الأسعار على المستويات المحلية، خاصة بالنسبة للأغذية القابلة للتلف، بينما ارتفعت أسعار الغذاء العالمية بنسبة ١٤٪ في عام ٢٠٢٠، كما يُظهر مؤشر أسعار الغذاء الذي يصدره البنك الدولي.

وفي ذروة الإغلاقات العامة الناجمة عن الجائحة، فرض أكثر من ١٦٠ بلداً شكلاً من أشكال إغلاق المدارس وأصبحت العملية التعليمية عن بُعد. وقد كان لهذه العملية إيجابيات على مستوى الطرف الصحي الحالي الذي فرض نفسه على العالم، ولكن تطبيق هذا التوجه في قطاع كبير مثل قطاع التعليم بمستوياته المختلفة جاء اضطراراً وليس اختياراً حراً؛ مما أظهر سلبيات شملت مختلف عناصر العملية التعليمية، حيث لم تكن الدول النامية مهيأة لتطبيق التعليم الإلكتروني على مستوى واسع وشامل وبالكفاءة المطلوبة أو المتوقعة. إن تأثر ما لا يقل عن ١,٥ مليار من الأطفال والشباب بهذه الظروف التعليمية يهدد مكتسبات التعلم حالياً، ويهدد الدخل المستقبلي لملايين الطلاب الذين سيدخلون أسواق العمل حول العالم.

كما أدت الجائحة، كما تشير عدة تقارير دولية، إلى انتكاسة شديدة في التحويلات المالية التي يرسلها المهاجرون والمغتربون، مما قطع شريان الحياة لكثير من الأسر الفقيرة في البلدان النامية؛ إذ تحظى هذه التحويلات المالية بأهمية حيوية للأسر في أنحاء العالم، ومع انحسارها، يخشى الخبراء أن يزداد معدل الفقر بأكثر مما هو عليه الآن، وأن يشهد نقص الأمن الغذائي، وفقدان السبل التي تُمكن الأسر من تحمل تكلفة الخدمات مثل الرعاية الصحية.

وحتى قبل بدء الأزمة، كان الناس في البلدان النامية يدفعون أكثر من نصف تريليون دولار من مالهم الخاص ثمناً للرعاية الصحية. ويتسبب ذلك الإنفاق في مصاعب وأعباء مالية لأكثر من ٩٠٠ مليون شخص، ويدفع حوالي ٩٠ مليون

شخص للسقوط في براثن الفقر المدقع سنوياً، وهذه دينامية من المؤكد تقريباً أنها تفاقمت بسبب الجائحة، مما يُبرز الحاجة إلى خدمات فعّالة ميسورة التكلفة في هذا الجانب.

وبفعل كل هذه الآثار التي طالت الأطر الاقتصادية والتعليمية والغذائية والصحية، فإن رأس المال البشري سيبقى معرضاً لخطر النقصان بسبب انخفاض مستويات دخل الأسر -سواء بسبب فقدان الوظائف أو توقف تحويلات المغتربين، أو العديد من العوامل الأخرى المرتبطة بالجائحة- ومع تراجع مستويات الدخل، ستُضطر الأسر إلى إجراء مفاضلات وتقديم تضحيات قد تضر بالنواتج الصحية والتعليمية لجيل كامل على مدى المتوسط والبعيد.

إنّ البلدان التي تضررت على النحو الأكبر لتداعيات الجائحة هي البلدان منخفضة الدخل والتي تعاني من ضائقة المديونية؛ إذ إنها لا تتمكن من التحرك على صعيد المالية العامة لمساعدة الفئات الفقيرة والأكثر احتياجاً. وعلى الرغم من قيام البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في أبريل من عام ٢٠٢٠ بتعليق مدفوعات خدمة الديون المستحقة على أشد البلدان فقراً، إلا أن هذا التعليق على الرغم من كونه تديراً مهماً إلا أنه يظل مؤقتاً وليس كافياً، وما لم تُتخذ المزيد من التدابير لحل مشكلة الديون، فإن السعي لتحقيق تعاف مستدام قد يتعرّض في الكثير من البلدان، بالإضافة إلى مجموعة من الأهداف الإنمائية الأخرى.

### دور الزكاة ومأسستها في التنمية والتعامل مع الأزمات

ضمن هذا الإطار أنوّه إلى «المبادرة الدولية للتضامن والتكافل الإنساني» التي أطلقتها صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال في شهر نيسان (إبريل) عام ٢٠٢٠؛ بمشاركة عدد من المؤسسات العلمية والفكرية في العالم الإسلامي ومؤسسات في أوروبا وأميركا اللاتينية، وشخصيات سياسية وعلماء كبار وأكاديميين من مختلف أنحاء العالم.

لقد هدفت هذه المبادرة إلى تأسيس التكافل الاجتماعي الإنساني والزكاة من خلال العمل على إطلاق مشروع «المؤسسة العالمية للزكاة والتكافل الإنساني»، انطلاقاً من أهمية التكاتف إزاء خطر الوباء الذي يهدد البشرية بأكملها، ولا يفرق بين الأعراق أو الألوان أو المعتقدات، أو بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وشيخ وطفل، وامرأة ورجل، فالجميع في نفس الدائرة من التعرض للتهديد وبشكل مباشر.

ومن هنا كانت دعوة سموه قبل حوال ثلاثة عقود إلى إنشاء «المؤسسة العالمية للزكاة والتكافل»، بحيث تجمع تحت مظلتها كل مؤسسات الزكاة في عالمنا للنهوض بمسؤولياتها وفق أحكام الشريعة وأبواب الزكاة الثمانية كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ - صدق الله العظيم - (سورة التوبة: الآية ٦٠).

وكل ذلك اعتماداً على أن الزكاة هي تشريع عملي مالي يغطي كل حاجات الأمة والأفراد في ما يعانونه من فقر وفاقة وبطالة، وتعزيز الاستثمار، وزيادة الإنتاجية، والتغلب على مشاكل وأزمات حادة قائمة حالياً فيما يتعلق بالماء والغذاء والتعليم والصحة والملاذ.

وفي ضوء ذلك، فقد أبرزت إحدى الدراسات أن حجم الأموال والمشتقات المالية والمعادن والمصانع والبتروول والغاز والصناعات المدنية والحربية وغيرها، في العالم الإسلامي وفي البورصات العالمية يبلغ مجموعها الكلي وباحتساب نسبة الزكاة ٥, ٢٪ ما قيمته ٢ تريليونات و ٢٧٠ مليار دولار. وتبلغ نسبة الفقر في العالم أقل من ١٠٪ وعدد الفقراء الذين يحصلون على أقل من ١, ٥ دولار في اليوم الواحد بحدود ٧٠٢ مليون فقير. أي أن الزكاة تكفل إنهاء الفقر على وجه الأرض.

لكن من أجل الوصول إلى هذه النتيجة فهناك شروط ومتطلبات لا تقل أهمية عن استثمار هذه العوائد في التنمية الشاملة؛ بل لا بد من مقومات تضمن التنفيذ



السليم لمصارف الزكاة في مختلف مجالات التنمية وحماية المجتمعات العربية والإسلامية من فجوات الفقر التي تؤدي بالنتيجة إلى القضاء على الاستقرار للشعوب والدول على السواء.

ومن الضروري وضع خطط لإعادة الاستثمار والتنمية إلى سلم الأولويات في مستقبل العالمين العربي والإسلامي، وتأكيد دور الشعوب كفاعل أساسي في التنمية وليس موضوعاً لها فحسب، وبحيث يعمل الاقتصاد كأداة تخدم التنمية، وليس العكس في أن تسخر التنمية لخدمة الاقتصاد فحسب. فالمعادلة تتعلق بالقدرة الاحتمالية للأرض والموارد والاقتصاد في خدمة الإنسان وتوفير الأمن الإنساني.

وللزكاة دور في حل مشكلة الأعباء الضريبية التي يعاني منها ليس البلاد العربية والإسلامية فقط، ولكن دول كثيرة في العالم النامي والمتقدم؛ إذ أصبحت هذه الدول تجد صعوبات في الموازنة بين الأعباء الضريبية والنمو الآخذ بالتراجع. إضافة لدور الزكاة ومأسستها في الاستقرار والتنمية، من حيث تخفيض معدلات الفقر والبطالة، وتحسين مستويات الرعاية الصحية والحماية الاجتماعية، فضلاً عن الإسهام في إقامة المشاريع الإنتاجية الصغيرة والمتوسطة، والمساعدة في تلافي الخلل الذي يحدث نتيجة تعثر الناس في سداد قروضهم أو إيجاد المال لممارسة أعمالهم الخاصة.

إن مسألة الزكاة ليست اقتصادية صرفة بقدر ما هي أيضاً اجتماعية تكافلية قيمة في انتشار الفقراء من فقرهم، وتحقيق العدالة الاجتماعية، بين كل المقيمين في ديار الإسلام، وهي أيضاً دعوة إلى إعادة هيكلة الاقتصادات العربية والإسلامية لإيجاد حلول جذرية إزاء الأزمات الإنسانية بالدرجة الأولى، وكذلك المالية والاقتصادية، الحالية والمتوقعة.

#### مساندة المواجهة للتعامل مع آثار الجائحة وتحدياتها

إضافة إلى ما سبق فهناك حاجة لنظرة شمولية لوسائل التعامل مع التحديات نتيجة التهديد الذي تتعرض له الأهداف والمكاسب الإنمائية بسبب آثار الجائحة

والمشكلات المناخية، والتي تؤثر على إمدادات المياه والهواء والغذاء، وارتفاع حرارة الكوكب، وزيادة الأمراض بفعل ضغوطات الديموغرافيا والاقتصاد، مما يدعونا إلى التفكير بتحويل كل هذه التحديات إلى فرص، والاستفادة من هذه الفرص بشكل كامل، خاصة في تطوير التنمية المستدامة والتي لا يمكن أن يتم على الوجه السليم دونما إصلاح السياسات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية؛ سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي، أو من خلال قنوات التفاعل مع المستجدات الاقتصادية في العالم.

ثم من الأهمية بمكان أن نعيد توفير الظروف الملائمة لنمو وازدهار القطاعات الإنتاجية والخدمية، وللتكامل بين مختلف القطاعات الاقتصادية. ولعل ما أثبتته الصناعات الوطنية خلال الأزمة الراهنة من قدرة على توفير احتياجات السوق المحلي، بالرغم ما أصاب سلاسل التوريد والإنتاج نتيجة لسياسات الإغلاق والتباعد والتنافس الصراعي بين القوى الاقتصادية الكبرى، يشكل بحد ذاته تجربة حريّة بالتطوير والتحسين وتجاوز آفة المشاريع المتقطعة.

المسألة الأخرى هي ضرورة إزالة المعوقات عن تقدم الشراكة بين القطاعين الخاص والعام، وزيادة الشفافية والوضوح في تنفيذ المشاريع ضمن سلسلة تنموية تحقق العدالة وخدمة المواطنين وتحسين معيشتهم. وإذا كانت الظروف الحالية للجائحة تحول دون تنفيذ مشاريع جديدة، فينبغي الاستفادة من الوقت بتوفير المتطلبات وصنع الفرص أو الإسهام في صنعها لاستثمارها في الوقت المناسب.

ما يزال التحدي الأكبر الذي يواجهنا هو البطالة التي ما تزال ترتفع معدلاتها وتحتاج إلى العمل بشكل مكثف لخفضها ما أمكن، والاحتياط من ترحيلها أو تأجيلها. وفي هذا السياق تبرز لنا أهمية وضع استراتيجيات واضحة وعادلة لدعم الإبداع والابتكار والتأهيل والتدريب، ومراعاة التوازن في الموارد البشرية والمالية والاقتصادية، حتى لا تظل البطالة معضلة مجتمعاتنا المؤرقة ومدار انشغال إدارة السياسات والخطط التنموية.

وفي عصر الثورة الصناعية الرابعة نحن بحاجة إلى بناء اقتصاد رقمي معتمد على الابتكار، وتنمية القطاع الخاص، وإزالة العوائق بين الاستثمارات البينية بين الدول العربية، وتحديث الهياكل الإنتاجية، وتوطين التكنولوجيا، فضلاً عن توفير الأمن البيئي في إطار حفظ السلم والاستقرار على جميع الصعد، بما يضمن العدالة الاجتماعية سواء في توزيع الفرص أو الثروات والمكتسبات التنموية، والديمقراطية والتشاركية بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني.

ولا بد من التأكيد أيضاً بأن النظرة الشمولية لمشكلات التنمية العربية تحتاج إلى تناول متداخل الاختصاصات؛ بمعنى أننا في الشق الاقتصادي يجب أن لا نغفل الشق الاجتماعي والسياسي والثقافي، فلا بد لنا من رؤى نابعة من رصد وتحليل مشكلات البنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وربطها بالخطط والاستراتيجيات التنموية وصيغ علاج قابلة للتطبيق من أجل تحقيق التنمية المستدامة والاستجابة بفاعلية ومرونة للتحديات؛ إذ يجب على هذه الرؤى والخطط أن تركز بشكل كامل على بناء الإنسان وحفظ كرامته.

لقد أكدت الجائحة على أن التعليم والرعاية الصحية والبيئة وفرص العمل والملاذ، إضافة إلى متطلبات التكنولوجيا مع دخول عصر الثورة الصناعية الرابعة، أصبحت أولويات في حياة البشر، ولا بد من الإسراع في عمل دولي جاد يحدد أسس المستقبل الإنساني على وجه الكرة الأرضية، وتنفيذ المواثيق الدولية على نحو يخفف ظواهر المعاناة بل أخطارها على الإنسان نفسه وعلى العالم ككل.

## خاتمة

أؤكد مرة أخرى أن دول المنطقة وهي تواجه تحديات جائحة كورونا صحياً واقتصادياً على المدى المتوسط، يبرز أمامها التضامن كأولوية رئيسية، وبالتالي فإن الفرصة التي توجد لها هذه التحديات ينبغي أن تتبلور في خطط لتعزيز الإنتاجية، واستثمار التكنولوجيا، وتحفيز الاستثمارات المحلية، وكذلك الاستثمارات البينية العربية، وجذب الاستثمارات الخارجية، وتمكين الشراكة الواقعية والحقيقية بين

القطاعات العام والخاص، والتواصل بين القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، مع توفير أجواء الثقة، والاستفادة من التجارب الشعبي للإجراءات التي اتخذت خلال مواجهة الجائحة في حينها.

هناك دروس من تجاربنا عربياً وتجارب الدول الأخرى ينبغي أيضاً الاستفادة منها في تحقيق انسجام أفضل بين دوافع النمو المحلية والدولية، فالجميع أصبحوا اليوم في مركب واحد، والجميع يسعون للتعافي من آثار الجائحة في أقصر فترة ممكنة من أجل أن تستعيد الاقتصادات عافيتها، وتعود الحياة إلى طبيعتها. هذا هدف واحد للجميع ينبغي الالتفاف حوله.

لقد أدرك العالم أن الخطر يشملهم، ولذلك فإن إجراءات المواجهة ستكون غير مجدية إذا كانت لكل دولة على انفراد، فالتضامن الإقليمي مصدر قوة للتضامن الدولي الإنساني، وحسن استخدام الموارد في كل دولة بشكل موضوعي ومنطقي هو جزء من قوة المجموع، والعكس صحيح، فإن ترك الضعيف سيترك الفجوات في ازدياد في المستقبل واتساع باتجاه الآخرين، فالجائحة شكلت تحدياً صحياً أصاب كل مناحي الحياة وقطاعات الإنتاج ولم يفرق بين قوي وضعيف. لكن من المهم هنا التأكيد على دعم القوة المؤسسية المحلية أيضاً، لأنها تتيح الاعتماد على الذات والاكتفاء الذاتي في الوقت الذي تتراجع فيه العولمة وتتأثر التبادلات التجارية بين الدول.

## الاقتصاد الاجتماعي ودوره في تخفيف الأزمات والجوائح

أ.د. علي محيي الدين القره داغي\*

### التعريف بعلم الاقتصاد

تعددت تعريفات علم الاقتصاد لدى الاقتصاديين الغربيين، فعرفه آدم سميث (ت ١٧٩٠م) بأنه العلم الذي يدرس الكيفية التي تمكن الأمة من أن تغتني<sup>(١)</sup>. وعرفه إلفريد مارشال (ت ١٩٢٤م) بأنه علم يبحث في كيفية حصول الإنسان على دخله، وكيفية استعمال هذا الدخل<sup>(٢)</sup>. وعرفه بيجو بأنه الدراسة التي تعنى بزيادة الرفاهية<sup>(٣)</sup> وقال آخرون: إنه دراسة لسلوك الإنسان من جهة تعلقه باستعمال الموارد النادرة في إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها<sup>(٤)</sup>.

وأعتقد أنه في الإسلام علم يتضمن مبادئ عامة وقواعد كلية لإدارة الأموال بما يحقق طيبات الدنيا والآخرة لأصحابها، والتنمية للمجتمع.

والخلاصة أن علم الاقتصاد يدور حول دراسة الحياة الاقتصادية من جميع نواحيها<sup>(٥)</sup> أو بعبارة أخرى فهو يبحث عن أساليب إنتاجية وتوزيعية تمكن

---

\* الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين (قطر).

(١) د. عمرو محيي الدين، ود. عبد الرحمن يسري: مبادئ علم الاقتصاد ط. دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤ ص (ح).

(٢) كتابه: مبادئ الاقتصاد، ط. ١٩٨٠، مشار إليه في المرجع السابق ص (ح).

(٣) يراجع كتابنا: الحقيقة الاقتصادية، الطبعة الثانية، الكتاب الثاني، ومصادره المعتمدة ط. دار البشائر الإسلامية / بيروت ٢٠٢١م.

(٤) يراجع كتابنا: الحقيقة الاقتصادية، الطبعة الثانية، الكتاب الثاني، ومصادره المعتمدة ط. دار البشائر الإسلامية / بيروت ٢٠٢١م.

(٥) يراجع كتابنا: الحقيقة الاقتصادية، الطبعة الثانية، الكتاب الثاني، ومصادره المعتمدة ط. دار البشائر الإسلامية / بيروت ٢٠٢١م.

المجتمع من استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة له بكفاءة لإنتاج مختلف السلع التي يرغب فيها<sup>(٦)</sup>.

فعلى ضوء ذلك فإن علم الاقتصاد يختلف عن المذاهب والنظم الاقتصادية، إذ إن النظام الاقتصادي هو الطريقة التي يفضل المجتمع اتباعها في حياته الاقتصادية، وحل مشاكله العملية، فالنظام الاقتصادي يرتبط بإيديولوجية المجتمع للعدالة الاجتماعية فيما يخص الملكية، ووسائل التملك، والحرية ونحوها<sup>(٧)</sup>.

### التعريف بالاجتماعية

الاجتماعية نسبة إلى الاجتماع، وهو لغة: مصدر جمع<sup>(٨)</sup> ويراد به في هذا المقام: رعاية الجوانب الاجتماعية ومنه علم الاجتماع، الذي يبحث عن نشوء الجماعات الإنسانية، ونموها، وطبيعتها، وسننها، ونظمها، ويقال: رجل اجتماعي، أي زاول الحياة الاجتماعية<sup>(٩)</sup>.

### الفرق بين المسؤولية المجتمعية، والمسؤولية الاجتماعية

تبين لي من خلال دراستي لمعظم ما كتب حول هذين المصطلحين، استعمال بعض الباحثين المصطلحين أحدهما مكان الآخر، أو عدم التفرقة بينهما، حيث يذكرون مع مصطلح (المسؤولية المجتمعية) كل ما قيل حول (المسؤولية الاجتماعية)، والعكس أيضاً صحيح.

والسبب في ذلك أن مصدر المصطلحين واحد، وهو (اجتمع)، ولكن بعض الباحثين ذكروا الفروق بينهما، فقالوا: إن لفظ (الاجتماعي) يشير إلى

(٦) يراجع كتابنا: الحقيقة الاقتصادية، الطبعة الثانية، الكتاب الثاني، ومصادره المعتمدة ط. دار البشائر الإسلامية / بيروت ٢٠٢١م.

(٧) د. محمد عبد النعم عفر: نحو النظرية الاقتصادية في الإسلام ط. الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ١٤٠١هـ.

(٨) يراجع: لسان العرب، والمعجم الوسيط، والمصباح المنير مادة (جمع).

(٩) المعجم الوسيط ط. قطر (١/١٣٥) ورمز له (مج) أي أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الجانب الاجتماعي من حيث علاقاته الاجتماعية، ولذلك يقال: الإنسان حيوان اجتماعي، أي لا يعيش منعزلاً، والقيم الاجتماعية، والسياسات الاجتماعية، والعدالة الاجتماعية، والنسيج الاجتماعي.

وأما لفظ (مجتمعي) فيستعمل عند علماء الاجتماع في الأمور المتعلقة بالمجتمع، ولذلك يقال: القيم المجتمعية، والتغيرات المجتمعية، والتهديدات المجتمعية<sup>(١٠)</sup>.

والذي يظهر لي هو أن (المسؤولية المجتمعية) أعم من (المسؤولية الاجتماعية) التي تحدد معناها - إلى حد كبير - بالمبادرات الطوعية والخيرية من المؤسسات المالية بناء على المسؤولية الأخلاقية دون التزام قانوني، وأما المسؤولية المجتمعية فيراد بها: مسؤولية المؤسسات المالية نحو مجتمعها اقتصادياً واجتماعياً وغير ذلك.

#### استقلالية علم الاقتصاد، ومشاركته مع العلوم الاجتماعية

إن علم الاقتصاد كان ضمن العلوم الاجتماعية ثم استقل عنها بسبب تطور المعارف الإنسانية، ولكن بقيت المشتركات بينهما، فالعالم الاقتصادي عندما يريد رسم السياسات الاقتصادية لأجل النمو الاقتصادي، وتحقيق التوزيع العادل يحتاج إلى علم الاجتماع لمعرفة التركيبة السكانية، والمستوى الثقافي ونحوهما.

وكذلك نجد مشتركات بين علم الاقتصاد وعلم السياسة، فمثلاً تصاغ السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية وفقاً للسياسة العامة للدولة من كونها رأسمالية، أو اشتراكية، أو إسلامية. وبالإضافة إلى ما سبق فإن العلاقات الاقتصادية بين الدول تتأثر بالعلاقات السياسية سلباً وإيجاباً، زيادة ونقصاناً.

---

(١٠) د. أحمد إبراهيم خضر: مقالته المنشورة في موقع (بوابتي) بعنوان: الفرق بين مصطلحي (اجتماعي) و (مجتمعي).

كما أن للاقتصاد علاقة وثيقة بعلم الإحصاء والرياضيات لحاجته إليهما لتحليل البيانات والأنشطة المختلفة، وبخاصة فيما يتعلق بالنتائج القومي وإحصائية السكان، ونسبة النمو السكاني وغير ذلك، بل إن له علاقة أيضاً بعلم التاريخ من خلال الاستفادة من التاريخ الاقتصادي، ومن الحلول السابقة<sup>(١١)</sup>.

### الاقتصاد وعلم الاجتماع

علم الاجتماع يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها، وطبيعتها وقوانينها ونظمها، وبالتالي فهو مختلف عن علم الاقتصاد الذي يبحث عن تنمية المال وكيفية غنى الأمة، وإن كانا يتفقان من حيث كونهما يتعلقان بأنشطة الإنسان.

### المسؤولية المجتمعية للشركات، والمؤسسات المالية

- والمسؤولية المجتمعية للشركات، والمؤسسات المالية، تشمل ما يأتي:
- (١) احترام القوانين واللوائح التنظيمية والاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها مع جميع الأطراف بمن فيهم القوى العاملة لديها، وفقاً للمعايير العالية في القيم والأخلاق.
  - (٢) معالجة جميع الآثار السلبية لأنشطتها على الفرد والمجتمع، والبيئة إن وجدت.
  - (٣) الالتزام الذاتي والأخلاقي بالمساهمة المادية والمعنوية التي تقدمها المؤسسة للمجتمع لتنميته، والنهوض به وبالقوى العاملة في المؤسسة أيضاً.
  - (٤) المساهمة طوعاً في التنمية المستدامة والصحة العامة، ورفاهية المجتمع من خلال سلوك حضاري أخلاقي مصحوب بالبذل والعطاء أيضاً.

(١١) المصادر والمراجع السابقة.



(٥) التزام الشركة أو المؤسسة في ممارساتها التجارية والشفافية والانفتاح الإيجابي، وفقاً للمبادئ الأخلاقية<sup>(١٢)</sup>.

### عناصر المسؤولية المجتمعية

تتكون عناصر المسؤولية المجتمعية مما يأتي:

- ١- الجهة الملتزمة (دينياً أو أخلاقياً، أو قانونياً) وهي المؤسسات المالية في موضوعنا.
- ٢- مكان العمل (الموظفون، وأدوات العمل، وحاجياته).
- ٣- أصحاب المصلحة (الشركاء في القطاع الحكومي، والجهات الأخرى).
- ٤- المجتمع.
- ٥- البيئة (كوكب الأرض وما يحيط به).

فهذه العناصر الخمسة هي الركائز الأساسية، والعناصر الأربعة الأخيرة هي المستهدفة أيضاً، ويدل على هذه الشمولية قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾<sup>(١٣)</sup> أي أن الله تعالى خلق الأرض وأصلحها وهياها لجميع الخلق (أي المخلوقات) فهم جميعاً شركاء في الأرض وما يحيط بها.

### المبادئ الأممية للمسؤولية الاجتماعية

تركز منظمة الأمم المتحدة في المسؤولية الاجتماعية على مجموعة من المبادئ العامة، وهي:

- ١- الالتزام بتنفيذ إصدارات شهادة الجودة مثل الإيزو.
- ٢- الالتزام بقواعد السلوك.

(١٢) المصادر والمراجع السابقة.

(١٣) (سورة الرحمن: ١٠)، ويراجع معناها في: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الرازي، وغيرها.

- ٣- الالتزام باتخاذ قرارات تلاحظ فيها المسؤولية الاجتماعية.
- ٤- تعميم الأنشطة بما يتفق مع الحالة الاقتصادية والوضع الثقافي للمجتمع.
- ٥- إطلاق مبادرات خيرية تطوعية.
- ٦- تنفيذ الاستراتيجيات التي تحقق الربح للمجتمع والمؤسسة معاً<sup>(١٤)</sup>.

وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن تتجه سياسات المؤسسة المالية، نحو ما يأتي:

- أ- احترام المؤسسة للبيئة الداخلية (جميع العاملين فيها) والبيئة الخارجية.
- ب- تقديم مشروعات تخدم المجتمع.
- ج- حماية البيئة، وتحسينها.

#### فوائد المسؤولية الاجتماعية

- أولاً - فوائدها على المؤسسة المالية تكمن فيما يأتي:
- أ- في أداء واجبها الديني والأخلاقي.
  - ب- ومساهمتها في تحسين البيئة الداخلية والخارجية.
  - ج- تحقيق السمعة الطيبة، وتحسين صورتها وهذا بلا شك يفيدها من حيث التسويق، وإقبال الناس عليها.
  - د- وبالإضافة إلى ما سبق فإن تحسين ظروف المجتمع يعود بالنفع على المؤسسة نفسها.
- ثانياً- فوائدها على المجتمع تكمن في تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي وغيرها.
- ثالثاً- أما فوائدها على الدولة فكثيرة أيضاً في تحقيق الأمن والأمان والتنمية الشاملة<sup>(١٥)</sup>.

(١٤) المراجع والمصادر السابقة.

(١٥) المصادر والمراجع السابقة.

## دور المؤسسات المالية الإسلامية في تحقيق الاقتصاد الاجتماعي، وواجباتها الأخلاقية

إن المراد بالمصرفية الاجتماعية - بإيجاز- أن تتمخض المؤسسة المالية بجميع أنشطتها المالية والتمويلية، أو بأكثرها في النشاط التنموي، والتمويل الاجتماعي.

وبالتالي فهناك أربع صور لتحقيق ذلك، وهي:

**الصورة الأولى:** أن تقوم الدولة بإنشاء بنك اجتماعي، وهذا موجود في بعض الدول، مثل بنك ناصر الاجتماعي بمصر، ومثل بنك التنمية بدولة قطر.

وفي هذه الحالة يستهدف البنك تحقيق التنمية الاجتماعية، والمشاركة الفعالة في المسؤولية المجتمعية، والتمويل الاجتماعي، وهذا لا يعني أن البنك يمول جميع الأنشطة التمويلية مجاناً وعن طريق القرض الحسن، بل يستطيع أن يقسم أعماله على ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: تمويل الحالات التي لها الأولوية في التنمية، والمسؤولية المجتمعية مثل القروض الإسكانية، والتعليمية، والصحية، ففي هذه الحالة يمكن للبنك أن يمولها عن أحد الطريقتين:  
أ- طريق القرض الحسن دون أي زيادة.

ب- طريق القرض الحسن، مع تحميل المتعاملين تكلفة المصروفات الإدارية، كما هو الحال في معظم أنشطة بنك قطر للتنمية، وحتى تبعد هذه الزيادة (المصروفات الإدارية) عن شبهة الربا، قمنا بإجراء عقدين: عقد القرض الحسن دون أي زيادة في جميع الأحوال، والعقد الثاني: عقد الوكالة بأجر وإدارة القروض في مقابل مبلغ المصروفات الإدارية الفعلية، يوزع على جميع سنوات الأداء.

وكذلك حتى نبعد عن أي شبهة أخرى، فقد قمنا بتكليف فريق الإدارة التنفيذية في بنك قطر للتنمية بتحديد المصروفات الفعلية لقسم القروض الحسنة، وعندئذ قررنا وحددنا الإجمالي الفعلي، ثم بعد ذلك فلا مانع أن

يحسب على أساس النسبة المئوية بشرطين: فصل هذه الزيادة عن عقد القرض، وإدراجه في عقد الوكالة والإدارة<sup>(١٦)</sup>.

- النوع الثاني: تمويل الحالات التمويلة الاجتماعية، ولكنها أقل أهمية اجتماعية من النوع الأول، ففي هذه الحالات يقوم البنك بتمويلها بربح أقل من سعر السوق.
- النوع الثالث: تمويل الحالات العادية (أي غير النوعين الأولين) وهنا يمولها البنك حسب سعر السوق، وأعتقد أن البنك في المآل يربح، ولكن أقل من البنوك التجارية المحضة.

**الصورة الثانية:** أن يقوم القطاع الخاص بإنشاء بنك إسلامي يقوم على التمويل وفقاً للأنواع الثلاثة المذكورة في الصورة الأولى، مع وجود المبادرات الطوعية لتحقيق المسؤولية المجتمعية والاجتماعية.

**الصورة الثالثة:** إنشاء بنك إسلامي من طرف القطاع الخاص يقوم على الجمع بين ثلاث حالات:

- الحالة الأولى: تمويل جميع الحالات الاجتماعية التنموية المذكورة في النوعين الأول والثاني من الصورة الأولى على أساس التمويل بربح أقل من السوق والبنوك التجارية المحضة.
- الحالة الثانية: القيام بالمبادرات لتحقيق المسؤولية المجتمعية بتخصيص جزء من أرباحها، وما يتجمع لديه من أموال الزكاة والتنقية، للتمويل الاجتماعي بدون أي ربح وزيادة أو مع الاكتفاء بالمصرفيات الفعلية، وهذه المبادرات إنما تكون فعالة إذا كان هناك نص في النظام الأساسي للمؤسسة ينص على تخصيص نسبة من

---

(١٦) كان بنك قطر للتنمية يمنح القروض للمواطنين لبناء السكن بنسبة ٢٪، فعندما سألوني عن ذلك، أحببتهم؛ هذا غير جائز، بل الزيادة ربا، والتقيت بالمسؤولين فرفعوا الأمر إلى مجلس الوزراء، فوافق مشكوراً على ذلك، وحينئذ قمنا مع الإدارة بحسبة المصرفيات الإدارية الفعلية التي يتكدها البنك، وفصلها عن عقد القرض الحسن، من خلال عقد الوكالة والإدارة، كما ذكرناه.

الربح، وما يتجمع لديه لصالح التمويل الاجتماعي دون ربح وزيادة، أو مع الاكتفاء بأخذ المصروفات الإدارية فقط.

- الحالة الثالثة: تمويل بقية الأنشطة العادية وفقاً لأسعار السوق.

الصورة الرابعة: الاكتفاء من المؤسسة بالمبادرات الطوعية الأخلاقية لتحقيق المسؤولية المجتمعية والاجتماعية.

### ثالثاً- ميزات المصارف الاجتماعية وخصائصها

ومن أهمها، أنها تخدم المجتمع، وتحقق المسؤولية المجتمعية والاجتماعية.

### رابعاً- التأصيل الفقهي للمصرفية المجتمعية

ويتلخص فيما يأتي:

١- فلسفة الاقتصاد الإسلامي في النظر إلى المال، حيث إن له وظيفة اجتماعية، ولذلك نرى أن معظم الحقوق، والقيود الواردة على المال حقوق، وقيود لمصلحة المجتمع.

٢- إن المسؤولية في الإسلام مسؤولية فردية، وجماعية، وحكومية، كما أنها تشمل مسؤولية المؤسسات المالية عن مجتمعها.

٣- إن فروض الكفايات هي واجبات كفائية لصالح المجتمع، وبما أن تحقيق التنمية الاجتماعية، والقضاء (أو التخفيف) على الفقر والبطالة والمرض ونحوها من الأمراض الاجتماعية من الواجبات الشرعية الكفائية، فإن إلزام المؤسسات المالية بالمسؤولية المجتمعية، أو التزامها بالمسؤولية الاجتماعية أمر مقبول شرعاً، ومنسجم مع الاقتصاد الإسلامي، بل مطلوب شرعاً وداخل في موجبات الأخوة الإيمانية، وفي مبدأ التكافل الاجتماعي - كما دلت عليه الأدلة - منها الآيات والأحاديث على وجوب الولاية والتكافل بين المسلمين، وأنهم كجسد واحد، وأنهم جميعاً في سفينة واحدة... الخ.

### خامساً- الإطار المقاصدي للمصرف الاجتماعي

انطلقت في هذا المجال عن المنظومة المقاصدية التي يشمل مقاصد خلق الكون، وخلق الإنسان، والمقاصد العامة للشريعة، والخاصة بالمال، والجزئية للصيرفة الاجتماعية بالإضافة إلى مقاصد المكلفين، وفقه المآلات، وسد الذرائع، فوجدت أنها كلها تتسجم مع المسؤولية المجتمعية والاجتماعية وتؤكد على ضرورة تفعيلها، وبخاصة مقصداً أمن المجتمع، وأمن الدولة اللذان جعلتهما من المقاصد العامة لأدلة معتبرة.

### سادساً- الفروق الجوهرية بين المصارف الاجتماعية الإسلامية، والمصارف الاجتماعية التقليدية

لا شك أن الفروق تكمن في الأصول والأسس الخاصة بالمصارف الإسلامية من الالتزام بأحكام الشريعة، ومبادئها في حظر الربا، والغرر والغش والتدليس وبقية المحرمات.

وكذلك في الالتزام بالعقود الشرعية، والالتزام بالاستثمار والتمويل على أساس العقود المشروعة بعيدة عن الإقراض والاقتراض على أساس الفائدة.

والخلاصة أن الفروق بينهما هي نفس الفروق الموجودة بين المصرف الإسلامي، والبنك التقليدي (الربوي) بالإضافة إلى واجب الأخوة الإيمانية والتكافل الإسلامي الذي يفرضه الإسلام على المسلمين ومؤسساتهم بأوامر دينية وأخلاقية ملزمة.

وأخيراً فإنني أتطلع إلى تحقيق المصرفية الاجتماعية بصورها الأربع.

## الضمان الاجتماعي: نحو نموذج مُحدَّث للتعامل مع الأنماط المستجدة من التحديات

د. حازم الرحاحلة\*

أكثر من أربعة عقود مرت على إطلاق المغفور له بإذن الله، جلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه، للمؤسسة العامة للضمان الاجتماعي. واليوم، ونحن نحتفل بمئوية الدولة الأردنية، أصبحت هذه المؤسسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكل بيت وأسرة وعامل على أرض المملكة، وتلعب دوراً حيوياً ومفصلياً في دعم اقتصادنا الوطني. فالمؤسسة اليوم تمثل إحدى قصص النجاح الباهرة لمؤسساتنا الوطنية التي بزغت وتطورت وترسخت خلال المئوية الأولى من عمر مملكتنا الأردنية الهاشمية.

منذ نشأتها وانطلاقاً من مسؤولياتها واستجابة لمعطيات ومقتضيات الحماية الاجتماعية، عملت المؤسسة بشكل مستمر على تطوير نهجها وأدوارها وآليات عملها. مسيرة المؤسسة تمثلت بداية في وضع حجر الأساس لمنظومة وطنية مؤسسية للحماية الاجتماعية، وقد نجحت إلى حد بعيد في تحقيق ذلك على مدار العقود الأربعة الماضية، فالיום ينضوي تحت مظلتها أكثر من مليون و ٣٠٠ ألف عامل، ويتلقى نحو ربع مليون شخص رواتب تقاعدية. وهذه المسيرة تراكمت مع اضطلاعها بدور اقتصادي محوري، فبعدما تركزت مسؤوليات المؤسسة خلال السنوات الأولى من إطلاقها على شمول المنشآت الكبرى، أخذت مظلة الضمان الاجتماعي بالتوسع تدريجياً لتشمل المنشآت الأصغر حجماً. وفي إطار توحيد أنظمة الحماية الاجتماعية بين العاملين في القطاع العام والخاص، تم في عام ١٩٩٥ البدء بشمول العاملين الجدد في الوزارات والمؤسسات الحكومية، ومن ثم

---

\* مدير عام المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي (الأردن).

تطبيق النهج ذاته على منتسبي القوات المسلحة الأردنية والأجهزة الأمنية وذلك اعتباراً من عام ٢٠٠٣. كما شرعت المؤسسة بشمول المنشآت التي تشغل أقل من ٥ عمال اعتباراً من ٢٠٠٨، ومن ثم العاملين لحسابهم الخاص اعتباراً من ٢٠١٥.

**الضمان الاجتماعي شكل ركيزة أساسية لنشأة العديد من الأنشطة الاقتصادية**

على مدار العقود الأربعة الماضية، ترسخت علاقة المؤسسة مع مجتمعنا واقتصادنا الوطني، فالمؤسسة اليوم تؤمن رواتب تقاعدية لنحو ربع مليون أسرة، وتشمل تحت مظلتها أكثر من مليون ٣٠٠ ألف مشترك. كما كان لها دور كبير في نشأة وتطور العديد من الأنشطة الفاعلة في اقتصادنا الوطني، ومن بينها القطاع السياحي الذي كان أول المستثمرين، وهو ما شكل حافزاً كبيراً لدخول القطاع الخاص الذي تمكن بعد ذلك من تطويره والارتقاء به حتى أصبح يساهم بفعالية في اقتصادنا الوطني. والأمر ذاته ينطبق على العديد من الأنشطة الاقتصادية كالقطاع المصرفي والتعدين وغيرها من الأنشطة.

**توسعة نطاق الشمول بالضمان الاجتماعي: ضرورة وليست خياراً**

وبالرغم من كافة الجهود المبذولة لضم جميع العاملين على أرض المملكة تحت مظلة الضمان الاجتماعي؛ لا زالت هناك فئة يقدر حجمها بنحو ٣٥٪ من القوى العاملة خارج تلك المظلة، وغالبها يعمل في المنشآت الصغرى أو يعمل لحسابه الخاص، وهم بالمناسبة من أكثر الفئات حاجة لبرامج وحزم الحماية الاجتماعية. ومن منطلق إدراك المؤسسة لأهمية وضرورة توفير الحماية لتلك الفئات الأكثر هشاشة، وتماشياً مع التوجيهات الملكية في إيلاء اهتمام خاص لتلك الفئات، عملت المؤسسة على مدار العامين الماضيين على تطوير عدد من الأنظمة التي من شأنها تسريع وتبسيط إجراءات شمولهم تحت مظلتها. ومن أهم ملامح البرامج المتعلقة بتلك الفئات مراعاتها للقدرات المالية لهم من حيث مرونة الاشتراكات، وآليات السداد، وخيارات تتعلق بالشمول الفوري. ومن الأمثلة على تلك البرامج برنامج بادر للمنشآت غير المشمولة بالضمان الاجتماعي، وتلك التي لا تقوم بشمول عمالها بشكل كامل، حيث يمنحهم البرنامج خيار شمول العاملين بشكل فوري دون العودة إلى الفترات السابقة من عملهم، وهو ما يعني عدم تحمل هذه المنشآت اشتراكات



وفوائد وغرامات عن الفترات السابقة غير المشمولة. بالإضافة إلى ذلك، أطلقت المؤسسة برنامجاً لشمول العاملين لحسابهم الخاص وفقاً للترتيبات الجديدة التي تم اعتمادها في نظام الشمول المعدل، وسيترافق ذلك مع إطلاق برنامج جديد لدعم اشتراكات هذه الفئات بتمويل عدد من الدول والجهات المانحة.

وبالرغم من التحديات الاقتصادية التي شهدتها الأردن والعالم خلال عام ٢٠٢٠، إلا أن التعديلات التي طرأت على المنظومة التأمينية والتنسيق المباشر مع مختلف الجهات، أسهمت في شمول أكثر من ٢٢ ألف منشأة جديدة تضم أكثر من ٥٠ ألف عامل. وعليه، فقد وضعت المؤسسة خطة متكاملة لتحقيق هدفها لتوسعة الشمول، التي تستهدف شمول نحو ١٠٠ ألف عامل جديد تحت مظلتها بحلول نهاية العام الحالي.

### ننتقل إلى المؤوية الثانية بمنظومة تأمينية أكثر شمولاً

بعد نحو ثلاثة عقود على نشأتها، واستجابة لتوجيهات جلالة الملك عبد الله الثاني، توسعت مؤسسة الضمان الاجتماعي بمفهوم الحماية الاجتماعية، من خلال التعامل مع بعض الثغرات التأمينية التي كانت حاضرة في قانونها السابق بما يحقق المزيد من العدالة وحماية الفئات الأقل أجراً، فبعد حوار وطني استمر لسنوات، شرعت المؤسسة في عام ٢٠١٠ إلى إصدار قانون جديد رسخ نهجاً جديداً ومعاصراً للحماية والتأمينات الاجتماعية، تضمن استحداث تأمينين محوريين، تأمين التعتل عن العمل وتأمين الأمومة، اللذين أصبحا يضطلعان بدور كبير وفاعل في الحماية الاجتماعية، وعززتا منظومة سوق العمل. لقد شكل القانون المؤقت لعام ٢٠١٠، وإقرار جانب كبير من مضامينه في قانون ٢٠١٤، دفعة قوية لصلابة النظام التأميني واستدامته المالية، وأصبحت أية إجراءات إصلاحية يتم اتخاذها لاحقاً لتعزيز الاستدامة المالية للمؤسسة أقل حدة وأضيق نطاقاً. كما أقدمت المؤسسة على خطوة استراتيجية تمثلت في استحداث تأمينين محوريين لدعم مشاركة المرأة في سوق العمل من خلال تأمين الأمومة، ودعم الاستقرار المعيشي والاقتصادي، من خلال تأمين التعتل عن العمل، الذي استحدث أساساً لمساندة المشتركين وتمكينهم من التعايش مع الظروف الاستثنائية التي يمكن أن

تواجههم، وكانت البدايات مع المخاطر المرتبطة بفقدان العمل ومن ثم تطور الدور إلى تمكين المشتركين بالصندوق من تحمل الكلف المرتبطة بالتعليم والصحة لهم ولأسرهم.

أصبح الوضع المالي للمؤسسة أكثر رصانة، خصوصاً بعد التعديلات الأخير على قانون الضمان الاجتماعي في عام ٢٠١٩، الذي جاء ليحد من ظاهرة التقاعد المبكر بين المشتركين الجدد، فضلاً عن الإجراءات والتدابير التي اتخذتها المؤسسة لضبط أي مخالفات لقانونها مرتبطة بعودة المتقاعدين مبكراً إلى سوق العمل دون إشعارها بذلك، وأصبح لدى المؤسسة الآن آليات ومنهجيات أكثر صرامة للتعامل مع هذه الظاهرة التي تؤثر بشكل أو بآخر على ديمومتها المالية. واليوم، تتجاوز قدرة المؤسسة على الوفاء بالتزاماتها التأمينية منتصف القرن الحالي ودون أن يتطلب ذلك أي إجراءات أو تدابير إضافية، إلا أن منظور المؤسسة ورسالتها تقرر وضعها على مسار يضمن ديمومتها والعبور بها إلى المثوبة الثالثة من عمر الدولة بمنظومة متكاملة للتأمينات الاجتماعية.

**معطيات القرن الحالي: الحاجة لبناء نموذج جديد للتعامل مع أنماط جديدة من التحديات والاحتياجات**

برامج المؤسسة خلال الجائحة استباقية وتكاملية وواسعة النطاق، ولم تؤثر سلباً في الوضع المالي المستقبلي للمؤسسة، فتجربة المؤسسة مع جائحة كورونا لم تكن تشكل تحدياً بقدر ما كانت فرصة للبناء على التأمينات الاجتماعية التي ترسخت على مدار السنوات والعقود الماضية. ما ميز الإجراءات والتدابير التي اتخذتها المملكة للتعامل مع التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للجائحة، فقد كانت استباقية وعلى درجة عالية من التكامل والتنسيق بين مختلف الجهات المعنية بالحماية الاجتماعية. فلجنة الحماية الاجتماعية واللجان الاقتصادية التي تشكلت وكانت المؤسسة طرفاً فاعلاً فيها، شكلت إطاراً حاكماً ومؤسسياً للتعامل مع الطرف الاستثنائي الذي تعرضت له المملكة، شأنها شأن بقية دول العالم.

والمنهجية التي انطلقت منها برامج المؤسسة، ركزت بشكل أساسي على توفير الحماية الاجتماعية المرحلية للمنضوين تحت مظلتها، حالياً وسابقاً، فيما

تولى صندوق المعونة الوطنية وباقي الجهات المعنية بمحور الحماية الاجتماعية بتوفير المدخيل المؤقتة لباقي فئات المجتمع التي تأثرت بشكل أو بآخر بالجائحة.

والمؤسسة من أكثر الجهات المعنية باستقرار واستدامة القطاع الخاص، باعتباره العمق الاستراتيجي للضمان الاجتماعي، لذا فقد كانت حريصة على استدامته وتمكينه من الثبات أمام التحديات التي تمخضت عن الجائحة. وعلى نحو لا يقل أهمية، فإن تشابك المؤسسة مع الدورة الاقتصادية، بشقيها التأميني والاستثماري، حتم عليها التدخل بإجراءات واسعة حفاظاً على عمق وسلامة مركزها المالي والحفاظ على أصولها الاستثمارية.

بهذه المنطلقات تمكنت المؤسسة من الوصول إلى أكثر من مليون و ١٠٠ ألف مستفيد بحزمة متكاملة من الإجراءات، يحاكي كل منها طبيعة واحتياجات شرائح مختلفة من المستفيدين، بمبالغ إجمالية وصلت إلى نحو ٢٦٠ مليون دينار، فضلاً عن السيولة الإضافية التي تمت إتاحتها للقطاع الخاص والتي تقدر لغاية اليوم بنحو ٢٠٠ مليون دينار، وشملت تأجيل مستحقات الضمان الاجتماعي وتبسيطها دون ترتيب أية فوائد وغرامات، وإتاحة المجال لمنشآت القطاع الخاص تخفيض الاشتراكات عليها وعن عمالها بشكل فاعل.

والسيولة الإضافية الإجمالية التي تمت إتاحتها وضخها المؤسسة في الاقتصاد الأردني منذ بدء الجائحة والتي تقدر بنحو ٥٢٠ مليون، لم تسعف فقط نحو مليون و ١٠٠ ألف مستفيد يعيلون نحو ٦٠٠ ألف أسرة أردنية، وإنما تمكنت أيضاً من دعم استدامة و ثبات أكثر من ٢٠ ألف منشأة في القطاع الخاص. وعلى نحو لا يقل أهمية، فقد تمكنت هذه البرامج من احتواء جانب من الآثار الاقتصادية المرتبطة بالجائحة، جنباً إلى جنب مع باقي البرامج الحكومية والإجراءات التي اتخذها البنك المركزي.

السؤال المحوري الذي يطرح نفسه في هذا السياق، هل أثرت هذه البرامج سلباً في الوضع المالي للمؤسسة؟

لعل هذا السؤال يتطلب إجابة واضحة ومباشرة، وهي بكل تأكيد إجابة نافية. فالبرامج التي تم إطلاقها لم تؤثر سلباً في الوضع المالي للمؤسسة، فجميع هذه

البرامج مموله ذاتياً. فبرامج التضامن تم تمويلها من صندوق تأمين التعطل الذي تمثل أمواله حسابات فردية للمستفيدين ولا تدخل في احتساب الراتب التقاعدي، حيث يتم تعويض المتعطل عن العمل من حسابه في هذا الصندوق، والفائض من حسابه هذا يحصل عليه دفعة واحدة عند تقاعده. وقد تمكنت المؤسسة من استخدام أموال هذا الصندوق نتيجة للفوائض الكبيرة التي كان يتمتع بها والتي كانت تفوق كثيراً حجم المصروفات. وكذلك الحال لبرنامجي مساند ١ ومساند ٢، والأمر نفسه ينطبق على برنامج تمكين اقتصادي ٢ الذي تعتبر جميع الأموال المصروفة من خلاله مبالغ مستردة من الحقوق التأمينية للمستفيدين.

أما بالنسبة للبرامج التي تضمنت تخفيضاً في الاشتراكات المستحقة لتأمين الشيخوخة، فهي أيضاً مموله ذاتياً كون الفترات المشمولة بهذا التخفيض تنعكس أيضاً على الحقوق التقاعدية المستقبلية. فهي معادلة متوازنة، تخفيض في الاشتراكات مقابل انخفاض مكافئ في الالتزامات المستقبلية. والنتيجة الأهم التي تقترن بهذه البرامج، أنها جاءت داعمة لاستدامة الوضع المالي للمؤسسة، فالمؤسسة معنية بشكل رئيسي باستدامة عمل المنشآت وديمومتها والنمو الاقتصادي واستقرار سوق العمل.

الخلاصة: لم تكن تدخلات الضمان الاجتماعي للتعامل مع تداعيات الجائحة حالة استثنائية، فالضمان الاجتماعي كان حاضراً في غالبية دول العالم، إلا أن ما يميز الإجراءات التي اتخذها الضمان الاجتماعي، كانت استباقية ترتقي إلى حجم التحديات، وكانت نوعية من حيث آليات استهدافها وادواتها، ولم تكن لتؤثر في المركز المالي للمؤسسة.

الجائحة كانت فرصة حقيقية للتفكير بأدوات وسياسات جديدة ومرنة قادرة على التعامل مع تحديات مماثلة قد تظهر بين الفينة والأخرى، وهي أيضاً تستدعي من الضمان الاجتماعي الإسراع في اتخاذ تدابير فاعلة لتوسعة نطاق تغطية العاملين المشمولين تحت مظلتها على نحو يضمن الحماية الاجتماعية للعاملين والمنشآت في القطاعات الأكثر هشاشة، ويحفز المواطنين على الانخراط في أعمالها.

## صندوق استثمار أموال الضمان الاجتماعي؛ توجهات استراتيجية لاستثمارات آمنة

خلود محمد السقاف\*

### ١- نشأة الصندوق

تم إنشاء صندوق استثمار أموال الضمان الاجتماعي عام ٢٠٠٢ لغايات استثمار أموال مشتركى المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي، بهدف تحقيق عوائد مجدية لتنمية القيمة الحقيقية للموجودات وتوفير السيولة اللازمة لمواجهة الالتزامات المستقبلية المترتبة على المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي. ويعتبر صندوق الاستثمار أكبر صندوق استثماري في المملكة باستثمارات طويلة الأجل في العديد من القطاعات الحيوية في الاقتصاد الوطني مثل قطاع السياحة، التعدين، الاتصالات، البنوك، الطاقة السوق النقدي، القروض، قروض التجمع البنكي، والتأجير التمويلي.

وخلال عمر الصندوق، نمت موجوداته من ١,٦ مليار دينار بداية عام ٢٠٠٢ لتتجاوز ١٢ مليار دينار كما في نهاية شهر ٦/٢٠٢١، وجاء هذا النمو من تحويلات الفوائض النقدية من المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي (الشق التأميني) والبالغة ٤,٩ مليار دينار، ومن أرباح النشاط الاستثماري (الشق الاستثماري) والبالغة ٥,٥ مليار دينار. وتبلغ نسبة موجودات الصندوق إلى الناتج المحلي الاجمالي (بالأسعار الجارية) حوالي ٣٥٪.

---

\* رئيسة صندوق استثمار أموال الضمان الاجتماعي، ونائب رئيس مجلس الاستثمار (الأردن).

## ٢- الفرق بين الصندوق السيادي وصندوق التقاعد

الفرق الأساسي بين الصندوقين هو في الجهة صاحبة المال الذي تتم إدارته في الاستثمارات المختلفة، مع بعض الاختلاف (أحياناً) في مستوى المخاطر المقبولة في الاستثمارات وأجال هذه الاستثمارات.

الصندوق السيادي هو محفظة استثمارية تؤسسها الدول من أجل إدارة ثرواتها وفوائدها المالية لتحقيق الأرباح، وتلعب هذه الصناديق دور الذراع الاستثمارية للدولة تستخدمها في ضخ الأموال في الفرص الاستثمارية والأصول المختلفة من أراضٍ أو أسهم أو سندات.

صندوق التقاعد هو مؤسسة مالية تقوم بإدارة أموال مشتركي الضمان الاجتماعي على أسس استثمارية لتغطية الرواتب التقاعدية المستقبلية حسب نظام التقاعد المعتمد، أو كما هو الحال في صندوق الاستثمار، حيث يتم استثمار الفوائض النقدية المحولة من المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي وإدارة الأصول المختلفة على أسس ربحية بهدف تأمين المتطلبات المستقبلية لمشاركي ومتقاعدي المؤسسة من رواتب تقاعدية أو أي منافع تأمينية أخرى، وفق خطة عمل تستجيب لمتطلبات نتائج الدراسات الاكتوارية. وتتنوع الاستثمارات لهذه الصناديق، فمنها استثمارات طويلة أو قصيرة أو متوسطة الأجل حسب نوع النظام التقاعدي والفئة العمرية للمشاركين والمتقاعدين. وتتنوع الاستثمارات في مشاريع أو أدوات استثمارية تقليدية مثل الأسهم والأراضي والسندات وغيرها.

## ٣- الحاكمية المؤسسية

يحكم عمل صندوق الاستثمار منظومة متكاملة من التشريعات وأنظمة الرقابة الداخلية التي تضمن تطبيق أفضل الممارسات في الحاكمية المؤسسية، وضمن التشريعات الناظمة لعمل الصندوق والصادرة بموجب أحكام قانون الضمان الاجتماعي النافذ، ونظام صندوق الاستثمار الصادر بمقتضاه.

## الأدوار والمسؤوليات

- مجلس إدارة المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي: إقرار السياسات العامة الاستثمارية للمؤسسة لتعظيم القيمة السوقية للأصول، ووضع أهداف استثمارية والتوزيع الاستراتيجي للموجودات، وتحديد معايير وآليات ومحددات للاستثمارات، وإقرار الموازنة السنوية.

- اللجان المنبثقة عن مجلس الإدارة: لجنة المراقبة، ولجنة الحوكمة الرشيدة، ولجنة إدارة المخاطر الكلية.

- مجلس استثمار أموال الضمان الاجتماعي: وضع السياسة العامة الاستثمارية لصندوق الاستثمار، ورفعها إلى مجلس الإدارة لإقرارها، والإشراف على تنفيذ السياسة الاستثمارية للمؤسسة ووضع الخطط والبرامج اللازمة لتنفيذ تلك السياسة ومتابعتها، واتخاذ القرارات الاستثمارية اللازمة لتنفيذ السياسة الاستثمارية للمؤسسة وخطتها العامة وبما يتفق وأحكام هذا القانون والأنظمة الصادرة بمقتضاه.

- اللجان المنبثقة عن مجلس الاستثمار: لجنة التدقيق، ولجنة الحوكمة الاستثمارية، ولجنة المخاطر الاستثمارية.

- لا تشترك الإدارة التنفيذية للصندوق في عضوية أي من اللجان المنبثقة عن مجلس الاستثمار.

## ٤- التوزيع الاستراتيجي للموجودات

يقوم الصندوق ببناء التوزيع الاستراتيجي للموجودات بناء على نتائج الدراسة الاكتوارية التي تقوم بها المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي كل ثلاث سنوات، وبما يتواءم مع ظروف ومعطيات الاقتصاد الوطني وأفضل الممارسات العالمية لإدارة صناديق التقاعد. وقد ساهم هذا التوزيع على مدى السنوات الماضية في الحفاظ على نمو الموجودات، وتحقيق الصندوق لعوائد مجدية من الأدوات الاستثمارية المختلفة، مع قيام الصندوق بمراجعة وتعديل هذا التوزيع بما يتناسب مع متطلبات السوق على المدى المتوسط والطويل، ولتخفيف حدة

أي تذبذب في أداء المحافظ الاستثمارية. وتتوزع الموجودات على أدوات السوق النقدي، والسندات، والأسهم (العامة والخاصة، وصناديق الاستثمار المشترك)، والقروض (بما في ذلك قروض التأجير التمويلي)، والاستثمار العقاري، والاستثمار السياحي.

#### هـ- مرتكزات السياسة الاستثمارية

- السيولة: على صندوق الاستثمار إدارة الاستثمارات ضمن مستويات سيولة متنوعة وبآجال استحقاق مختلفة، بحيث لا يكون هناك تركيز في تواريخ استحقاق عدد من الاستثمارات لغايات توفير التدفقات النقدية اللازمة لتمويل التزامات المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي فور تحققها، حسب الدراسات الاكتوارية الصادرة عن المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي.

- التنوع والتوزيع الاستثماري: يتم استثمار الموجودات في أدوات استثمارية متنوعة، وذلك بهدف تخفيف شدة الارتباط بين موجودات المحفظة negative correlation بحيث يؤدي ذلك إلى تخفيض المخاطر الاستثمارية المرتبطة بذلك، وبما يضمن الحفاظ على القيمة الحقيقية لموجودات المؤسسة، كما يجب مراعاة التنوع الجغرافي (الاستثمار الخارجي) لتلك الاستثمارات، إن أمكن، بعد الحصول على موافقة مجلس إدارة المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي بناء على تسيب مجلس استثمار أموال الضمان الاجتماعي، وشريطة موافقة مجلس الوزراء، وذلك كما هو محدد في نظام صندوق استثمار أموال الضمان الاجتماعي ومجلس الاستثمار رقم (٩٧) لسنة ٢٠١٤.

- الاستثمار الوطني المجدي: يعطي الصندوق أولوية للاستثمار الوطني الذي يحقق العوائد المستهدفة والذي ينسجم مع أهدافه.

- المعطيات والمؤشرات الاقتصادية: يتم اتخاذ القرار الاستثماري بناءً على المعطيات والمؤشرات الاقتصادية التي يعكسها الواقع الاقتصادي المحلي والخارجي، كما يتم تجنب الاستثمار في الأدوات التي لا تتسجم مع الواقع الاقتصادي وتجنب المضاربات.



- الأمان: اتباع أفضل الإجراءات والأسس في تنفيذ العمليات الاستثمارية، ووضع الضوابط الرقابية الكافية، بما يضمن السلامة والأمان للاستثمارات، والفصل بين الوظائف، والتعامل من خلال حافظ أمين ذي تصنيف مرتفع للأدوات الاستثمارية التي يتوفر لها حافظ أمين.

- المعايير الأخلاقية: عدم الاستثمار في المجالات المحظورة محلياً ودولياً والاستثمارات التي تتنافى مع المعايير الأخلاقية العامة مع ضرورة مراعاة المصلحة العامة.

#### ٦- آلية اتخاذ القرار الاستثماري

حددت السياسة الاستثمارية للصندوق - والتي يتم إقرارها من قبل مجلس إدارة المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي بناء على تنسيب مجلس الاستثمار - التوزيع الاستراتيجي المستهدف لموجودات المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي، وأهداف الاستثمار والمرتكزات الاستثمارية والعوائد المستهدفة، ومستويات المخاطر المقبولة لكل نوع من أنواع الاستثمار، بالإضافة إلى الاستثمارات غير المسموح بها. كما تحدد هذه السياسة الأدوار والمسؤوليات لكافة الأطراف ذوي العلاقة بالعملية الاستثمارية والقرار الاستثماري ضمن صلاحيات محددة.

ويتم اتخاذ القرارات الاستثمارية وفق أسس استثمارية بحثة آخذين بعين الاعتبار تحقيق العائد المجدي وتعظيم القيمة الحقيقية للموجودات وفقاً لأسس واضحة وشفافة، من خلال دراسة الفرص الاستثمارية والأدوات الاستثمارية المختلفة وفقاً لجدواها الاقتصادية، وبعد دراسة العائد المتوقع، وضمن مستويات المخاطر المقبولة. ويقوم الصندوق بشكل دوري بإجراء الدراسات اللازمة لغايات تقييم استثماراته المختلفة القائمة والمنوي الدخول بها، حيث يتم تقييم الأداء الحالي لتلك الشركات والتوقعات المستقبلية لها بما ينسجم مع الأهداف الاستراتيجية للصندوق، وبناء على ذلك يتم الاحتفاظ بالاستثمار أو التوسع فيه أو الخروج منه.

ويتم اتخاذ هذه القرارات من قبل الجهات/ اللجان المعنية، وذلك بموجب تعليمات وصلاحيات اتخاذ القرارات الاستثمارية النافذة وكل حسب نطاق عمله وصلاحياته. وتبدأ دراسة الاستثمارات والفرص الاستثمارية المتاحة على مستوى المديرية الاستثمارية المعنية، وذلك للتأكد من جدواها ومواءمتها للأهداف الاستثمارية العامة للصندوق. وترفع المديرية توصياتها للجنة الاستثمار- والتي تتكون من رئيس الصندوق/ رئيس اللجنة وعضوية ٤ مدراء بالإضافة إلى مراقب من مديريةية المخاطر والتخطيط الاستراتيجي- والتي تقوم بدورها باتخاذ القرارات التي تقع ضمن صلاحيتها، أو تقوم برفع توصياتها لمجلس الاستثمار لاتخاذ القرار المناسب ضمن صلاحياته وضمن الإطار العام للسياسة الاستثمارية للصندوق والتي يتم إقرارها من مجلس إدارة المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي.

#### ٧- الرقابة على أعمال الصندوق

- تخضع أعمال الصندوق إلى رقابة ديوان المحاسبة سواء بالتدقيق اللاحق على أعمال الصندوق أو بالمشاركة في أعمال اللجان الداخلية في الصندوق بصفة مراقب.

- تخضع أعمال الصندوق إلى التدقيق الخارجي من خلال مدقق خارجي يتم تعيينه من قبل مجلس إدارة المؤسسة لتدقيق حسابات المؤسسة بشقيها التأميني والاستثماري.

- يقوم الصندوق برفع تقارير ربع سنوية لمجلس إدارة المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي ليتم رفعها لمجلس الوزراء وللمجلسي الأعيان والنواب عن أداء الصندوق ونتائجه المالية واستثماراته.

#### ٨- الأداء المالي

- بلغت موجودات الصندوق حوالي ١٢ مليار دينار كما في نهاية ٢٠٢١/٦ مقابل ١١,٢ مليار دينار كما في نهاية ٢٠٢٠ وبارتفاع مقداره حوالي ٨٠٠ مليون دينار وبنسبة نمو بلغت بنسبة ٧,٥٪.

- حقق الصندوق دخلا بلغ حوالي ٣١٣ مليون دينار خلال النصف الأول من هذا العام مقارنة بحوالي ٢٥١ مليون دينار لنفس الفترة من العام الماضي وبارتفاع نسبته ٢٤,٥٪.

- بلغ الدخل الشامل حوالي ٨٣٧,٢ مليون دينار كما في نهاية ٢٠٢١/٦/٣٠، مقارنة مع ٦٢,٩ مليون دينار كما في نهاية ٢٠٢٠/٦/٣٠، بارتفاع مقداره ٩٠٠,٢ مليون دينار وبنسبة نمو بلغت حوالي ١٤٣٢,٢٪.

- فيما يلي توزيع موجودات الصندوق كما في نهاية النصف الأول من عام ٢٠٢١ مقارنة مع نهاية العام ٢٠٢٠:

### توزيع المحافظ الاستثمارية

الرقم	البند	٢٠٢١ / ٦ / ٣٠		٢٠٢٠ / ١٢ / ٣١	
		المبلغ (بالمليون دينار)	٪	المبلغ (بالمليون دينار)	٪
١	محفظة أدوات السوق النقدية	١.٢٢٩,٥	٪١٠,٤	١.٤٣٤,٠	٪١٣,٠
٢	محفظة السندات	٦.٨٧٣,٧	٪٥٨,١	٦.٤١٠,٣	٪٥٨,٣
٣	محفظة القروض	٣٩٦,٣	٪٣,٤	٣٩٦,٥	٪٣,٦
٤	محفظة الاسهم	٢.١١٣,٢	٪١٧,٩	١.٥٥٥,٢	٪١٤,١
٥	محفظة الاستثمارات العقارية	٧٢٥,٠	٪٦,١	٧١٦,٩	٪٦,٥
٦	محفظة الاستثمارات السياحية	٢٩٣,٠	٪٢,٥	٢٩١,٦	٪٢,٧
٧	أخرى	٣٧٢,٣		٣٦٣,١	
	مجموع موجودات الصندوق	١٢.٠٠٣,١		١١.١٦٧,٧	

### ٩- الاستثمارات والدور التنموي

يعمل الصندوق كمحفز وشريك طويل الأجل ومكمل للقطاع الخاص، ويظهر ذلك من خلال الاستثمارات المشتركة في العديد من القطاعات، بهدف المساهمة في تحقيق النمو الاقتصادي وتحسين بيئة الأعمال وجذب الاستثمارات الخارجية، بالإضافة إلى خلق فرص التدريب والتشغيل وتحسين مستوى الخدمات

## المقدمة للمواطنين.

ويستثمر الصندوق في قطاعات حيوية ذات قيمة مضافة في الاقتصاد الأردني منها قطاع البنوك، الصناعات التحويلية، السياحة والمناطق التنموية. ويقوم بتمويل عدد من مشاريع البنية التحتية والخدمات في عدد من المحافظات عبر نافذة التأجير التمويلي.

كما يقوم الصندوق بدور تمويلي من خلال المشاركة في قروض التجمع البنكي التي تمول مشاريع كبرى في قطاعات حيوية لغايات مختلفة صناعية وإنشائية وخدمائية.

ويدعم الصندوق أيضاً - من خلال ممثليه في مجالس الشركات التي يساهم بها - الدور التنموي لهذه الشركات، من خلال تمويل المشاريع الريادية والشركات الصغيرة، وكذلك دعم مشاريع ومبادرات المسؤولية المجتمعية والتنمية المستدامة.

المناطق التنموية: يستثمر الصندوق من خلال شركة الضمان لتطوير المناطق التنموية في منطقة الملك الحسين بن طلال التنموية/ المفرق المقامة على مساحة ٢١ ألف دونم وتستهدف الصناعات المختلفة. واستقطبت المنطقة استثمارات تقدر بحوالي ٣٩٠ مليون دينار من خلال المصانع العاملة وأخرى قيد الإنشاء والتصميم ومشاريع الطاقة الشمسية. وتوفر الاستثمارات القائمة في المنطقة حوالي ١٣٠٠ فرصة عمل معظمهم من أبناء المنطقة.

كما يستثمر الصندوق في تطوير منطقة إربد التنموية المقامة على مساحة ألفي دونم، وتستهدف قطاعات تكنولوجيا المعلومات، الاتصالات، والخدمات المساندة وحاضنات ريادة الأعمال. وتبلغ قيمة استثمارات المنطقة حوالي ٢٨ مليون دينار. وقد وفرت الاستثمارات القائمة في المنطقة ١٤٥٥ فرصة عمل.

التأجير التمويلي: أسس صندوق الاستثمار عام ٢٠١٦ شركة الضمان للتأجير التمويلي لتتولى تأمين التمويل اللازم لإنشاء مشاريع وطنية مهمة ذات جدوى اقتصادية تلبى حاجات المجتمع المحلي، مع مراعاة تحقيق العوائد المستهدفة لتنمية موجودات المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي.

وتقوم الشركة حالياً بتمويل ٥ استثمارات في قطاعات الصحة والنقل والخدمات بقيمة تبلغ حوالي ٣٢٠ مليون دينار أردني، ووفرت هذه المشاريع ٩٠٠ فرصة عمل مباشرة:

- مبنى جمرك عمان - الماضونة.
- مستشفى الطفيلة الحكومي.
- تمويل شراء مبنى هيئة الاتصالات.
- مستشفى معان العسكري.
- مشروع حافلات التردد السريع الذي سيربط بين عمان والزرقاء.

سلف المتقاعدين: يقوم الصندوق بمنح سقف تمويلي للمؤسسة العامة للضمان الاجتماعي لغايات تمويل سلف شخصية، وسلف لغايات تطوير المشاريع التنموية الصغيرة القائمة لمتقاعدي المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي والذي يبلغ رصيده حالياً ١٠٠ مليون دينار، ويبلغ عدد المستفيدين حالياً من هذه النافذة التي تديرها المؤسسة حوالي ٤٥ ألف مستفيد.

السندات: يعتبر الاستثمار في سندات الخزينة استثماراً آمناً، كونها أدوات منخفضة المخاطر وذات عائد مُجد ومضمون، كما أنها تعتبر أداة خروج مرنة نسبياً في حال الرغبة ببيعها. وعالمياً، تقوم العديد من صناديق التقاعد بالاستثمار في هذه الأدوات بنسبة قد تصل إلى ١٠٠٪، ويعتمد ذلك على عدة عوامل أهمها حجم وأجال الالتزامات للمتقاعدين ومعدلات أعمار المشتركين في تلك الدول.

وبلغت محفظة السندات كما في ٢٠٢١/٦/٣٠ ما قيمته ٦,٩ مليار دينار من إجمالي محفظة الصندوق والبالغة ١٢ مليار دينار، وهو رصيد تراكمي خلال ١٨ عاماً منذ تأسيس الصندوق. وتشكل هذه المحفظة ما نسبته ٥٨,١٪ من إجمالي الموجودات، وقد بلغت إيرادات محفظة السندات حوالي ١٩٥,٨ مليون دينار عن الستة أشهر الأولى من عام ٢٠٢١، مشكلةً ما نسبته ٦٢,٢٪ من إجمالي إيرادات الصندوق الاستثمار عن الفترة نفسها. ويبلغ معدل العائد السنوي لهذه المحفظة حوالي ٦٪، وهي من أعلى معدلات العوائد التي تحققها الأدوات الاستثمارية المستثمر بها من قبل صندوق الاستثمار مقارنةً مع مستوى المخاطر المتدني المرتبط بها.

الاستثمار في بورصة عمان: يعتبر الصندوق مستثمر استراتيجي طويل المدى في بورصة عمان، مع التأكيد على أن الصندوق لا يمارس نشاط المضاربة في بورصة عمان. وينعكس ذلك على حجم محفظة الصندوق ونوعية استثماراته في الشركات المساهمة العامة ذات الأداء القوي، وبتوزيع قطاعي مدروس المخاطر، وضمن العوائد المحددة، وذلك للحد من تأثير المحفظة بتذبذبات أسعار الأسهم في بورصة عمان صعوداً وهبوطاً من خلال هذا التنوع.

ويستثمر الصندوق في ما يزيد على ٥٠ شركة مساهمة عامة من الشركات الوطنية الكبرى والتي تمثل القطاعات الحيوية التي تمتاز بصلابة مراكزها المالية، وتحقيق معدلات نمو سنوية جيدة، والتزامها بتوزيعات نقدية سنوية على المساهمين، وأهمها البنوك والصناعات التعدينية والتحويلية والخدمات.

وقد بلغت قيمة محفظة الأسهم الكلية حوالي ٢,١ مليار دينار ونسبة ١٧,٩٪ من إجمالي موجودات الصندوق كما في ٢٠٢١/٦/٣٠، وقد بلغت قيمة محفظة المساهمات العامة المحلية في بورصة عمان حوالي ١,٩ مليار دينار

كما في نهاية ٢٠٢١/٦/٣٠، وتشكل بذلك ما نسبته ١٦,٢٪ من المحفظة الكلية للصندوق. كما تشكل هذه المحفظة ما نسبته حوالي ٩٨,١١٪ من إجمالي القيمة السوقية ليبورصة عمان والبالغة قيمتها حوالي ٩٨,١٥ مليار دينار كما في نهاية ٢٠٢١/٠٦.

### أكبر ١٥ مساهمة في محفظة المساهمات العامة المحلية\*

الشركة	نسبة الملكية في الشركة
البنك العربي	١٧,١٦٪
شركة البوتاس الأردنية	١٠,٤٢٪
شركة مناجم الفوسفات الأردنية	١٦,٥٤٪
بنك الإسكان	١٥,٤٢٪
شركة الأسواق الحرة	٥٦,٤٩٪
شركة الاتصالات الأردنية	٢٨,٨٨٪
شركة مصفاة البترول	٢٠,١٤٪
البنك الأردني الكويتي	٢١,٠٤٪
البنك الإسلامي الأردني	٥,٨٢٪
بنك المال	٩,٤١٪
بنك الاتحاد	٨,٤٧٪
شركة الكهرباء الأردنية	٢١,٤٦٪
البنك التجاري	١٩,٨٤٪
بنك القاهرة عمان	٨,٠٤٪
البنك الأهلي الأردني	١٠,٢٥٪

\*\* الترتيب حسب القيمة السوقية للمساهمة.

الاستثمار العقاري: يستثمر الصندوق في القطاع العقاري من خلال شراء أراضي خام ومباني، وكذلك تأجير وتطوير الأراضي والعقارات المملوكة، حيث يبلغ حجم المحفظة العقارية كما في ٢٠٢١/٦/٣٠ حوالي ٧٢٥ مليون دينار، وتشكل ما نسبته ٦,١٪ من حجم المحفظة الكلية للصندوق.

**الطاقة:** يمتلك الصندوق بشكل مباشر وغير مباشر عدداً من الاستثمارات في الشركات المساهمة العامة والخاصة العاملة في مجال الطاقة التقليدية والطاقة المتجددة بقيمة تزيد على ١٠٠ مليون دينار، ومنها شركة توليد الكهرباء المركزية، الكهرباء الأردنية، كهرباء المملكة، توزيع الكهرباء وكهرباء محافظة إربد، بالإضافة إلى عدد من مشاريع الطاقة المتجددة في منطقتي معان والمفرق.

كما أنجز الصندوق إنشاء ثلاث محطات لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية لتغذية فنادق المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي ومبنى المؤسسة وفروعها ومبنى صندوق الاستثمار، حيث يتوقع أن يتحقق وفر سنوي في نفقات المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي بقيمة ٥ مليون دينار سنوياً.

**السياحة:** قامت المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي في العام ١٩٩٩ بتأسيس شركة مملوكة بالكامل لها، وهي الشركة الوطنية للتنمية السياحية، والتي تعتبر الذراع الاستثماري لصندوق الاستثمار فيما يختص بالقطاع السياحي، من خلال الإشراف على إدارة الفنادق والاستراحات التي تعود ملكيتها للمؤسسة العامة للضمان الاجتماعي/صندوق الاستثمار. كما يساهم الصندوق في استثمارات أخرى من خلال المساهمة في شركات رائدة في هذا القطاع.

**الزراعة:** قام الصندوق بتأسيس شركة الضمان للاستثمار والصناعات الزراعية التي ستعمل على إنشاء أول مشروع زراعي لها في جنوب المملكة على مساحة ٢٥ ألف دونم، لإنتاج المحاصيل الزراعية من الخضار والأعلاف والمحاصيل الحقلية وغيرها من أنشطة القطاع الزراعي، وبقيمة استثمار كلية متوقعة للمشروع تبلغ حوالي ١٢ مليون دينار، كما سيعمل المشروع على توفير ١٢٠ فرصة عمل.

**مشاريع البنية التحتية:** تم تأسيس الشركة الوطنية للاستثمار في البنية التحتية وبالشراكة مع شركة البنوك التجارية في العام الماضي، بهدف دراسة الدخول في مشاريع استثمارية حيوية، حيث يقوم الصندوق مع الشركة الوطنية حالياً



بدراسة الدخول في المشاريع الاستثمارية الكبرى، ومن ضمنها عدد من مشاريع وحدة الشراكة بين القطاعين العام والخاص.

مشاريع قيد التنفيذ: يعمل الصندوق بشكل حثيث على تعزيز تنافسية استثماراته في مجال السياحة والتطوير العقاري من خلال إعداد مخطط شمولي لتطوير أراضي في منطقة الحمر ومنطقة القسطل لغايات متعددة. ويتم حالياً أيضاً تنفيذ أعمال إعادة تأهيل فندق كراون بلازا / البترا، وإعادة تأهيل بعض الغرف والأجنحة الفندقية في فندق الانتركونتينتال/العقبة، والقيام بدراسات لاستثمار أرض الشاطئ المحاذي لفندق الانتركونتينتال / العقبة، وإقامة مرافق سياحية وترفيهية في العقبة.

التمثيل في مجلس إدارة الشركات: يساهم الصندوق في أكثر من ٥٠ شركة مساهمة عامة وخاصة ولديه ممثلون في مجالس إدارة وهيئات مديري تلك الشركات. ولتنظيم عملية التمثيل، قام الصندوق بداية العام ٢٠٢١ بإصدار نسخة محدثة من الدليل الاسترشادي لمثلي المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي في مجالس إدارة وهيئات مديري الشركات التي تساهم بها المؤسسة، حيث تضمن هذا التحديث تطويراً على بعض مكونات الدليل الذي تم إصداره عام ٢٠١٩ وذلك لتحسين كفاءة عملية التمثيل في الشركات التي تساهم بها المؤسسة، وبما يضمن تحسين أداء تلك الشركات ويعود بالفائدة على الشركات وجميع المساهمين. كما يقوم الصندوق دورياً بتنفيذ برامج تطوير مهارات فنية مكثفة للممثلين في مجالس إدارة الشركات.

التنمية المستدامة: قام الصندوق خلال العام الماضي بتنظيم أعمال ملتقى صناديق التقاعد الأول من نوعه في المنطقة تحت عنوان: «الاستثمار لتعزيز المنعة» وذلك بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة. واستضاف المؤتمر العديد من

خبراء الصناديق التقاعدية والاستثمارية العالمية من أكبر صناديق التقاعد العالمية الذين استعرضوا تجاربهم في التعامل مع الأزمات والظروف الاقتصادية المحلية والعالمية ومنها جائحة كورونا، واستثماراتهم ذات البعد التنموي المستدام، بالإضافة إلى استثماراتهم في اقتصاد الدول النامية والناشئة. كما ناقش المؤتمر الأفكار والفرص التي من الممكن أن يتبناها صندوق الاستثمار لتطوير أعماله في ضوء الممارسات العالمية لتعامل الصناديق التقاعدية مع الأزمات والاستثمارات ذات البعد التنموي المستدام.

وقد شعرنا بالفخر بأن صندوق الاستثمار في نشاطاته الاستثمارية وتوزيع موجوداته والقطاعات الاستثمارية التي يستهدفها وتوجهاته الاستراتيجية، وحتى التحديات التي تواجه عمله، لا تختلف عن غيره من صناديق التقاعد العالمية، فبالإضافة إلى النتائج المالية الجيدة التي يحققها الصندوق بشكل مستمر، فقد كانت هذه التجربة تأكيداً إضافياً على حصافة إدارة استثمارات الصندوق وزيادة الصندوق محلياً وإقليمياً في التفوق في تحقيق أهدافه الاستراتيجية في ترسيخ منظومة الضمان الاجتماعي، لا بل تتجاوز ذلك للعب دور هام في الاقتصاد الوطني والتنمية الشاملة في المملكة.

تمكين المرأة: قام الصندوق عام ٢٠١٨ بإطلاق وثيقة تمكين المرأة التي تحدد الإطار المرجعي لإدارة الصندوق، لوضع الخطط والبرامج في مجالات التمكين القيادي، والاقتصادي، والاجتماعي، بالإضافة إلى البرامج الأخرى التي تستهدف خلق بيئة عمل محفزة للجميع وخالية من التمييز بكافة أشكاله.

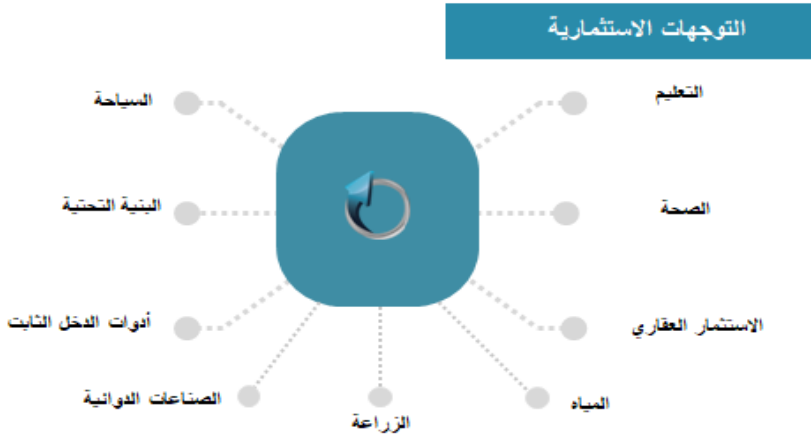
ويبلغ عدد الموظفات في الصندوق ٤٢ موظفة بما نسبته ٣٥٪ من الموظفين، كما تشكل نسبة الموظفات في الإدارة العليا والمتوسطة ٢٢٪.

يحرص صندوق الاستثمار بشكل مستمر على مواكبة النسب العالمية لمستويات تمثيل المرأة في مجالس إدارة الشركات التي يساهم فيها. وفي هذا

المجال يقوم صندوق الاستثمار بمحاولة التأثير إيجاباً في زيادة نسبة تمثيل المرأة في مجالس الإدارة بهدف زيادة الفوائد الاقتصادية على الشركات تماشياً مع نتائج الدراسات العالمية، حيث يقوم الصندوق بمواكبة التحديث والتطوير والاطلاع على الممارسات العالمية وتجارب المؤسسات الأخرى وعكسها على الخطة التدريبية السنوية التي تمت الإشارة لها، والتي تتضمن عقد برامج إدارية وفنية ومهارات سلوكية متخصصة لجميع موظفيه، مع التركيز بشكل كبير على المرأة، وذلك بهدف تمكينهم جميعاً من اكتساب المعارف والمهارات اللازمة التي تؤهلهم لتمثيل الصندوق في مجالس إدارة الشركات.

### التوجهات الاستراتيجية والتطلعات المستقبلية

يعمل الصندوق لتنمية موجودات مشتركي ومتقاعدي المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي مع التركيز على القطاعات والمشاريع التي تسهم في تحفيز النمو الاقتصادي وخلق فرص عمل، مع الأخذ بعين الاعتبار البعد التنموي والاقتصادي طويل الأمد، ودورها في تحسين مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين.



وبموجب الخطة الاستراتيجية للأعوام ٢٠١٩ - ٢٠٢١، تم تحديد عدد من القطاعات الجديدة للاستثمار بها، ومنها الاستثمار في مشاريع على مستوى وطني، مثل مشاريع البنية التحتية ومشاريع الشراكة بين القطاعين العام والخاص، بالإضافة إلى الاستثمار في أدوات الدخل الثابت ذات العوائد المجدية ضمن مستويات المخاطر المقبولة. ولتحقيق هذه التوجهات، قام الصندوق بتنفيذ عدد من المشاريع مثل المشروع الزراعي، وتأسيس شركة للبنية التحتية بالشراكة مع القطاع الخاص. كما قام الصندوق بتوقيع عدد من مذكرات التفاهم مع عدد من الجهات لغايات تنفيذ هذه التوجهات. كما يعمل صندوق الاستثمار حالياً على تطوير الخطة الاستراتيجية للأعوام ٢٠٢٢ - ٢٠٢٤ والبناء على ما تم تحقيقه خلال الفترة السابقة.

# الاستثمار في الأردن

## أفق التحديات والمتغيرات

ريم بدران\*

يشهد الاستثمار منذ سنوات تغيراً وتطوراً مستمرين على نحو إيجابي، بالرغم من وجود تحديات كبيرة؛ إذ إنَّ جزءاً منه له علاقة بالوضع الداخلي، وجزءاً له علاقة بالوضع الإقليمي. وفي هذه المقالة سنتطرق إلى بعض الإيجابيات وبعض السياسات على نحو مختصر، مفسحة المجال لذوي الخبرة لإثراء هذا الموضوع وإغنائه بخبراتهم وآرائهم. فما يهمنا في نهاية المطاف، هو أن تصل مقترحاتنا لصاحب القرار، للإفادة منها في تحسين بيئة الاستثمار، وخاصة فيما يتعلّق بالبطالة، وانعكاساتها على النمو الاقتصادي، الذي ينعكس بدوره بشكل مباشر على خَفْضِ نسب البطالة في الأردن.

ومن المعروف أن الأرقام ذات العلاقة بالنمو الاقتصادي متواضعة، بالإضافة إلى صغر حجم السوق اقتصادياً في الأردن، فحجم السكان والمستهلكين يقارب حوالي ١١ مليون، ولدينا نسبة تضخم متواضعة حسب أرقام البنك المركزي، فمعدل التضخم يبلغ حوالي ٢٪ حسب أرقام شهر آب لعام ٢٠٢١، وكان نمو الناتج المحلي الإجمالي حسب المتوقع للربع الثاني من هذا العام (٢٠٢١) ٢,٣٪. أمّا نسبة بطالة فتبلغ حوالي ٢٥٪، وإذا شتُنّا التحديد بدقة فهي ٨,٢٤٪ وهذه نسبة مرتفعة جداً بين الإناث وتصل إلى ٣٣٪. وهذه أرقام رسمية، ولكن في الاقتصاد غير الرسمي فإنَّ الأرقام تزيد على ذلك بكثير. حتى لو قلنا غير

\* عضو سابق في مجلس النواب، ونائب رئيس وعضو سابق في مجلسي إدارة غرفة تجارة عمّان والأردن، مدير عام شركة الحرة لإدارة وتطوير المشاريع (الأردن).

ذلك، فالأرقام مرتفعة، فنسب الصادرات متزايدة مقارنة بين شهر آب لعام ٢٠٢١ مع الفترة نفسها من العام الماضي، فقد زادت بنسبة تبلغ حوالي ٧,١٣٪، أما المستوردات فبلغت نسبتها ٣,٢١٪. ونحن هنا نتحدث عن اقتصاد بسيط إلى حد ما، ونسب بطالة عالية، ولكن التحديات فيها مستمرة. وفي الوقت نفسه ليس من المعقول أن نعتذر عن كل هذا بالوضع السائد في المنطقة، أو إفرازات جائحة كورونا التي كان لها دور كبير، فثمة تحديات كبيرة وضعف في الاقتصاد الأردني، ولكن بالمقابل علينا أن نقدر ما يمكننا فعله في ضوء هذه المعطيات، فالأردن يحتل مرتبة متوسطة على مؤشر سهولة ممارسة الأعمال، فهو يأتي في المرتبة ٧٥ من ١٩٠ دولة في العالم، والمرتبة ٦ في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بين ٢٠ دولة، وبالتالي نتوقع أن يكون دور الأردن أفضل من ذلك بكثير.

يتطلب العمل لتسجيل الأعمال في الأردن حوالي ١٢,٥ يوماً، وهذا يعتبر رقماً مرتفعاً. فحين عملت في هيئة الاستثمار، كان التوجه نحو تخفيض الأرقام لتكون حسب الأرقام التي يعتمدها البنك الدولي. ونحن هنا نتحدث عن مراحل زمنية سابقة في العامين ٢٠٠٤ و ٢٠٠٣، حيث كان معدل بدء العمل وممارسة الأعمال في الأردن حسب تقرير البنك الدولي في ذلك الوقت حوالي ٩٨ يوماً، ودفعتنا بقوة لإنشاء النافذة الاستثمارية، وانخفضت المدة في فترة أقل من سنة إلى حوالي ٣٤ يوماً. وهذا الانخفاض لم يكن عند بدء الأعمال وإنما عند ممارسة الأعمال بشكل عام، واليوم أصبح الرقم أكثر من ذلك بكثير، وبالتالي ثمة إمكانيات متقدمة لدى الأردن في هذا النوع من الخدمات، في ظل وجود تحديات.

وحين نتحدث عن البطالة، لا بد أن نلاحظ ارتفاع معدلات الاستثمار الأجنبي الذي تراجع بشكل كبير في الربع الأول من العام الحالي (٢٠٢١) إلى نصف مليون دينار. وهذا رقم متواضع جداً حسب أرقام هيئة الاستثمار الصادرة من البنك المركزي، وكذلك متغيرات الأسواق المحلية والدولية وعلاقتها بالوضع الجيوسياسي وبضائقة كورونا، ولا ننسى ارتفاع كلف الإنتاج سواء المتعلقة بالطاقة الكهربائية أو التمويل أو الاشتراكات في الضمان الاجتماعي. فالعجز في

الموازنة من أهم التحديات التي تواجهنا في المرحلة الحالية والبالغ مليار دينار أردني. ومع هذا ثمة إيجابيات وبعض التحسُّن في بعض المواقع، فبعض المؤسسات ساعدت في إعادة الهيكلة الداخلية لها، وخصوصاً تكنولوجيا المعلومات والريادة التي استطاعت الاستفادة من كوادرها، وبخاصة السيدات خلال ضائقة كورونا، فقد صار بإمكانهم أن يكونوا موجودين بوقت أكثر، وتم تحديث وإيجاد تطبيقات جديدة واسعة جداً في هذا المجال. ففي خلال الضائقة تعزَّز الاقتصاد العام، وهي ظاهرة إيجابية انعكست على كثير من الأنشطة التي تتطلب وقتاً إضافياً.

وأهم التحديات التي نواجهها هي ما له علاقة بالبيروقراطية، والتي أصبحت في تزايد في المرحلة الأخيرة، لكثرة اللجان التي تتابع المشاريع، وتعدد الجهات ذات العلاقة. فلدينا أنظمة وتعليمات تتعلق بالاستثمار بما يقارب ٤٤ قانوناً، و٨٠٠ نظام وتعليمات، وهذه جميعها مرتبطة ببيئة الاستثمار، وبهذا فنحن نتحدث عن ٥٠ وزارة وجهة حكومية لها علاقة بإعطاء التراخيص المختلفة، وما كنا نتكلم عنه من تخصيص نافذة استثمارية لتخفيف العبء عن المستثمر للدخول إلى السوق الأردني، سيخلق تحدياً كبيراً لدخول المستثمر واستمراره في الاستثمار. وأشير في هذا السياق إلى البيئة التشريعية والقانونية. فنحن نعرف أن التطبيق هو الأهم، وفي الوقت نفسه القوانين مهمة. فخلال العام ١٩٩٦ أو في نهاية عام ١٩٩٥ في شهر أكتوبر تم إطلاق قانون الاستثمار رقم ١٦/١٩٩٥ الذي يعدّ القانون الأول في المملكة. وكان يشرف على الاستثمار مديرية في وزارة الصناعة والتجارة، ثم انتقلت إلى مؤسسة تشجيع الاستثمار بمسمى مؤسسة منفصلة، وكان لها أهداف وغايات جيدة. وكان قانون الاستثمار محدوداً ولكنه فاعل، ثم ارتأت الحكومة والمشرع في مرحلة لاحقة تعديل القانون، فتمت صياغة قانون استثمار مؤقت رقم ٦٨ لعام ٢٠٠٢، ومن ثم قانون ترويج الاستثمار المؤقت رقم ٦٧ لعام ٢٠٠٢، وقانون تنمية البيئة الاستثمارية رقم ٧١ لعام ٢٠٠٢. وكان الهدف في ذلك الوقت إعادة هيكلة هيئة الاستثمار، وأيضاً المؤسسات التي لها علاقة ببيئة الاستثمار كالمناطق الحرة والمناطق التنموية.

وفي مرحلة لاحقة أيضاً تم إعادة الوضع التشريعي لهيئة الاستثمار، وتم إصدار قانون الاستثمار رقم ٣٠ لعام ٢٠١٤ والذي بموجبه تم دمج مؤسسات الاستثمار المعنية بالاستثمار من «جدكو» التي هي معنية بترويج المؤتمرات والصادرات، بالمناطق التنموية ومؤسسة المناطق الصناعية، ولكن الدمج كان شكلياً أكثر مما هو حقيقي. وكذلك تم دمج القوانين مع بعضها كما هي عليه، بمعنى تم الاكتفاء بتوزيعها على أبواب مستقلة: الباب الأول... الباب الثاني... والباب الثالث... وقد طال الدمج حتى الموظفين، وبقيت كل جهة تحصل على الدعم المالي أو الرواتب بما أوجد تفاوتاً ملموساً بالرواتب بين الموظفين، وهو ما انعكس على إنتاجية الموظفين، ووُلد لديهم إحباطات. ولا ننسى أن مجالس الإدارات في هذه المؤسسات المدمجة بقيت موجودة، ولم يكن الإبقاء عليها هو الخيار الأفضل في عملية تعديل البيئة الاستثمارية في ذلك الوقت.

ومع كل التحديات الموجودة اليوم، نسمع عن الاتجاه نحو استحداث تعديلات على قانون الاستثمار، لا سيما وأنا اليوم نتحدث عن وجود وزارة للاستثمار بوزير مختص، بعد أن كانت تدار في السابق من رئيس الهيئة، وهذا يعني دراسة التبعات القانونية وانعكاساتها على بيئة الاستثمار في الأردن، من جهة ما إذا كان الوزير قادراً على التفرغ للأمور الفنية، في زحمة انشغالاته البروتوكولية المتعلقة بالاجتماعات واللقاءات وحضور جلسات مجلس الأمة. ولكن هذا التحدي الأخير سيتيح له اتخاذ القرار المناسب في مجلس وزراء لحل مشاكل المستثمرين. وفي الوقت نفسه نحن أمام تحدٍ بخصوص إيجاد صيغة قانونية تتصل بوزير الاستثمار بوضعه الحالي تجعل توقعاته وقراراته صحيحة أمام الجهات الأخرى. ومما ينقصنا اليوم ونطمح إليه هو وجود رؤية إستراتيجية واضحة تنعكس مخرجاتها على أرض الواقع، فأحد القطاعات التي تتمكن هيئة الاستثمار من الاستفادة منها هو مجال الطاقة المتجددة والتكنولوجيا النظيفة. ف سياسة الطاقة المتجددة - واقعياً - تغيرت في الأردن، ومن الصعوبة بمكان الحصول على ترخيص لطاقة متجددة بسبب زيادة الطلب على الطاقة المتجددة بالقياس لما



هو موجودة عندنا، وهو ما يشكل صعوبة أمام أي مستثمر يرغب الدخول في قطاع الطاقة المتجددة. علينا أن نفكر كيف نعطي حوافز لمثل هذا القطاع بالقانون وعلى أرض الواقع، وبخاصة في ظل تعارض السياسات في هذا الجانب. نحن بحاجة إلى رؤية واضحة في المجالات التي نريد جذب الاستثمارات لها. فثمة ارتباك في السياسات الاقتصادية عندما نريد استثماراً ثم نتحدث عن حوافز موجودة في القانون، ثم نتحدث عن استبعاد هذه الحوافز بطلب أو بتوصية من (الأي إم إف)، فهل نستطيع المنافسة في المنطقة في ضوء هذه المعادلة؟ وهل تكلفة الاستثمار عندنا مناسبة لوجود الحوافز. أعتقد أن المسألة تتصل بتخفيض التكاليف على المستثمر حتى يستطيع أن ينافس في المنطقة داخل الأردن وخارجه. وهذا يتطلب إعادة النظر في موضوع الحوافز أو إلغائها، حتى لا تتأثر بيئة الاستثمار، إذ إن الحديث عن الترويج و Marketing لا يكفي لخلق بيئة استثمارية، فليس بمقدورنا أن نختار أو نسحب الحوافز الموجودة. ويتصل بهذا الجانب ضعف الشراكة الحقيقية، فالشراكة الحقيقية ليس فقط عنواناً في الصحف، فنحن نرى جزءاً من العجز يكمن في القوانين الموجودة عندنا اليوم، وكذلك تبدو القرارات غير مدروسة بشكل صحيح، فالمتلقي لهذه الخدمة في القانون أو المطبق لهذا القانون في هذه الحالة معظمهم من القطاع الخاص، ولم يشاركوا في وضع القرار أو القانون، ولا يعني هذا أخذ رأيهم في كل التفاصيل ولكن يُصغى لوجهة نظرهم لتجاوز وإصلاح أي ثغرات في القانون أو التشريعات القادمة.

ومن السليبيات التي نواجهها عدم التنسيق بين مؤسسات الدولة، وارتفاع الضرائب وعدم وضوحها والبيروقراطية وعدم الوضوح والشفافية، وعدم وجود أولويات أو توصيف الأدوات و procedure اللازمة لكل فعالية ولكل نشاط. ولهذا ينبغي النظر إلى أرباح المستثمر على أنها نجاحات للشركة، لا أنه أمر سلبي يتطلب رفع الضريبة على المستثمر، بل يجب النظر لهذه النجاحات على أنها نجاح للاقتصاد الأردني. فتغيير الثقافة المجتمعية تجاه القطاع الخاص الأردني موضوع مهم، حتى لا يتحول الاستثمار إلى عبء على السياسات الأردنية.

والتحدي الآخر هو قانون الدفاع رقم (٦). فنحن اليوم متمسكون بشكل لا بأس به بالعمالة الموجودة في الشركات، ولكن إذا رُفِع قانون الدفاع وُسِّمِح للشركات بالاستغناء عن الموظفين والعاملين لديها، فسيصبح هذا الأمر تحدياً جديداً له آثاره السلبية على نسب البطالة الموجودة.

هذه هي بعض القضايا التي لها علاقة ببيئة الاستثمار. وأؤمن أنه إذا تمّ دعم الريادة والشركات والشباب والشابات في المرحلة المقبلة، وضمن استراتيجية واضحة فإنّ هذا سيكون له تأثيره الإيجابي على الاقتصاد الأردني بشكل عام.

## جائحة كورونا وتداعياتها من منظور الاقتصاد الإسلامي

د. أنوار أبو دلو\*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على نبينا وحبيبنا محمد، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه وسار على نهجه، إلى يوم الدين، جعلني الله وإياكم ممن تبعه وسار على نهجه، اللهم آمين، وبعد؛

فإن مختلف بلدان العالم لاتزال تعاني من أضرار وتبعات جائحة كورونا، التي أمت بالعالم منذ أواخر عام ٢٠١٩، متسببةً في إحداث اضطراب في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية، نظراً لخطورة المرض نفسه، وسرعة انتشاره في جميع أنحاء العالم من جهة، وما رافقه من إجراءات وتدابير احترازية قامت بها الحكومات في سبيل مواجهته من جهة أخرى.

وقد شهد تاريخ الاجتماع الإنساني حالات عديدة لانتشار أوبئة وأمراض، تسببت في مقتل وإصابة أعداد كبيرة من الناس، أبرزها: الطاعون الأسود الذي انتشر في أوروبا والشرق الأوسط خلال عام ١٣٤٧م، مخلفاً أكثر من ٢٤ مليون قتيل، وكذلك مرض الكوليرا الذي انتشر خلال القرن التاسع عشر مخلفاً ملايين القتلى والإصابات، حتى بلغت أعداد الإصابة بهذا المرض بحسب منظمة الصحة

\* أكاديمية وباحثة في الاقتصاد الإسلامي (الأردن).

العالمية ما يتراوح بين ٣، ١ إلى ٤ مليون حالة سنوياً، أما الإنفلونزا الإسبانية فقد اعتُبرت أعنف جائحة في تاريخ البشرية، حيث تسببت في مقتل ما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليون شخص في العالم، وذلك في الفترة من عام ١٩١٨ إلى ١٩٢٠.

ومن الناحية الاقتصادية، فقد تسببت تلك الأوبئة في إحداث أضرار وأزمات اقتصادية، نظراً لتكاليف مواجهة الوباء من جهة، مثل تكاليف علاج المرضى، ونقلهم، وتوفير المعدات الطبية، والأدوية، ومستلزمات الحماية، وكذلك تكاليف الحجر الصحي، وعزل المرضى، ودفن الموتى، وما إلى ذلك. ومن جهة أخرى تتسبب التداعيات المرافقة لانتشار الوباء، بأزمات اقتصادية على مستويات متفاوتة، مثل الذعر وتراجع المستهلكين والمنتجين، وكذلك الامتناع عن السفر خوفاً من العدوى، أو بسبب فرض الحكومة إغلاقات معينة للحد من العدوى، مما يعود بأثره بالطبع على النشاط الاقتصادي.

وبالعودة إلى جائحة كورونا، وبالرغم من أنها تعد أخف حدة من الجوائح السابقة من حيث أعداد الوفيات والإصابات؛ فقد أُلقت بظلالها على الاقتصاد المحلي والعالمي مسببة أزمة وتراجعا في مختلف القطاعات، حيث أنها ضربت جانبي الطلب والعرض معاً، وقد أشار تقرير الآفاق الاقتصادية الذي يُصدره البنك الدولي أن الانكماش الذي شهده العالم خلال عام ٢٠٢٠ قد بلغ ٣، ٤٪، وهو يعد رابع أشد ركود عالمي في فترة المئة وخمسين عاماً الماضية، والذي لم يتجاوزه سوى الكساد الكبير عام ١٩٢٩، والكساد المصاحب للحربين العالميتين الأولى والثانية. ويجدر بالذكر أن توقعات صندوق النقد الدولي لعام ٢٠٢٠ قبل حصول الجائحة كانت تتمثل ب نمو اقتصادي بنسبة ٦، ٣٪.

وقد أثرت الجائحة بشكل كبير على أعداد الفقراء في العالم، حيث ارتفع معدل الفقر في العالم بحسب مقياس خط الفقر الدولي لأول مرة منذ عام ١٩٩٨، كما تشير التقديرات إلى أنه من المتوقع أن تؤخر تأثيرات الجائحة من التقدم المحرر نحو إنهاء الفقر المدقع بمقدار ثلاث سنوات على الأقل.

وأما بالنسبة لمعدلات البطالة، فقد ارتفعت بشكل حاد في معظم بلدان العالم، حيث تشير إحصائيات منظمة العمل الدولية إلى تراجع ساعات العمل في عام ٢٠٢٠ بنسبة ٨,٨٪ مقارنة مع الربع الأخير من عام ٢٠١٩، وتعادل هذه النسبة ما مقداره ٢٥٥ مليون وظيفة بدوام كامل، وهذا الرقم يمثل أربعة أضعاف أعداد الوظائف المفقودة خلال أزمة الرهن العقاري سنة ٢٠٠٩.

بالإضافة إلى ما سبق، فقد تعاظمت المديونيات، خصوصاً في البلدان النامية، وارتفعت معدلات التضخم، وكذلك نسبة العجز في ميزان المدفوعات والميزان التجاري في غالبية بلدان العالم.

وقد اتجهت جهود الباحثين نحو تحليل هذه الجائحة وآثارها على مختلف جوانب الحياة، لمعرفة السبيل نحو التخفيف من حدة أضرارها، وإيجاد الحلول للخروج منها بأقل الخسائر الممكنة، وبالعودة إلى مصادر الفقه والتاريخ الإسلامي؛ نجد أنها لم تغفل عن ذكر ما يتعلق بالجوائح والتعامل معها، فعلى سبيل المثال أورد المقرئزي في كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» أن الأزمات الاقتصادية تنتج عن طريقين: الأول وهو خارج عن إرادة الإنسان، مثل الآفات السماوية كقصور جري النيل بمصر، وعدم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز، أو آفة تصيب الغلال من سمائم تحرقها، أو رياح تُهَيِّفها، أو جراد يأكلها، وما شابه ذلك. أما الطريق الثاني، فيتضمن العوامل البشرية، كسوء الإدارة الاقتصادية، أو ارتفاع الأسعار، أو اضطرابات في العملة. وجائحة كورونا تتبع النوع الأول من مسببات الأزمات، حيث إنها خارجة عن إرادة الإنسان، ولا يمكن التنبؤ بها والتحرز منها.

أما مصادر الفقه الإسلامي فقد زخرت بالأحكام والتشريعات التي تتعلق بكيفية التعامل في ظل الحالات الاستثنائية ومن بينها الجوائح، وما تسببت به من أضرار على النشاط الاقتصادي، كاختلال العقود والمعاملات، وفقدان وسائل كسب المعيشة للأفراد، والتدابير التضييقية التي فرضتها الحكومات على الأفراد في سبيل مواجهة الجائحة وضبطها، وغير ذلك.

ونظراً لضيق المساحة نسبةً للأفكار التي يمكن عرضها في هذا الموضوع؛ فإنه سوف يتم التركيز على أبرز الحلول والترتيبات الشرعية التي يمكن تفعيلها والاستفادة منها في ظل جائحة كورونا، والتي تتضمن: الاستعانة بنظرية الظروف الطارئة، وكذلك نظرية الضرورة الشرعية وما يتصل بها من قواعد فقهية، من أجل إسعاف المتعاقد المنكوب جراء الجائحة وتداعياتها، وكذلك دور نظام التكافل الاجتماعي الإسلامي في التخفيف من أضرار الجائحة وتداعياتها.

أولاً: نظرية الظروف الطارئة: يتمثل مضمون نظرية الظروف الطارئة بحسب الفقهاء المعاصرين (وهبة الزحيلي، فتحي الدريني)، بوجود حادث أو ظرف طرأ أثناء تنفيذ العقد، غير متوقع الحدوث، ويتعذر دفعه والتحرز منه، وقد يكون عاماً أو خاصاً، يصيب أحد المتعاقدين أو محل العقد، بفعل آدمي أو بفعل آفة سماوية ونحوها، ويتسبب في وقوع ضرر على أحد المتعاقدين أو كليهما، في حال المضي بتنفيذ العقد، عندها لا بد من التدخل لإسعاف المتعاقد المنكوب الذي اختل توازن عقده اقتصادياً.

أما عن مضان هذه النظرية في الفقه الإسلامي، فإننا نجدتها في أحكام فسخ الإجارة للعدر، وأحكام وضع الجوائح، ومن التطبيقات التي ذكرها الفقهاء على حالات فسخ عقد الإجارة للعدر، ما أورده الكاساني في مصنفة: «أما العذر الذي في جانب المستأجر فنحو أن يُفلس فيقوم من السوق، أو يريد سفراً... أو ينتقل من حرفة إلى الزراعة، أو من الزراعة إلى التجارة، أو ينتقل من حرفة إلى حرفة... وأمّا الذي هو في جانب المؤاجر، فنحو أن يلحقه دين فادح لا يجد قضاءه إلا من ثمن المستأجر من الإبل والعقار ونحو ذلك... وأمّا الذي هو في جانب المستأجر، فمنها عتق العبد المستأجر، فإنه عذر في فسخ الإجارة... ومنها بلوغ الصبي المستأجر، أجره أبوه أو وصي أبيه أو جده... فبلغ في المدة، فهو عذر له، إن شاء أمضى الإجارة وإن شاء فسخ».

وكذلك ما أورده السرخسي من جواز فسخ عقد المزارعة بعذر الدين الذي يلحق بصاحب الأرض، الذي أجر أرضه ثم أصابه دين فادح، ولا مال له إلا هذه الأرض، فيبيعها ويسدد دينه من ثمنها، فإن المضي في العقد في هذه الحالة يلحقه ضرراً في نفسه، حيث قد يُحبس في هذا الدين، وحفظ النفس أولى من حفظ المال.

وكما أخذ الفقهاء بالعذر الخاص الذي يصيب الفرد، كالإفلاس، والدين، والمرض المعجز، وغير ذلك، فإنهم أيضاً يعتبرون العذر العام مسوغاً لفسخ العقد، ومن أمثلة العذر العام التي ذكرها الفقهاء: الخوف العام الذي يمنع سكنى البيت المستأجر، بسبب حرب أو نحوها، وكذلك حصار البلاد فيمتنع المزارعين من الوصول إلى الأراضي التي استأجروها للزراعة، وكذلك جوائح الثمار، كالتحط أو الفيضان أو الآفات الزراعية التي تهلك المحصول، وغيرها، فإنها تعتبر من الحوادث العامة التي تدخل في نظرية الظروف الطارئة.

أما بالنسبة لأحكام وضع الجوائح، فإنها تدور حول فكرة إنقاص ثمن الثمر المبيع على الشجر إذا أصابته جائحة، بعد إبرام العقد. وعمدة هذا التوجه حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «لو بعث من أخيك ثمراً فأصابته جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً، بَمَ تأخذ مال أخيك؟ بغير حق؟»، حيث يبين الحديث أن التمسك بتنفيذ العقد في ظل الجائحة يتضمن دفع المشتري للثمن دون مقابل، وهذا يعد ظلماً وأكل أموال الناس بغير حق، وقد نهى الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل.

وبعد استعراض ما سبق، يظهر السؤال الأهم: هل يمكن قياس جائحة كورونا على كل من الأعذار الطارئة والجوائح في الفقه الإسلامي؟

بالرجوع إلى أحكام فسخ الإجارة بالعذر، ذكر الحنفية أعداراً يظهر أنها أقرب لأن تكون ظروفًا طارئة خاصة، أصابت حالات فردية من المتعاقدين، وسوغت لهم الأخذ بالأحكام التي تكفل تحقيق العدالة ورفع الضرر، وبما أن

الحنفية أجازوا الظرف الخاص، فمن باب أولى اعتبار الظروف الطارئة العامة مثل جائحة كورونا عذراً يسوغ الأخذ بأحكام النظرية.

ومن ناحية أخرى فقد ذكر الفقهاء ما معناه أن الأجرة مرتبطة بالمنفعة، فإذا فاتت المنفعة فلا تلزم الأجرة، وإذا نقصت المنفعة فلا بد من إنقاص الأجرة بقدر فوات المنفعة، ومن ذلك ما أورده ابن تيمية في فتاويه أنه في الأراضي المستأجرة للزراعة؛ إذا لم يأت المطر، فللمستأجر فسخ العقد لأنه لم يحصل على المنفعة المقصودة من العقد، وأما إذا نقصت المنفعة، لسبب مثل انخفاض المطر عن المعتاد، عندها يُنظر إلى أجرة الأرض مع المطر المعتاد، فلو كانت ألف درهم مثلاً، وأجرة الأرض مع نقص المطر كانت ٥٠٠ درهم، عندها ينقص عن المستأجر نصف الأجرة المحددة، لأنه لم يتحصل على المنفعة المتعاقد عليها، وكذلك الحال لو أصاب الأرض جراد أو نار أو جائحة...، فإنه يُحط من الأجرة مقدار ما نقصت المنفعة.

وفي مثال آخر ذكر ابن تيمية أنه في حال استأجر الشخص ما تكون منفعة إيجاره للناس، كالحمام العام، والفندق، والمقهى، والمطعم، وغير ذلك، ثم تنقص المنفعة المعتادة لسبب ما، مثل أن ينتقل جيران المكان، أو يقل الزبائن بسبب خوف، أو خراب، أو قرارات من ولي الأمر، ونحو ذلك، عندها فإنه لا بد أن تنقص الأجرة بقدر ما نقص من المنفعة المعروفة.

وقد ورد في فتاوى البرزلي ما يؤكد ذلك، أنه لو قل الزبائن المعتادين لسكنى الفنادق المستأجرة، بسبب خوف الطريق، أو فتنة ما، فإن مستأجر الفندق يُخير بين فسخ العقد، أو المضي عليه بأجرته، وإذا سكت المستأجر، ولم يغادر الفندق حتى مضت مدة الإجارة أو بعضها، عندها يلزم عليه دفع كامل الأجرة، ولا تسقط عنه، إلا إذا أخلى المكان ولم ينتفع به، فالأجرة مقابل الانتفاع.



وبالعودة إلى جائحة كورونا، فقد تسببت في إفلاس بعض المؤجرين، وحاجتهم الملحة لبيع العقار المستأجر، أو فوات منفعة الشقق الطلابية التي استأجرها الطلاب قرب الجامعات، بسبب قرارات تعطيل دوام الجامعات، كما تسببت الجائحة أيضاً بفوات منفعة المحلات التجارية التي تم استئجارها قرب المدارس والجامعات، أو الأكشاك المستأجرة داخل الحرم الجامعي، وذلك جراء قرار تعطيل الدوام، حيث فقدوا زبائنهم المتوقعين، وبالتالي اختلت حساباتهم، وتسببت هذه القرارات بخسائر فادحة لم تكن مأخوذة بعين الاعتبار عند التعاقد، وكذلك مستأجري سيارات الأجرة مقابل مبلغ يومي يدفعونه لأصحابها، حيث حالت قرارات حظر التجوال بينهم وبين عملهم، فلم يتمكنوا من جمع الأجرة المطلوبة، وغير ذلك من الأمثلة التي يمكن اعتبارها أضراراً تستلزم اللجوء إلى أحكام النظرية من أجل رفع الضرر، واسترداد العدالة في الميزان العقدي الذي اختل توازنه بسبب الجائحة وتداعياتها، وقد يتم تحقيق ذلك بالتراضي بين العاقدين، وإلا فلا بد من اللجوء إلى القضاء، حيث يحكم القاضي بحسب القضية المرفوعة إليه، إما بتعليق تنفيذ العقد لزمان مؤجل، أو تعديل الالتزامات فيه، بالإنقاص أو الزيادة، كإنقاص الأجرة مثلاً على المستأجر، وقد يختار فسخ العقد، وذلك يعتمد على ما يناسب كل حالة تعاقدية، ويضمن تحقيق العدالة، ورفع الضرر الواقع على أحد المتعاقدين أو كليهما.

أما بالنسبة للجوائح في الفقه الإسلامي؛ فيمكن اعتبار جائحة كورونا جائحة بالمصطلح الفقهي، كونها من غير صنع الآدمي، ولا يمكن دفعها والتحرز منها أو التنبؤ بها، كما أنها تعدت حدود البلدان لتصبح عالمية. ومع أن أمثلة الفقهاء في أغلبها قد حددت الجائحة بمحل العقد، وبالتحديد عقود بيع الزروع والثمار التي هلكت بالجائحة؛ إلا أن ذلك لا يمنع من محاولة قياس كل حالة تعاقدية مستجدة تتحقق بها شروط وضع الجوائح عليها إذا توافرت الشروط المعتبرة للقياس، حيث إن الضرر المتحصل في بعضها جراء جائحة كورونا قد يفوق ضرر جائحة الزروع والثمار، والجوائح كما هي معتبرة في البيع، فهي معتبرة في جميع المعاملات.

وعلى سبيل المثال، فقد تسببت قرارات الإغلاق وحظر التجول بمنع المزارعين من الوصول إلى مزارعهم، مما أدى إلى فساد الثمر، أو انخفاض جودته وكميته، نظراً لعدم التمكن من العناية به، وبالتالي يتحمل المزارعون ضرراً غير معتاد جراء الجائحة. ومن الأمثلة الأخرى مصانع المستلزمات الدراسية من قرطاسية وأوراق ودفاتر...، التي أنتجت كميات معينة بحسب حاجة السوق المعتادة، لكن قرار تعطيل المؤسسات التعليمية تسبب في خسارة فادحة نظراً لتوقف الطلب على هذه المنتجات، فاختلف موازين التكاليف والعائد المتوقع، وتحملت تلك المصانع ضرراً غير معتاد بسبب الجائحة، وغير ذلك من الأمثلة.

وقد عُرض على مجلس المجمع الفقهي الإسلامي مشكلة ما قد يطرأ بعد إبرام العقود المتراخية في مختلف موضوعاتها؛ من تبدل مفاجئ في الظروف والأحوال ذات التأثير الكبير في ميزان التعادل الذي بنى عليه الطرفان المتعاقدان حساباتهما، مما يشابه حالة جائحة كورونا، وقد قرر المجمع فيما يتعلق بمعالجة هذه العقود أنه: «في العقود متراخية التنفيذ كعقود التوريد والتعهدات والمقاولات، إذا تبدلت الظروف التي تم فيها التعاقد تبديلاً غير الأوضاع والتكاليف والأسعار تغييراً كبيراً، بأسباب طارئة عامة لم تكن متوقعة حين التعاقد، فأصبح بها تنفيذ الالتزام العقدي يُلحق بالملتزم خسائر جسيمة غير معتادة...، ولم يكن ذلك نتيجة تقصير أو إهمال من الملتزم في تنفيذ التزاماته؛ فإنه يحق للقاضي في هذه الحالة عند التنازع، وبناء على الطلب، تعديل الحقوق والالتزامات العقدية، بصورة توزع القدر المتجاوز للمتعاقد من الخسارة على الطرفين المتعاقدين، كما يجوز له أن يفسخ العقد فيما لم يتم تنفيذه منه، إذا رأى أن فسخه أسهل وأصلح في القضية المعروضة عليه، وذلك مع تعويض عادل للملتزم له، صاحب الحق في التنفيذ، يجبر له جانباً معقولاً من الخسارة، التي تلحقه من فسخ العقد، بحيث يتحقق عدل بينهما، دون إرهاب للملتزم، ويعتمد القاضي في هذه الموازنات جميعاً رأي أهل الخبرة الثقات. كما يحق للقاضي أيضاً أن يُمهّل الملتزم إذا وجد أن السبب الطارئ قابل للزوال في وقت قصير، ولا يتضرر الملتزم له كثيراً بهذا الإمهال».

## ثانياً: نظرية الضرورة الشرعية

الضرورة كما عرفها الفقهاء هي «أن تطراً على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال وتوابعها، ويتعين أو يُباح حينئذ ارتكاب الحرام أو ترك الواجب أو تأخيره عن وقته دفعا للضرر عنه في غالب ظنه، ضمن قيود الشرع». والحكم المترتب على ذلك هو إما جواز ارتكاب الحرام، أو ترك الواجب أو تأخيره عن وقته بحسب الحالة.

والسؤال الذي يجدر طرحه في هذا السياق؛ هل يمكن اعتبار جائحة كورونا ضرورة شرعية؟ وبالتالي تجيز الأخذ بالرخص والأحكام التخفيفية التي تبيح بعض المحرمات، وتسقط أو تخفف بعض الواجبات؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من بيان الضوابط الشرعية التي وضعها الفقهاء للضرورة، وهي: أن تكون الضرورة قائمة لا منتظرة، وأن يتعين على المضطر مخالفة الأوامر أو النواهي الشرعية، بحيث لا يكون لدفع الضرر وسيلة أخرى من المباحات، وأن يكون في حالة اجتماع وجود محظور مع غيره من المباحات؛ عذراً يبيح له الإقدام على الفعل الحرام، وألا يخالف المضطر مبادئ الشريعة الإسلامية الأساسية؛ من حفظ حقوق الآخرين، وتحقيق العدالة، وأداء بعض الأمانات، ودفع الضرر، وأن يقتصر فيما يُباح تناوله للضرورة على الحد الأدنى أو القدر اللازم لدفع الضرر، على مذهب جمهور الفقهاء، وأن يتحقق ولي الأمر في حالة الضرورة العامة من وجود ظلم فاحش أو ضرر واضح، بحيث تتعرض الدولة للخطر إن لم تأخذ بمقتضى الضرورة، وأن يكون الهدف من فسخ العقد للضرورة هو تحقيق العدالة، وعدم الإخلال بمبدأ التوازن العقدي بين المتعاقدين، ورفع الضرر والمشقة.

وبالتالي، فإن أي ضرورة عامة كانت أو خاصة، تلجّ على الأفراد وتوقعهم في ضرر ومشقة، إذا تحققت فيها الضوابط التي سبق ذكرها؛ فإنها تعد ضرورة معتبرة شرعاً، وتأخذ من الأحكام الاستثنائية ما يفي بدفع الضرر وتحقيق

العدالة. وبالنسبة لجائحة كورونا واعتبارها ضرورة شرعية، فإنه لا بد من دراسة كل حالة على حدة، ووزنها في ميزان ضوابط الضرورة الشرعية التي سبق ذكرها، فإن تحققت فيها تلك الضوابط، فإنها تعتبر ضرورة شرعية، وتأخذ من أحكام النظرية ما يرفع الضرر، أما إذا تخلف شيء من هذه الضوابط، فلا تعتبر تلك الحالة ضرورة شرعية. وبهذا التصور، فإنه يمكن القول بأن الجائحة لا تعتبر بمجملها ضرورة شرعية، فهناك من الحالات ما يصل فيها الضرر إلى حد الضرورة، وهناك حالات أخرى لم يصل بها الضرر إلى ذلك الحد، فعلى سبيل المثال هناك من فقد عمله ومصدر قوته وقوت عياله، ولا يوجد لديه مصدر آخر، فهذا يدخل في حكم الضرورة الشرعية، إذا توافرت الشروط، ويأخذ من أحكامها التخفيفية، وهناك من لم يفقد عمله، أو تم تخفيض راتبه، لكنه لا يزال قادراً على إعالة نفسه وأهله، وأداء المستحقات المترتبة في ذمته، فهذا لا يدخل في حكم الضرورة الشرعية. والله تعالى أعلم.

وهناك مجموعة من القواعد الفقهية المتعلقة بالضرورة الشرعية، والتي يمكن تفعيلها في ظل جائحة كورونا، ومن أبرزها: قاعدة «المشقة تجلب التيسير»، ففي الحالات التي أدت فيها الجائحة وما رافقها من تدابير وإجراءات إلى وقوع مشقة على الأفراد، فإنه يمكن اللجوء إلى الرخص والتخفيفات التي تضمن رفع هذه المشقة، بشرط أن تكون المشقة معتبرة بحسب الضوابط التي ذكرها الفقهاء، حيث ليست كل مشقة جالبة للتيسير، وهذا يضبطه أهل الخبرة والاختصاص.

وهناك أيضاً قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات»، حيث تبيح الضرورة الشرعية للمضروبين إتيان بعض المحظورات في سبيل رفع الضرر، لكن هذه القاعدة لا بد من التعامل معها بحذر، ومراعاة القواعد الفرعية التي تضبط دائرة تطبيق هذه القاعدة، ومن ذلك قاعدة: «الضرورة تقدر بقدرها»، أي يباح المحظور بالقدر الذي تندفع به الضرورة دون إفراط. وكذلك قاعدة «ما جاز لعذر يبطل بزواله»، فإذا زالت الجائحة، أو خففت الحكومة قيودها، وصار

بالإمكان مزاولة العمل ورفع المشقة والضرورة، عندها لا يجوز العمل بالرخصة الشرعية. وصحيحٌ أن الضرورة تبيح المحظور، لكنها لا تبيح استحلال حقوق الآخرين، حيث تقول القاعدة: «الاضطرار لا يبطل حق الغير»، وبصيغة أخرى «الاضطرار لا يسقط الضمان» و«الضرورات لا تبيح إتلاف مال الغير بغير ضمان»، ومفاد هذه القاعدة أنه لو أصاب إنسان مال غيره بناءً على الاضطرار الذي يجوز له التصرف في ملك غيره؛ فالاضطرار لا يعفيه من الضمان، حيث يتوجب عليه ضمان مثل ما أتلّف إن كان مثلياً، أو قيمته إن كان قيمياً، فمن أكل طعام غيره دون إذنه لكي يدفع الهلاك عن نفسه، لا تسقط عنه المسؤولية المالية، فالأعذار الشرعية لا تنافي في عصمة المحل.

وكذلك قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، وأصل هذه القاعدة حديث رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»، وتعد هذه القاعدة أصلاً لقواعد منع إلحاق الضرر، وهي كثيرة، لا مجال للتوسع بها هنا، ومن التطبيقات ذات العلاقة بجائحة كورونا، والتي تندرج تحت القاعدة الكلية «لا ضرر ولا ضرار»: أنه إذا انتشر الوباء في مدينة أو منطقة معينة، فإنه لا بد من عزلها ومنع سكانها من مغادرتها، ومن غيرهم من الدخول إليها، منعاً لانتشار الوباء إلى الأصحاء والإضرار بهم.

وكذلك عند اكتشاف إصابات بالوباء بين الناس، فلا بد من حجرهم في الأماكن التي تخصصها الحكومة لذلك الغرض، ومنعهم من مغادرتها لحين شفائهم تماماً، لأن مخالطتهم الآخرين تسبب ضرراً عاماً، وحجرهم يتضمن ضرراً خاصاً بتقييد حرياتهم، ويُتحمل الضرر الخاص منعاً للضرر العام.

ويُضاف إلى ذلك بقية الإجراءات الحكومية التي تقتضي تقييد حريات الأفراد كمنع السفر، وحظر التجوال، والإغلاقات... حيث تتضمن مشقة وضرر على الأفراد، لكن يُتحمل هذا الضرر الخاص دفْعاً للضرر العام، بانتشار العدوى، وخروج الأمر عن القدرة الاستيعابية للقطاع الصحي.

أما الجانب الآخر من القواعد الفقهية التي يمكن توظيفها في جائحة كورونا، فيتضمن القواعد التي تتعلق بالمصلحة العامة، ومدى سلطة ولي الأمر في فرض القرارات، لتحقيق مصالح الناس، ودفع المفسد عنهم، وأبرز القواعد التي ترد في هذا الصدد هي قاعدة: «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، والتي تفيد أن نفاذ تصرف الراعي على الرعية، ولزومه عليهم، متوقف على وجود ثمرة أو منفعة من وراء ذلك التصرف، دينية كانت أو دنيوية. وذلك بجلب مصلحة لهم، أو دفع مفسدة عنهم، ويلزم عليهم عندها اتباع أوامره وطاعته. ومن القواعد الفرعية المتعلقة بتصرفات الإمام كذلك قاعدة: «للإمام تقييد المباح مراعاة للمصلحة العامة»، حيث سمح الشارع للإمام منع المباحات أو تقييدها، إذا كان إبقاؤها يفضي إلى مفسدة عامة.

وفي ظل جائحة كورونا، قامت الحكومات بفرض قيود وتدابير احترازية بهدف منع انتشار الوباء، وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي في هذا السياق ما نصه: «يجوز للدول والحكومات فرض التقييدات على الحرية الفردية بما يحقق المصلحة سواء من حيث منع الدخول إلى المدن والخروج منها، وحظر التجول أو الحجر على أحياء محددة، أو المنع من السفر، أو المنع من التعامل بالنقود الورقية والمعدنية وفرض الإجراءات اللازمة للتعامل بها، وتعليق الأعمال والدراسة، وإغلاق الأسواق، كما أنه يجب الالتزام بقرارات الحكومات بما يُسمى بالتباعد الاجتماعي ونحو ذلك مما شأنه المساعدة على تطويق الفيروس ومنع انتشاره».

ولا بد على الإمام عند اتخاذ قراراته فيما يتعلق بجائحة كورونا، التوفيق بين تحقيق مقصد حفظ النفس، وكذلك بقية الضروريات الخمسة، كما عليه أيضاً مراعاة القواعد الفقهية المتعلقة بالموازنة بين المصالح والمفاسد، ومن أهمها قاعدة: «درء المفسد أولى من جلب المصالح»، أي إذا اجتمعت في التصرف الواحد، مفسدة ومصلحة، فإن دفع المفسد والأضرار أولى وأجدر من الإتيان بالمصالح، وذلك في حال تعارضهما، أما إن أمكن الجمع بينهما فذلك أولى.

وكذلك قاعدة «يُدفع أعظم الضررين بأدونهما»، أو بأهونهما. ولا بد من استشارة أهل الخبرة والدراية في الموازنة بين المصالح والمفاسد، حيث إن المصالح متفاوتة ولا تُضبط إلا بالتقريب كما أورد الفقهاء.

### ثالثاً: التكافل الاجتماعي الإسلامي

يظهر تميّز الشريعة الإسلامية في سعة أحكامها التي تضمن تكافل الناس وتعاونهم في مواجهة ظروف الشدة والحرص، قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)، وفي السنة النبوية، قال عليه الصلاة والسلام: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»، وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تدعو إلى تكافل الناس وتعاونهم، وإذا كان هذا الحال في الظروف الاعتيادية؛ فإن الدعوة إلى التكافل أشد وأكدر في الظروف الاستثنائية الشاقة.

والسؤال الأهم هنا هو كيف يمكن لمؤسسات التكافل الاجتماعي الإسلامي أن تسهم في مواجهة جائحة كورونا؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد أولاً من استعراض مؤسسات وقنوات التكافل الاجتماعي في الإسلام، حيث يتميز بشموليته وتعدد قنواته وتنوعها لتشمل جميع فئات المجتمع الإسلامي، فهناك نفقات أوجبها الشارع على المكلفين؛ ومنها النفقات الأسرية، فقد أجمع العلماء على وجوب الإنفاق شرعاً على الزوجة، والولد، والقريب المعسر، فالرجل مكلف شرعاً في الإنفاق على زوجته وأولاده، وتالياً يكلف الأولاد بالإنفاق على والديهم عند الكبر. وكذلك الإرث، حيث توزع أموال المتوفى على أقاربه بحسب درجة القرابة. ومنها أيضاً الكفارات، حيث يوجب الشرع على من يقوم بارتكاب مخالفات شرعية معينة أن يقوم بإطعام المساكين. وكذلك نظام العاقلة، والذي يقضي بالتزام البالغين من أقارب الجاني بدفع دية القتل الخطأ أو شبه العمد إلى أولياء المقتول. وأخيراً الزكاة التي حملت

عن كاهل الدولة جزءاً كبيراً من وظائفها، خصوصاً في مجال تحقيق الكفاية، وسدّ خُلة الفقراء والمساكين والغارمين، حتى إنها نجحت في القضاء على الفقر تماماً في بعض الأوقات، حيث ورد عن عثمان بن عفان أنه حينما بعثه الخليفة والياً على اليمن؛ بعث له ثلث صدقة أهل اليمن في العام الأول، ونصفه في العام الثاني، وفي العام الثالث بعث له كامل صدقة أهل اليمن، حيث لم يجد عمال الزكاة فقيراً يُعطوه منها. وفي هذا دلالة على خلو اليمن من أي فقير، فتكون الزكاة بذلك قد قضت على الفقر تماماً.

وفي ظل جائحة كورونا يمكن تفعيل دور الزكاة، بأن يتم توجيه حصيلتها نحو المصارف الأكثر تضرراً من تبعات جائحة كورونا، وهم في الغالب الفقراء والمساكين والغارمين، حيث إن كفايتهم وإغنائهم هو الهدف الأول للزكاة، كما يمكن الاستفادة من حصيلة الزكاة في ظل الجائحة من خلال توجيهها إلى:

تأمين الحاجات الأساسية من مأكّل ومشرب ومأوى، للفقراء والمساكين، والعمال وصغار التجار الذين فقدوا مصادر دخلهم، وعجزوا عن إعالة أسرهم.

توفير العلاج للفقراء المصابين بمرض كورونا، وكذلك دفع تكاليف الحجر والرعاية الصحية للمشتبه بإصابتهم المحجورين في أماكن الحجر الصحي. حيث يعدّ العلاج مما يدخل في مفهوم الكفاية التي تهدف الزكاة لضمانها للفقراء، ولكن صرف الزكاة لعلاج الفقراء له ضوابط أهمها: أن لا يتوفر العلاج المجاني للفقير، كما لو أمكن علاجه في المستشفيات الحكومية، وأن يكون العلاج لما تمس الحاجة لمعالجته من الأمراض، وليس من الأمراض اليسيرة الشائعة التي لا يلحق الشخص بتركها ضرر، أو الأمور التجميلية والكمالية، وأخيراً أن يُراعى في مقدار تكاليف العلاج عدم الإسراف والإقتار.

توفير الحاجات الأساسية للطلاب وغيرهم من غير المقيمين في البلد، والذين منعوا من السفر بسبب القرارات الحكومية، وليس لديهم ما يحقق كفايتهم،



باعتبارهم بحكم ابن السبيل. حيث يجوز إعطاء طلاب العلم والعمال الذين يريدون العودة إلى ديارهم، وليس لديهم مال ينفقون منه، ولا يمكنهم تحصيل شيء من أموالهم في ديارهم. أما إذا كانوا مقيمين ومستقرين في البلد؛ فإنهم يُعطون كفايتهم من الزكاة من مصرف الفقراء والمساكين، وليس ابن السبيل.

وبالانتقال إلى النفقات التطوعية في الإسلام؛ نجد أن لها مجالاً واسعاً لا حصر له، حيث ندب الشارع إلى الصدقة على الفقراء والمحتاجين، وكفالة اليتامى، وإعانة الجار، والعمل الخيري بكافة أنواعه وقتواته، والنصوص الشرعية الدالة على الحث على الإنفاق كثيرة لا مجال لذكرها هنا، نكتفي منها بحديث أبي سعيد الخدري حيث قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل، وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الإنفاق في وقت الشدة والحاجة يكون أكد وأشد.

ومن أهم النفقات التطوعية والتي يمكن تفعيلها في ظل الجائحة، نظام الوقف الذي كان له دور باهر في التاريخ الإسلامي، وحمل عن عاتق الدولة وظائف عديدة، ومن أهم الشواهد التاريخية على الأوقاف الصحية؛

على دور الأوقاف في المجالات الصحية، عندما قام الخليفة الوليد بن عبد الملك في زمن الخلافة الأموية بإنشاء البيمارستانات (المستشفيات) ووقفها للمرضى في دمشق، ومنع المجذومين من سؤال الناس، بل وأوقف لهم ما يُدر عليهم أرزاقاً، وأمر لكل مقعد خادماً، ولكل ضرير قائداً.

وفي الخلافة العباسية انتشرت أوقاف البيمارستانات بشكل كبير، وقام الخلفاء باستقدام كبار الأطباء للعمل فيها، وتعليم الطب، كما قاموا بشراء كتب كبار الطب ووقفها في البيمارستانات ليستفيد منها الأطباء في عملهم،

وكان العلاج فيها مجاناً لجميع المواطنين، وكان المريض يلقي عناية فائقة، حيث يحصل على ثياب جديدة، وأغذية متنوعة، والأدوية اللازمة، وبعد شفائه كان يعطى نفقة تكفيه ليستطيع العودة إلى بلده.

أما بالنسبة لأحقية العلاج في تلك البيمارستانات فذكرت الكتابات أنها للبعيد والقريب، والأهلي والغريب، والقوي والضعيف، والدني والشريف، والعلي والحقير، والغني والفقير، والمأمور والأمير، والأعمى والبصير، والمترف والصلعوك، والمليك والمملوك. أي أنها شاملة لكل فئات المجتمع بمختلف مراتبها وطبقاتها.

وفي ظل جائحة كورونا، يمكن للدولة أن تستحث الناس على القيام بالأوقاف التي تمس الحاجة إليها، وتقدم لهم من التسهيلات ما يشجعهم على ذلك، مثل السماح لهم بجزء من إدارة هذه الأوقاف، أو إعفائهم من ضرائب معينة على سبيل المثال، ومن ذلك: الأوقاف الصحية: كالمستشفيات الثابتة والمتنقلة، والمراكز الطبية، والأجهزة الطبية، مثل أجهزة الأكسجين، والمستلزمات الطبية والوقائية كالكمادات، والمعقمات، وكذلك اللقاحات، وغير ذلك مما يحتاجه المرضى في هذه الجائحة.

وأخيراً، يتضمن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام إلى جانب كل من النفقات الإلزامية، والنفقات التطوعية، نفقات استثنائية؛ حيث يجوز للدولة وفي الظروف الطارئة من مجاعات وأزمات وحروب؛ أن تلجأ إلى مصادر استثنائية لتمويل أعمالها مثل فرض الضرائب والاقطاعات على الأغنياء، أو الاقتراض منهم، أو من الخارج، وذلك إذا لم تضمن الموارد السابقة تحقيق الكفاية والحماية لجميع رعايا الدولة. وقد أورد الفقهاء في هذا الصدد أنه إذا لم تف الزكاة بكفاية الفقراء في البلد، يُجبر الأغنياء بتحقيق كفايتهم من القوت الذي لا بد منه، واللباس، والمسكن الذي يحميهم من المطر والشمس وعيون المارة.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن هناك ضوابط شرعية لفرض الضرائب على الأغنياء؛ حيث يحق للدولة فرض ضرائب على رعاياها لتحقيق المصلحة العامة،

بشروط أن لا يتوفر لديها موارد أخرى، وأن يبيع الحكام والأمراء والوزراء ممتلكاتهم الثمينة، وهذا ما نصت عليه فتوى العز بن عبد السلام، حينما أراد الملك قطز أن يأخذ من الناس ما يستعين به على مواجهة هجوم التتار على مصر، وطلب الفتوى من الفقهاء، فكان رده أنه: «إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيّة ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كلّ الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامّة، وأما أخذ الأموال من العامّة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا». أعاد الله على الأمة الإسلامية عزها ومجدها الذي فقدته للأسف بعد أن ضعف تمسكها بدينها ومبادئ شريعته.

وتجدر الإشارة إلى مدى حصانة النظام الإسلامي من الأوبئة والأمراض، على الأقل من الناحية النظرية، فقد أكدت التوصيات الصحية على ضرورة المحافظة على النظافة اليومية، سواء نظافة البدن، أو اللباس، أو المكان، وأن هذا هو السبيل الوحيد لضبط العدوى ومنع انتشار الأمراض، وبالنظر إلى أحكام الشريعة في هذا المجال نجد أنها تدعو وتؤكد على أهمية حفظ النفس البشرية من كل ما يضرها، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة: ٤)، وفي موضع آخر: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقد حرم الله على عباده الميتة والدم ولحم الخنزير، وكل ذلك مما يضر بصحة الإنسان، كما أمر الإسلام بالنظافة والطهارة، فكان من أوائل ما نزل من الآيات قوله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤)، واشترط طهارة البدن والمكان من أجل الصلاة، والتي فرضت خمس مرات في اليوم، وهذا يعني المحافظة على النظافة طوال اليوم، بالإضافة إلى الأمر بتغطية الوجه عند العطاس، والنهي عن التنفس والنفخ في الإناء، وأمر بتغطية الأواني، ونهى المجذوم والأبرص من الصلاة في المسجد مخافة نقل العدوى للمصلين، ونهى عن اقتناء الكلب إلا لحاجة، وغير ذلك من الأحكام التي لا يتسع المجال لذكرها.

وفي الختام توصي الباحثة بضرورة توحيد جهود العلماء في المجامع الفقهية والمراكز البحثية والجامعات، من مختلف بلدان العالم الإسلامي؛ وتوجيهها إلى استقراء ما كتب في الفقه الإسلامي، من أجل الخروج بدليل فقهي متكامل لكيفية التعامل في ظل الجوائح ومواجهتها، بحيث يكون واضحاً وقابلاً للتطبيق العملي، بالإضافة إلى ضرورة توحيد الفتاوى في ما يتعلق بجانب المعاملات الاقتصادية في ظل الجائحة، وكذلك تفعيل دور نظام التكافل الاجتماعي الإسلامي من خلال حملات إعلامية وتوجيهية، لعله يستعيد ولو جزء يسير من دوره الذي قام به على مر التاريخ الإسلامي.

هذا ما وفقني الله لكتابته في هذه السطور، وما كان فيه من توفيق وسداد، فمن الله وحده، لا شريك له، وما كان فيه من خطأ أو تقصير، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله على ذلك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## تطبيقات الاقتصاد السلوكي في ظل جائحة كورونا

( حالة الأردن )

د. زايد نواف الدويري\*

تعتبر المدرسة السلوكية في الاقتصاد واحدة من أكثر المدارس تأثيراً في مجال صنع السياسات العامة، وتقوم هذه المدرسة على المزج بين علم الاقتصاد وعلم النفس من أجل فهم سلوك الأفراد عندما يتم اتخاذ القرارات، فالاقتصاد السلوكي اقتصاد يمتزج فيه التحليل النفسي مع التحليل الاقتصادي، أو إعطاء العوامل النفسية اعتبارها ووزنها عند دراسة المشكلة الاقتصادية<sup>(١)</sup> وهو فرع من فروع علم الاقتصاد، يستمد مناهجه من علم النفس وعلم الاجتماع، ويمزجها بالنظريات أو التحليل الاقتصادي<sup>(٢)</sup>، اعتماداً على نظرية الوكز (التنبيه)<sup>(٣)</sup>

وإن للوكز السلوكي أهمية بالغة في الحد من التصرفات السلبية في المجتمع عموماً<sup>(٤)</sup>، سواء على الصعيد الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو البيئي، أو التعليمي، أو الصحي، مثل: تناول الطعام الصحي، أو الحفاظ على البيئة، أو ادخار المال في الأوقات الحرجة أو التصرف بطريقة أخلاقية، أو حتى العنف الأسري والتحريض ضد الأقليات، كما يلعب الوكز دوراً مهماً في دفع القادة نحو التنمية، من خلال تحفيز سلوكيات الأفراد<sup>(٥)</sup>، بل إن الوكز هدفه الرئيس جعل الحياة أبسط وأكثر أماناً وسهولة في مجالات مختلفة التقل مثل: الصحة والتعليم والتمويل، وتعزيز الشفافية وتقليل الأعباء والادخار، من خلال تسهيل التعامل مع الإجراءات الحكومية، وعدم المساس بحرية اختياراتهم<sup>(٦)</sup>.

---

\* دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي ومتخصص في الاقتصاد السلوكي إعلامي في إذاعة القرآن الكريم وعضو رابطة علماء الأردن.

من هنا، فإن أهم هدف للوكز هو التنبيه بوجود خيارات أخرى أمام الفرد قبل اتخاذ قراره وسلوكه، الذي يعتقد بعقلانيته ورشده وتحفيزه نحو القرار والسلوك الذي يحقق له المنفعة، فيجعل هذا الرشد مقيداً بتلك الخيارات التي قد تكون أفضل وأكثر رشداً. وبمناسبة الحديث عن العقلانية والرشد، فقد جاء الاقتصاد السلوكي في محاولة منه لتفسير السلوك الاقتصادي مفترضاً مناقضته أو عدم الالتزام بما يقول به الاقتصاد التقليدي القائل بفرضية الرشد، ولا يكفي بهذا، بل يفترض وجود تأثيرات نفسية وعوامل أخرى على السلوك، فكان الربط بين علم الاقتصاد وعلم النفس.

ومن الجدير بالذكر أن الحديث عن الاقتصاد السلوكي في هذه الدراسة، لا يعني بالمطلق أنه سيسوقنا إلى المسار الصحيح وتسويقه انطلاقاً من تبني الهجوم على نظرية الرشد، بل هي مقارنة سلوكية لمعرفة مدى تأثير العوامل النفسية على التحليل الاقتصادي وانعكاسه على الواقع العملي.

### الاقتصاد السلوكي وجائحة كورونا

يبدو أن جائحة كورونا أُلقت بظلالها سلوكياً على دول العالم للتعامل مع آثارها الماثلة في جميع القطاعات، وإن كانت معظم دول العالم ركنت لقرون لاحقة إلى أدوات الاقتصاد التقليدي لحل مشاكلها، فإنها تجد نفسها بحاجة ماسة للاقتصاد السلوكي في ظل الجائحة وإن لم تشعر، حيث إن العائق الرئيس والمدخل لذلك هو الإجماع على نشر الوعي وإقناع الناس بالإجراءات المتخذة (رغم الخلاف في كيفية تنفيذها) لتلافي الآثار السلبية لكورونا، فكان الخطاب النفسي للحكومات (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) متوازياً مع الإجراءات الاقتصادية والصحية وغيرها، وهذا هو مضمون الاقتصاد السلوكي، يقول مؤسس الاقتصاد السلوكي ريتشارد ثالر: «الحوكمة الرشيدة تتطلب القليل من الإكراه والقيود الحكومية والكثير من حرية الاختيار، وإذا حلت الحوافز والتنبهات محل المتطلبات والممنوعات فستصبح الحكومة أقل حجماً وأكثر تواضعاً، لذا فلنكن واضحين: إننا لا ندعو إلى حكومة أوسع وإنما إلى حكومة أرشد فحسب»<sup>(٧)</sup>.

من هذا المنطلق فلا مناص من اللجوء إلى الاقتصاد السلوكي (الوكز) لتغيير سلوكيات الناس خاصة في ظل الجائحة الماثلة أمام العالم كله والتي تعتبر تحدياً من نوع آخر فاق الحروب والنزاعات العسكرية العالمية والتي كان آخرها الحرب العالمية الثانية.

وفيما يبدو وحتى الآن، تقود السياسات التقليدية إجراءات مواجهة جائحة كورونا، فيما لا تزال طرق التدخل السلوكي محدودة في دول العالم، ويمكن لأدوات التدخل السلوكي وبناءً على فهم دوافع وتصرفات الأفراد في تعاملهم معها، أن تُسهم في معالجة آثار وإجهاد الجائحة، وحسب ورقة عمل أعدتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD, 2020)، تناولت من منظور الحوكمة، وتساءلت عن إمكانية اعتبار الرؤى السلوكية جزءاً لا يتجزأ من سياسات الاستجابة الشاملة لجائحة (كوفيد-19) <sup>(أ)</sup>.

### التجربة الأردنية السلوكية في مواجهة كورونا

وفي هذا المقال أعرض للتجربة الأردنية في استخدام تطبيقات الاقتصاد السلوكي في القطاع الصحي في ظل جائحة كورونا (دراسة حالة)، وفق المراحل الآتية:

- \* المضامين الرئيسية لمواجهة الجائحة.
- \* اتجاهات التغيير السلوكي لمكافحة الجائحة.
- \* الأبعاد السلوكية والنفسية في التجربة الأردنية.

### المضامين الرئيسية لمواجهة الجائحة

- \* إقناع المواطنين بوجود الجائحة والالتزام بالإجراءات والتقييدات .
- \* ترويج اللقاحات والمطاعيم لأكبر عدد ممكن بنسبة ٦٠٪ من السكان.
- والفئة المستهدفة ٥, ٤ مليون إذا تم استثناء من هم تحت سن ١٨ ولن يتم إجبارهم على التطعيم لغاية إعداد هذا المقال، وعددهم ٦, ٥ مليون من أصل عدد سكان الأردن ٨, ١٠ مليون، وحسب إحصاءات وزارة الصحة ليوم الجمعة ١٠/١٢/٢٠٢١ وصل عدد المسجلين على المنصة

تلقي اللقاح ٤,٥٥٤,٣٩٩ وعدد المطعمين جرعة أولى ٤,٢١٤,١٦٠، وعدد المطعمين جرعة ثانية ٣,٨٠٨,٣٣٦ ما يعني نجاح الجهود الحكومية من تحقيق توجيه اللقاح للفئة المستهدفة ولو بشكل متأخر نسبياً، ونلاحظ أدناه الفرق الواضح في الإقبال على التطعيم خلال ٨ شهور من هذا العام (شهر ٤ إلى شهر ١٢) <sup>(٩)</sup>.



الصورة من موقع المركز الوطني لإدارة الأزمات <sup>(١٠)</sup>





الأبعاد السلوكية والنفسية في التجربة الأردنية: عندما يتحدث الاقتصاد السلوكي عن كيفية فهم السلوك البشري وتغييره، فإنه يدخل بعمق إلى طبيعة ذلك السلوك من خلال ما يسمى (الانحيازات المعرفية) وهي أنماط منظمة وعديدة من الانحراف عن العقلانية في الحكم على الأمور ما يؤثر على عملية اتخاذ القرار عن الفرد، وتطلق على أنماط التفكير العقلي أو الوهم المعرفي أو العاطفي عند الفرد في تعامله مع المعلومات، حيث تسبب اتخاذ القرار غير الصحيح أو الانحراف عنه، ويتم استخدام هذه التحيزات واستغلالها عند الاقتصاديين السلوكيين لتوجيه الفرد للسلوك الصحيح<sup>(١١)</sup>، ويشار إلى أن التحيز المعرفي لا يعتبر عجزاً إنما هو تفضيل ناتج عن نمط من التفكير أو تشوه يتم به معالجة المعلومات، بمعنى آخر اختصارات عقلية تؤدي إلى قرارات خاطئة نتيجة معالجة المعلومة بسرعة أو بوضوء ذهنية<sup>(١٢)</sup>، وهذه الانحيازات غير محصورة بعدد معين بل تفوق العشرات وتصل إلى خمسين حسب ما يظهر للعلماء من أبحاث، والسبب هو أن سلوكيات الناس متغيرة وكثيرة<sup>(١٣)</sup>.

كيف وظف الأردن التحيزات المعرفية في مسارات التغيير الأربعة: تستند عملية التغيير السلوكية في مسارات أربعة هي: (تشريعات قانونية، أعراف مجتمعية، وعي مجتمعي، بيئة مجتمعية) إلى مجموعة من التحيزات بدءاً من وصول الجائحة وانتهاءً بعملية التطعيم والتي وصلت إلى الدعوة لإعطاء الجرعة الثالثة المعززة<sup>(١٤)</sup>:

بدء الجائحة	الانتشار	الحظر	العودة	التطعيم
١- تفضيل الجماعة	١- تأثير العربة	١- انحياز التوافر	انحياز التفاؤل	تأثير الارتساء
٢- الثقة المفرطة	٢- انحياز التأكيد	٢- الإدراك المتأخر		

## شرح التحيزات<sup>(١٥)</sup> وربطها مع الجائحة من خلال سلوكيات المجتمع الأردني

### مرحلة بدء الجائحة:

١- تحيز الانتماء إلى المجموعة: ويعني تفضيل الفرد للمجموعة التي ينتمي إليها على المجموعات الأخرى، وكان هذا التحيز ظاهراً عند بدء الجائحة وتناقل وسائل الإعلام العالمية الأخبار عن مصدر الفيروس هو الصين وتناقل الاتهامات عن المسؤول عن تصنيعه، وأصبح الانحياز العقلي العالمي هو أن الصين مصدر الوباء (الفيروس خارجي وليس داخلي)، وعلى مستوى الأردن كانت الاتهامات عن مصدر الفيروس تشير إلى معبر جابر، أو سائقي الشاحنات، أو ركاب طائرة قَدِموا من دولة معينة.

٢- انحياز الثقة المفرطة: وهو اعتقاد الفرد أنه أفضل مما عليه فعلاً. وفي الأردن لم يكن الناس على قناعة بتصريحات لجنة الأوبئة بخصوص الفيروس واستمروا في تبني نظرية المؤامرة وأن ما ينشر غير صحيح رغم الأدلة والبراهين العلمية المقدمة.

### مرحلة الانتشار

١- انحياز تأثير العربية: وهو ازدياد معدل تقبل الناس لأفكار وتصرفات الآخرين عندما يعتقدونها فعلاً، وظهر هذا جلياً في الأردن خلال شهر ٢ من عام ٢٠٢٠ بداية إعلان الحكومة الحظر الشامل حيث تدافع الناس إلى الأسواق لشراء المستلزمات عندما شاهدوا الآخرين يفعلون ذلك رغم التصريحات الحكومية بتوافر كل شيء.

٢- انحياز التأكيد: وهو قائم على تأكيد الناس لقناعاتهم السابقة، وفي الأردن واصل أتباع نظرية المؤامرة تبني أفكارهم ونشرها رغم التصريحات الرسمية بوجود الجائحة، حيث أظهرت دراسة عام ٢٠٢٠ شهر ٩، أن خمس الأردنيين لا يعتقدون بوجود جائحة كورونا، و ٦٥٪ لا يثقون بالأرقام المعلنة من قبل الحكومة حول كورونا.

## مرحلة الحظر

١- انحياز التوافر الإرشادي: أو التحيز للمتوفر، أو التوافر، وهو ميل الناس إلى اتخاذ قرار بناء على مثل متبادر إلى الذهن من خلال استرجاع المعلومات في الذاكرة، وفي الأردن واصل المشككون بكورونا نقد المبالغة الحكومية بخطورة كورونا من خلال قولهم إن كورونا هو فيروس عادي مثل الإنفلونزا بل إن الإنفلونزا أشد منه، وسرعان ما سينتهي مثل غيره من الفيروسات السابقة مثل إنفلونزا الخنازير والطيور.

٢- انحياز الإدراك المتأخر: وهو ميل الأفراد إلى المبالغة في الاعتقاد أنهم كانوا قادرين على التوقع الصحيح لحدث سابق، وفي الأردن واصل الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي نقدهم للحكومة بأن كان عليها تطبيق الحظر الشامل وليس الجزئي، وإغلاق المعابر والحدود وأن بعض التقييدات الحكومية كانت متأخرة خاصة فيما حصل في معبر جابر وسائقي الشاحنات، حيث كانوا سبباً في زيادة الإصابات وأنه كان على الحكومة عدم فتحها.

## مرحلة العودة

١- انحياز التفاؤل: وهو ميل الفرد للاعتقاد بأن لديه فرص إيجابية كثيرة مقابل السلبية المحدودة، ما يدفعه إلى تصرفات غير عقلانية تؤدي إلى نتائج سلبية، وفي الأردن وعقب انتهاء الموجة الأولى من كورونا وانخفاض المنحنى الوبائي إلى ما دون ٥٪ تراخى الناس في تطبيق الإجراءات خاصة بعد إلغاء حظر الجمعة، فتراخى الناس في التباعد الجسدي ولبس الكمامات والوجود في التجمعات في الأسواق ما أدى إلى ارتفاع مجدد وموجة كورونا جديدة مؤلمة، ومؤخراً تراخى الناس في تطبيق الإجراءات الصحية إلى حد وصف لجنة الأوبئة أن الالتزام شبه معدوم.

## مرحلة التطعيم

١- انحياز تأثير الارتساء: وهو ميل الفرد في الاعتماد على معلومة واحدة أو عدد محدود من المعلومات لاتخاذ القرار، وظهر التحيز في الأردن في مرحلة التطعيم واتجاه الناس للمطاعيم، حيث روج الكثيرون لمعلومة واحدة وهو

تأثير المطاعيم وآثارها السلبية وتسببها في العقم والجلطات رغم التأكيدات الصحية الأردنية والعالمية أن نسبة حدوث ذلك نادرة جداً ولا حكم لها.

### مواجهة الجائحة سلوكياً في الأردن

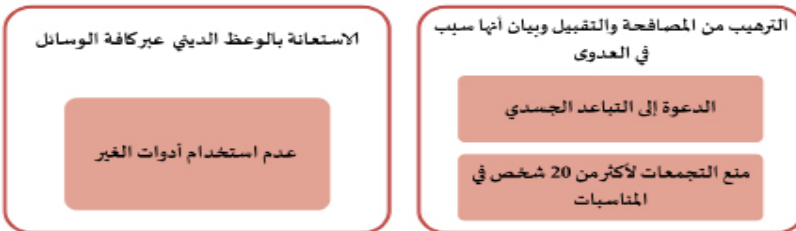
قامت الحكومة الأردنية باتباع العديد من الأدوات لتغيير سلوكيات وتصرفات المواطنين الذين وقفوا تجاه كورونا بسبب التحيزات المعرفية السابقة بين مشكك بوجوده (أصحاب نظرية المؤامرة) بداية وبين مشكك أيضاً بفعالية اللقاحات (أخيراً) من خلال ما يلي<sup>١٦</sup>:

- ١- تغيير أعراف مجتمعية
- ٢- تغيير وعي مجتمعي
- ٣- تغيير بيئة مجتمعية
- ٤- تغيير تشريعات وقوانين دفاع

### تشريعات وقوانين (قانون الدفاع وصلاحيات واسعة)



### تغيير أعراف مجتمعية



### تغيير بيئة محيطية

- ١- ملصقات كورونا في جميع الأماكن.
- ٢- الاستعانة بالوعظ الديني عبر كافة الوسائل.
- ٣- حواجز بلاستيكية.
- ٤- ملصقات أرضية في المتاجر والمطارات والمساجد.
- ٥- طاولات مطاعم متباعدة.

### تغيير وعي مجتمعي<sup>(١٧)</sup>

- ١- حملة إلك وفيد، لتقليل فرص العدوى في المنزل.
- ٢- (حملة بحميتهم) وزارة الصحة الأردنية، قامت الحكومة بمخاطبة الناس خطاباً عاماً عبر الإعلام بأن الخطورة قد لا تكمن في إصابة الفرد لاعتقاده بأنه غير معرض للإصابة (على الرغم من أن هذه خرافة غير مؤكدة يتحداها ما نعرفه بأن ٢٨٪ من المصابين في أميركا هم من فئات عمرية دون ٥٥ عام)، بل في نقلها الى أبيه وأمه وإخوته وعائلته وعشيرته وأحبائه وأصدقائه (وهذا مضمون سلوكي مهم).

إجراءات تحفيزية سلوكية وإغراءات حكومية لتلقي اللقاحات تتوافق مع مضمون الاقتصاد السلوكي

- ١- إعلان المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي تحفيز الأردنيين لتلقي اللقاح من خلال استثنائهم من الحظر الشامل يوم الجمعة<sup>(١٨)</sup>.
- ٢- إعلان المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي التعاون مع مؤسسة الحسين للسرطان لتقديم تسهيلات تشجيعية مرتبطة بتأمين رعاية لعلاج السرطان وبين تلقي اللقاح<sup>(١٩)</sup>.
- ٣- تحفيز الجماهير الراغبة بحضور المباريات في الملاعب والصالات والحدائق والمسارح ودور السينما للحاصلين على شهادة تلقي اللقاح<sup>(٢٠)</sup>.

٤- التحفيز من خلال تأطير المعلومات وتفسير المواطن من الخسارة وذلك من خلال إجراءات موجهة لموظفي القطاع العام والخاص ومنها اشتراط تلقي الجرعة الأولى كشرط للحصول على تصاريح الحظر الشامل والجزئي وإلغاء هذه الحوافز اعتباراً من ١/٦/٢٠٢١. وكذلك إعادة النظر بتعيين أي موظف رئيساً لقسم وأعلى إذا لم يأخذ المطعم، ومنعهم من المشاركة في حضور اجتماعات أو دورات إلا بعد أخذ المطعم وغيرها من الإجراءات<sup>(٢١)</sup>. ويعتبر تحديد مدة معينة لانتهاء الإجراء التحفيزي (فرض المواعيد النهائية) حتى لا يطمئن المواطن بأن هذا الإجراء متاح في أي وقت ما يدفعه للمسارعة للامتثال قبل انتهاء المدة.

٥- تسهيل إجراءات التطعيم من خلال خدمة التطعيم بالسيارة<sup>(٢٢)</sup>، حيث زادت نسبة الإقبال على التطعيم، وفتح مراكز في أنحاء المحافظات والمراكز الصحية الشاملة.

٦- تخصيص التلفزيون الأردني مكافأة ٥٠٠ دينار أسبوعياً لكل شخص يأخذ الجرعة الأولى من المطعم خلال أسبوع السحب من خلال السحب على الأرقام المرجعية للمواطنين متلقي اللقاح. وذلك بالتعاون مع عدد من البنوك الأردنية والتشاور مع المركز الوطني لإدارة الأزمات ووزارة الصحة ووزارة الاقتصاد الرقمي<sup>(٢٣)</sup>. وهذا الإجراء له صلة كبيرة بأمر نفسي في الاقتصاد السلوكي وهو: ضغط الأقران أو المقارنة الاجتماعية، وذلك لأن مشاهدي البرنامج الذي يقدم الجوائز سيدفعهم إلى مجاراة من فازوا وتقليدهم للحصول على الجائزة.

٧- تنبه الحكومة إلى ضرورة تسهيل وعدم التعقيد لدخول تطبيق سند أخضر لمتلقي اللقاح واستجابتها للشكاوى حول صعوبة الدخول للتطبيق<sup>(٢٤)</sup>. ويسمى هذا الإجراء في الاقتصاد السلوكي التبسيط وعدم التعقيد.

٨- عقوبات لمخالفي ارتداء الكمامات تبلغ ٦٠ دينار<sup>(٢٥)</sup>، وتعتبر العقوبة في الاقتصاد السلوكي مهمة جداً لرفع الامتثال والإنتاجية، خاصة إذا كان العمل جماعياً، لأن الأشخاص الذين يبذلون جهداً للالتزام سيكون تأثير عقوبة غير الملتزمين عليهم جيداً؛ بمعنى آخر أن وجود عمل جماعي بدون عقوبة سيؤدي إلى انخفاض العمل والعكس صحيح.

ما رأي الاقتصاد السلوكي في تراخي الناس وعدم الالتزام بالإجراءات الصحية وزيادة عدد الإصابات خاصة في ظل ظهور المتحورات دلتا وإيمكرون؟ يقول الاقتصاد السلوكي إنه على الرغم من الجهود التوعوية التي تقوم بها الحكومة فإن التحيز المعرفي هو وراء عدم تمييز الأخبار لدى أكثر الناس وإنهم يقعون فريسة للتضليل المعرفي والبخل المعرفي<sup>٢٦</sup>، فالتضليل المعرفي هو معلومات كاذبة بغض النظر ما إذا كانت متعمدة أو عرضية أو خطأ حقيقي أو عدم كفاية الأدلة أو معلومات غير مؤكدة أو دعاية وإعلان كاذب خاصة هذه الأيام عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي يجذب إليها الناس ما يؤدي إلى تشويه المعلومات الموجودة في الذاكرة عن الحدث الأصلي، وفي الأردن مرس التضليل المعرفي من قبل وسائل التواصل التي نشرت الإشاعات والمعلومات غير الصحيحة حول كورونا والمطاعيم.

أما البخل المعرفي وهو ميل الفرد إلى حل المشكلات بأقل جهد عقلي ممكن بدلاً من التفكير الأكثر إجهاداً ما يؤدي إلى استدلالات سريعة متحيزة. وفي الأردن كانت استدلالات البعض متحيزة وسريعة تجاه التشكيك بفاعلية الإجراءات الوقائية من خلال تغليب العاطفة على العقل خاصة فيما يخص جعل عدم الالتزام في الحفلات وأماكن التسوق هو القدوة لرواد المساجد وأماكن التعليم، والأصل هو العكس.

## ما هو المطلوب الآن وفق الاقتصاد السلوكي

المطلوب هو إنشاء وحدة توجيه أو وكز سلوكي تضم خبراء في علم الاقتصاد وعلم النفس وكوادر أخرى متخصصة في السياسات العامة هدفها التحفيز السلوكي، للتأثير في القرار العام، والقرار الخاص، على مستوى الأفراد والمؤسسات، لتوجيه الأفراد والمؤسسات نحو خيارات اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية سواء فيما يخص كورونا أو غيرها، وأذكر هنا بعض التجارب على المستوى العربي والتي يمكن الاستفادة منها على الصعيد المحلي: حيث قامت العديد من الدول العربية بالانتباه إلى تلك التجارب الدولية، بإنشاء بعض الوحدات الخاصة بالوكز السلوكي وعلى مسميات عدة تطبق مفهوم الحفز أو الوكز أو التوجيه لسلوك الأفراد، بعض هذه التجارب أخذ طابع التطبيق العملي، وبعضها لا زال في طور التنظير، ومن أبرز التجارب العربية التي وقف عليها المقال<sup>(٢٧)</sup>:

١. مركز الرؤى والأفكار السلوكية في لبنان أسسها الخبير فادي مكي<sup>(٢٨)</sup>.
  ٢. وحدة البصريات أو البصائر السلوكية في قطر.
  ٣. مختبر الكويت لتقييم السياسات في الكويت.
  ٤. مركز وحدة نمذجة التطوير الاستراتيجي في السعودية.
  ٥. البرنامج الوطني للمكافآت السلوكية في الإمارات ٢٠١٩، الهادف إلى تحفيز وتبني السلوك الإيجابي لدى أفراد المجتمع لرصد السلوكيات الإيجابية في المجتمع، ومكافأة الملتزمين بها في محاور: الحياة الصحية، التغذية الصحية، الالتزام بالقوانين والتشريعات واقتصاد المعرفة والتمكين<sup>(٢٩)</sup>.
  ٦. وحدة فريق البصمات السلوكية العمانية (تصور مقترح)<sup>(٣٠)</sup>.
- وتركز مثل هذه التجارب على قطاعات مهمة أهمها الرفاه الاجتماعي، إدارة المالية العامة، والتعليم والصحة والخدمات العامة.



لذلك أقترح إنشاء وحدة توجيه سلوكية أو وكز سلوكي في الأردن يكون ارتباطها برئاسة الوزراء أو وزارة التخطيط، ومن الممكن أن تكون على شكل هيئة مستقلة أو إنشاء مركز وطني للمكافآت السلوكية ينبثق عن هذه الوحدة على غرار تجربة دولة الإمارات، هدفه تشجيع السلوكيات الإيجابية في المجتمع سواء فيما يخص مواجهة كورونا أو غيره من الأهداف الوطنية في جميع المجالات، ولعل مركز صنع القرار دور البحث والتطوير، ومراكز البحث، والجامعات، تتنبه إلى ذلك، وتجعل منه مرتكزاً لاستشراف مستقبل التوجهات العامة للدولة والمواطنين.

### الهوامش والتوثيق

1- (Richard H. Thaler & sendhil MullInathan). (2000). Behavioral Economics. NBER Working paper National Bureau of Economic research ,Cambridge. pp. 1-13.

٢- الزهراني، أحمد عبدالله، هل يحسن الاقتصاد السلوكي قراراتنا، معهد الإدارة العامة، برنامج التحول الوطني، ٢٠٢٠م، السعودية، ص٣.

٣- جاء استخدام هذا المصطلح بعد صدور كتاب (Nudge) لمؤلفه ريتشارد ثالر Richard. H. Thal- er، ونشر هذا المفهوم عام ٢٠٠٨م في كتاب بعنوان: (Nudge: Improving Decisions About health, wealth and Happiness). وترجمته: الوكز، تحسين القرارات المتعلقة بالصحة والثروة والسعادة. ريتشارد ثالر: أستاذ الاقتصاد والعلوم السلوكية في جامعة شيكاغو، حائز على جائزة نوبل عام ٢٠١٧م عن كتابه: كتاب التنبيه. ريتشارد ثالر، كاس ر. سنستين، تحسين القرارات بشأن الصحة والسعادة والثروة، ترجمة: عمر الأيوبي، مراجعة مركز التدريب، الدار العربية للعلوم، لبنان، ٢٠١٦م، وكتاب التنبيه يتحدث عن جوانب تصميم الخيارات في تغيير سلوك الناس بطريقة قائمة على عدم منح أي خيار وإدخال تغيير كبير على حوافزهم المادية والمعنوية، ويضرب الكتاب أمثلة عديدة لكيفية التأثير في سلوك الناس باستخدام أمثلة تعليمية مستمدة من الحياة الواقعية في مجالات الصحة والتعليم والثروة والادخار وغيرها نحو تحقيق السعادة والرفاهية للناس.

Richard Thaler & Cass Sunstein, (2008). Nudge – Improving Decisions about Health, Wealth and Happiness, New Haven, CT: Yale University Press.

٤- الانطباع السائد أن الوكز يصح تصرفات الناس السلبية أملاً لا يسلم على إطلاقه، والسبب لاختلاف الجهة الواكزة، فالوكز ليس خيراً محضاً بالمطلق، فالوكز قد يصادم بعضه البعض لاختلاف الهدف منه إيجاباً أو سلباً. انظر: السبهاني، عبدالجبار، حوكمة الوكز السلوكي، الصفحة الرسمية للدكتور عبد الجبار السبهاني، رابط المقال: [Al- sabhany.com/ index.pl](http://Al-sabhany.com/index.pl) تاريخ الدخول: ٢٠٢١/٦/٣ الساعة الخامسة مساءً.

٥- كوشك، أفتان وجالوي، فريد، التأثير المجتمعي بالوكز، تصميم مبادرات مبنية على تجارب الاقتصاد السلوكي، أثرنا للنشر، السعودية، ٢٠٢٠، ص٣.

6- Gass R. Sunstein. (2014). Nudging: A very short Guide, 37 J, Consumer. poly 583, p. 2.

7- Richard Thaler & Cass Sunstein, (2008). Nudge – Improving Decisions about Health, Wealth and Happiness, New Haven, CT: Yale University Press.

٨- قندوز، عبدالكريم، استخدام الاقتصاد السلوكي في دعم عملية صنع السياسات الاقتصادية: تجارب إقليمية ودولية، موجز سياسات صندوق النقد العربي، أبريل ٢٠٢١م، ص٨.

٩- موقع وزارة الصحة الأردنية [www.moh.gov.jo](http://www.moh.gov.jo) تاريخ الدخول ١٠/١٠/٢٠٢١ الساعة الثانية مساءً.

١٠- [www.nescm.gov.jo](http://www.nescm.gov.jo) تاريخ الدخول ١١/١٠/٢٠٢١ الساعة الرابعة مساءً.

11- Kahneman, D. & Tversky, A. (1979). Prospect theory: An analysis of decision under Risk, Journal of the Econometric Society, Vol. 47, No. 2, pp. 263-291.

- Adrian Solek. (2014). Behavioural economics approaches to public policy, Journal of International Studies, Vol. 7, No. 2, pp. 33-45.

١٢- العتيبي، سميرة، استراتيجيات التنظيم الانفعالي كمنبئات بالتحيزات المعرفية لدى معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية بمكة المكرمة، مجلة جامعة الجوف للعلوم التربوية، المجلد ٧، العدد ٢، ٢٠٢١، ص٢١.

١٢- مجلة هارفرد بيزنس، مقال: الانحيازات السلوكية، ٥٠ انحيازاً سلوكياً يمكن أن تؤثر على قراراتك اليومية، [www.hbrarabic.com](http://www.hbrarabic.com)، تاريخ الدخول ١/١١/٢٠٢١ الساعة الثامنة صباحاً.

١٤- الرخيص، سعود، أكبر تغيير سلوكي منذ الحرب العالمية الثانية، تقرير يرصد سلوكيات جائحة كورونا في ظل علم السلوك والانحيازات المعرفية، الكويت، روافد للاستشارات والعلاقات العامة، ٢٠٢١م، ص٨-١٨.

١٥- يمكن الرجوع لمعرفة المزيد عن هذه التحيزات إلى: الرخيص، سعود، أكبر تغيير سلوكي منذ الحرب العالمية الثانية، تقرير يرصد سلوكيات جائحة كورونا في ظل علم السلوك والانحيازات المعرفية، الكويت، روافد للاستشارات والعلاقات العامة، ٢٠٢١م، ص٨-١٨.

١٦- الرخيص، سعود، أكبر تغيير سلوكي منذ الحرب العالمية الثانية، تقرير يرصد سلوكيات جائحة كورونا في ظل علم السلوك والانحيازات المعرفية، الكويت، روافد للاستشارات والعلاقات العامة، ٢٠٢١م، ص٨-١٨.

١٧- موقع وزارة الصحة الأردنية، مرجع سابق.

١٨- المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي، [www.eservices.ssc.gov.jo](http://www.eservices.ssc.gov.jo)، تاريخ الدخول ١٥/١١/٢٠٢١، الساعة الواحدة بعد الظهر.

١٩- المرجع السابق.

٢٠- المركز الوطني للأمن وإدارة الأزمات، مرجع سابق.

٢١- ديوان الخدمة المدنية، دليل إرشادي للدوائر الحكومية لوضع خارطة طريق للعودة إلى العمل بعد جائحة كورونا، ٢٠٢١.

٢٢- المركز الوطني للأمن وإدارة الأزمات، مرجع سابق.

٢٢- موقع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الأردني، [www.jrtv.gov.jo](http://www.jrtv.gov.jo) تاريخ الدخول ٢٣/١١/٢٠٢١ الساعة ١٢ ظهراً.

- ٢٤- موقع وزارة الاقتصاد الرقمي، تصريح وزير الاقتصاد الرقمي أحمد الهانده، [www.modee.gov.jo](http://www.modee.gov.jo)، تاريخ الدخول ١٠/١١/٢٠٢١.
- ٢٥- أمر الدفاع رقم ٢٦ لسنة ٢٠٢١ بمقتضى أحكام قانون الدفاع رقم ١٢ لسنة ١٩٩٢، الجريدة الرسمية.
- ٢٦- عبد الواحد، حمودة، الدور الوسيط للتحيزات المعرفية في العلاقة بين التضليل المعرفي حول كورونا والبخل المعرفي والتفكير المنفتح النشط لدى عينة من طلاب الجامعة، المجلة المصرية للدراسات النفسية العدد ١١٠، المجلد ٣١، ٢٠٢١، ص ١٤٨ وما بعدها.
- ٢٧- أيضا لمزيد من التوسع حول النماذج العالمية للبصائر السلوكية انظر: النجار، أحمد، الممارسات الدولية لوحدات تطبيق الاقتصاد السلوكي (الوكز) ومتطلبات نجاحها، مرجع سابق ص ٩- ص ٢١. مكي، فادي، تطبيقات الرؤى السلوكية في سياق رؤية عمان ٢٠٤٠م، رئيس وحدة البصريات السلوكية القطرية، مؤسس الرؤى والأفكار السلوكية- نودج، لبنان، رؤية عمان ٢٠٤٠، ٢٠١٩م، ص ٢.
- ٢٨- فادي مكي مؤسس الجمعية اللبنانية للاقتصاد السلوكي وأحد رواد تطبيق الاقتصاد السلوكي على السياسات العامة في الشرق الأوسط وهو مدير وحدة قطر للتوجيه السلوكي وزميل زائر في جامعة جورجتاون، مجلة هارفرد العربية موقع على الإنترنت، تاريخ الدخول: ١٠/١٠/٢٠٢٠، الساعة الواحدة ظهراً.
- ٢٩- موقع البرنامج الوطني للمكافآت السلوكية الإماراتي:  
National Behavioural reward program strategy u.ae
- ٣٠- مكي، تطبيقات الرؤى السلوكية في سياق رؤية عمان ٢٠٤٠، مرجع سابق، ص ١-٢١.

## المراجع العربية

- ١- أمر الدفاع رقم ٢٦ لسنة ٢٠٢١ بمقتضى أحكام قانون الدفاع رقم ١٢ لسنة ١٩٩٢، الجريدة الرسمية.
- ٢- ثالر، ريتشارد، كاس ر. سنستين، كتاب التنبيه، تحسين القرارات بشأن الصحة والسعادة والثروة، ترجمة: عمر الأيوبي، مراجعة مركز التدريب، الدار العربية للعلوم، لبنان، ٢٠١٦م.
- ٣- ديوان الخدمة المدنية، دليل إرشادي للدوائر الحكومية لوضع خارطة طريق للعودة إلى العمل بعد جائحة كورونا، ٢٠٢١.
- ٤- الرخيص، سعود، أكبر تغيير سلوكي منذ الحرب العالمية الثانية، تقرير يرصد سلوكيات جائحة كورونا في ظل علم السلوك والانحيازات المعرفية، الكويت، روافد للاستشارات والعلاقات العامة، ٢٠٢١.
- ٥- الزهراني، أحمد عبدالله، هل يحسن الاقتصاد السلوكي قراراتنا، معهد الإدارة العامة، برنامج التحول الوطني، ٢٠٢٠م، السعودية.
- ٦- عبد الواحد، حمودة، الدور الوسيط للتحيزات المعرفية في العلاقة بين التضليل المعرفي حول كورونا والبخل المعرفي والتفكير المنفتح النشط لدى عينة من طلاب الجامعة، المجلة المصرية للدراسات النفسية العدد ١١٠، المجلد ٣١، ٢٠٢١.
- ٧- العتيبي، سميرة، استراتيجيات التنظيم الانفعالي كمنبئات بالتحيزات المعرفية لدى معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية بمكة المكرمة، مجلة جامعة الجوف للعلوم التربوية، المجلد ٧، العدد ٢، ٢٠٢١.

- ٨- قندوز، عبدالكريم، استخدام الاقتصاد السلوكي في دعم عملية صنع السياسات الاقتصادية: تجارب إقليمية ودولية، موجز سياسات صندوق النقد العربي، أبريل ٢٠٢١م.
- ٩- كوشك، أفنان وجالواي، فريد، التأثير المجتمعي بالوكز، تصميم مبادرات مبنية على تجارب الاقتصاد السلوكي، أثرنا للنشر، برنامج التحول الوطني، السعودية، ٢٠٢٠.
- ١٠- مكي، فادي، تطبيقات الرؤى السلوكية في سياق رؤية عمان ٢٠٤٠م، رئيس وحدة البصريات السلوكية القطرية، مؤسس الرؤى والأفكار السلوكية- نودج، لبنان، رؤية عمان ٢٠٤٠، ٢٠١٩م.

## المراجع الأجنبية

- 1- Adrian Solek. (2014). Behavioural economics approaches to public policy. Journal of International Studies. Vol. 7. No. 2.
- 2- Kahneman. D. & Tversky. A. (1979). Prospect theory: An analysis of decision under Risk. Journal of the Econometric Society. Vol. 47. No. 2.
- 3- Nudge – Improving Decisions about Health. Wealth and Happiness. New Haven. CT: Yale University Press.
- 4- Richard Thaler & Cass Sunstein, (2008). Gass R. Sunstein. (2014). Nudging: A very short Guide, 37 J, Consumer. poly 583.

## – المواقع الإلكترونية –

- ١- موقع البرنامج الوطني للمكافآت السلوكية الإماراتي: National Behavioural reward program strategy u.ae
- ٢- موقع وزارة الاقتصاد الرقمي، تصريح وزير الاقتصاد الرقمي أحمد الهانده، www.modee. Gov.jo، تاريخ الدخول ١٠/١١/٢٠٢١.
- ٢- موقع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الأردني، www. jrtv. Gov.jo تاريخ الدخول ٢٢/١١/٢٠٢١ الساعة ١٢ ظهراً.
- ٤- المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي، www. eservices.ssc.gov.jo.
- ٥- مجلة هارفرد بيزنس، مقال: الانحيازات السلوكية، ٥٠ انحيازاً سلوكياً يمكن أن تؤثر على قراراتك اليومية، www.hbrarabic.com
- ٦- موقع المركز الوطني للأمن وإدارة الأزمات: www. nscm.Gov.jo.
- ٧- موقع وزارة الصحة الأردنية www. moh.gov.jo.
- ٨- السبهاني، عبدالجبار، حكمة الوكز السلوكي، الصفحة الرسمية للدكتور عبد الجبار السبهاني، رابط المقال: Al- sabhany.com/ index.pl.

## وحدة الوكز السلوكي ( حالة الأردن ) دراسة اقتصادية إسلامية تطبيقية

أ. د. إبراهيم عبد الحليم عبادة\*

### المقدمة

يقصد بالوكز السلوكي محاولة تعديل التصرفات السلوكية الفردية، وتحقيق امتثال غير قسري عن طريق الحوافز المؤثرة في القرارات الاقتصادية التي تتخذها المجموعات والأفراد، عبر تصميم واع لعملية اختيار تعمل على تغيير سلوك الأشخاص اقتصادياً بالطريقة المرغوبة.

وإذا كانت المشروعات الخاصة تجتهد في تسويق منتجاتها بما يحقق لها تعظيم أرباحها ولو أفضى ذلك في كثير من الأحيان إلى الغواية الاستهلاكية والتمويلية، كما تظهر فنون الدعاية ودراسة المرونة التعزيزية، فإن المؤسسات العامة والمؤسسات ذات البعد الاجتماعي تجتهد في استدراج السلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات بما يحقق المصلحة العامة كما تراها هي، لكنها لا تريد أن تظهر بمظهر الواعظ ولا بمظهر المتحكم الأمر عبر أدوات السياسة الاقتصادية ذات البعد السيادي.

وفي النظام الاقتصادي الإسلامي؛ فإن للتربية الإيمانية والقيم السلوكية والتوجيه الرشيد، الأثر المباشر في إعادة تعديل سلوك الأفراد والمؤسسات وتوجيههم نحو السلوك الاقتصادي المطلوب، سواء كان المستهدف منتجاً أو مستهلكاً أو ممولاً مما يسهم في تحقيق التنمية والرفاهية الاقتصادية وإحداث التوازن بين الحاجات الروحية والمادية ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية.

---

\* أستاذ الاقتصاد والمصارف الإسلامية قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، كلية الشريعة- جامعة اليرموك-الأردن.

وتتناول هذه الدراسة أحد المواضيع الهامة، والمتمثلة في دراسة الوكز السلوكي ودراسة إمكانية تطبيقه من خلال دراسة وحدة الوكز السلوكي من منظور الاقتصاد الإسلامي حالة الأردن؛ فقد أصبح الوكز السلوكي اليوم يفرض نفسه في أنحاء العالم، ويمكن أن يكون للاقتصاد الإسلامي إسهام حقيقي فيه لتقاطع كثير من مبادئه مع الاقتصاد الإسلامي.

### الممارسات التطبيقية لوحدة توجيه الاقتصاد السلوكي (الوكز)

يعد الاقتصاد السلوكي من التوجهات الجديدة في العالم، وهو يعنى بدراسة مدى تأثير علم النفس على عمليات صنع القرار الاقتصادي للأفراد والمؤسسات، وهو مزيج من علم الاقتصاد وعلم النفس، حيث يسعى لتحليل السلوك البشري الاقتصادي وتفسيره وفهمه في ضوء دراسة العوامل النفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية التي تقف وراء صنع القرارات الاقتصادية واتخاذها، ويمكن استخدام الوكز بشكل كبير في عملية التنمية المجتمعية من خلال صياغة برامج تنموية تخاطب الفرد بناء على احتياجاته وثقافته المجتمعية والعديد من الاعتبارات النفسية التي تؤثر على قيامه بسلوك معين، كما يمكن استخدامه كمنهج في السياسات العامة وصياغة قرارات تحقق التنمية والأهداف المجتمعية من خلال دراسة سلوكيات الأفراد.

ويعتمد الاقتصاد السلوكي حلاً قائماً على علم السلوك بهدف تحسين السياسات العامة وخفض التكاليف، وهو توجه حديث من خلال ما عرف بوحدة الوكز الاقتصادي السلوكي The Nudge Units والتي تم التطرق لها، وهي عبارة عن وحدات تدخل مصغرة في السياسات السلوكية وتتكون من فريق من الخبراء من مختلف التخصصات، حيث يسخر الفريق جهوده من أجل إبداع الحلول الجديدة والمبتكرة للتصدي لإحدى المشاكل المتعلقة بصناعة السياسات الاقتصادية، من خلال التعاون مع الجهات الحكومية للعمل على تعديل السياسات والبرامج العامة، وتأخذ بالاعتبار الأبعاد النفسية والاجتماعية وتحاول توظيفها بما يعزز خيارات المتعاملين ويزيد رفاهيتهم.

إن ممارسة الوكز عن طريق تطوير السياسات وتنفيذها - مع الأخذ بعين الاعتبار التصورات السلوكية - عملية تستغرق وقتاً طويلاً وقدراً عالياً من المعرفة بالأدلة الموجودة حول السلوك البشري، وحول الأنماط السلوكية في سياقات محددة، ويتطلب موارد لمراجعة الأدلة المتاحة حول تدخلات الوكز المختلفة، لاختيار الوكزات الأكثر ملاءمة للهدف المحدد ولوضع المزيد من السياسات والأدوات الفعالة.

وقد قدمت أدبيات الاقتصاد السلوكي مجموعة كبيرة ومتنوعة من النماذج في تصميم سياسة التدخلات الوكزية المبنية على رؤى العلوم السلوكية، ومن النماذج الأكثر شعبية نموذج «المبادئ التسعة» الذي تم تطويره في المملكة المتحدة في عام (٢٠٠٨) بواسطة Darnton ويعتمد على نتائج من النمذجة السلوكية، ويتم من خلال عملية دورية متكررة في تطوير السياسات وتطبيقها. وتعد عملية الانتقال من خطوة إلى خطوة متكررة؛ فالخطوات اللاحقة قد تتضمن مراجعة الافتراضات والخطوات السابقة، ويتمثل هذا النموذج بفكرة مفادها (التعلم عن طريق التجربة أو الممارسة)، حيث يتم تحسين الوكزات بشكل مستمر نتيجة للرصد والتقييم المستمرين.

### المبادئ التسعة وتوجيه الاقتصاد السلوكي

ويتضمن هذا الإطار الخطوات التسع التالية، وهي على النحو الآتي:

١. تحديد مجموعات الجمهور والسلوك المستهدف؛ فإذا كان السلوك معقداً للغاية يتم تقسيمه إلى سلوكيات بسيطة أو عناصر سلوكية ليسهل التعامل معه.
٢. تحديد النماذج السلوكية ذات الصلة بالموضوع المطلوب توجيه السلوك نحوه بما في ذلك النماذج الفردية والمجتمعية، ووضع قائمة بأبرز العوامل المؤثرة. وقد تنطوي هذه الخطوة على مراجعة الأدبيات والتشاور مع أصحاب العلاقة.
٣. تحديد العوامل الرئيسية المؤثرة واستخدامها لتطوير أهداف الخطة واتباع استراتيجية أو سياسة التدخل.

٤. تحديد تقنيات التدخل الفعال التي طبقت فعلياً وكانت ناجحة في التدخلات السابقة التي استهدفت تأثيراً معيناً.
٥. إشراك الجمهور المستهدف للتدخل في فهم أفضل لسلوكهم والعوامل المؤثرة من منظور الجمهور المستهدف.
٦. تطوير نموذج تدخل أولي وتقييمه حسب معايير السياسات وأطر العمل وأدوات التقييم ذات الصلة.
٧. قيادة التدخل الأولي وتوجيهه ورصد النتائج.
٨. تقييم الآثار والعمليات في مقابل الأهداف المتقدمة في الخطوة ٣ المرتبطة بالعوامل المؤثرة في السلوك.
٩. تجميع التغذية الراجعة وردود الفعل والدروس المستفادة من أجل تعميق فهم التدخل والسلوك الهادف.

ويمكن أن تكون أنواع التدخلات المذكورة في الخطوة الرابعة والتي نتحدث عن تحديد تقنيات التدخل الفعال عبارة عن أدوات تنظيمية، وحوافز مالية وأدوات ميسرة، بما في ذلك الأدوات القائمة على المعلومات وأدوات التحفيز ومنها: التخلف عن السداد، وتحسين الملاءمة للمعلومات، والتغيرات في البيئة المادية ومشاركة المعايير الاجتماعية في تغيير السلوك.

وعليه ومن أجل تقييم التدخلات الأكثر فعالية وقبولاً من الجمهور؛ فإنه يمكن استخدام مجموعة من طرق البحث، ويعتمد اختيارها على الهدف من إجراء التدخل أو الوكز والجمهور المستهدف وعوامل أخرى، وهناك أربعة أنواع من الطرق التي تُستخدم غالباً لاختبار تغيير السلوك ولجمع الأفكار حول سياسات التدخلات: الاختبارات، والتجارب العشوائية ذات الأدلة، والدراسات الاستقصائية، والبحوث النوعية. وكل واحدة من هذه الطرق لها نقاط قوة وضعف خاصة بها.



## عوامل نجاح وحدة توجيه الاقتصاد السلوكي (الوكز)

أولاً: إعادة تشكيل الصورة الذهنية بما يتناسب مع مبادئ الوكز السلوكي،  
والتدخل في الثقافة الاستهلاكية

١. الوكز السلوكي معني بالدرجة الأولى بإعادة جمهور المستهلكين والمدخرين والمستثمرين إلى حالة الرشد الاقتصادي، في ظل تنامي المساحات التسويقية عبر الفضاء التكنولوجي الواسع وإغراق الأفراد والمجتمع بكم كبير من السلع والخدمات، دون القدرة على تمحيص النافع من الضار. وفي ظل الاقتصاد الإسلامي ينبغي التحرز من الدعايات المضلّة المشوّهة لخيارات المستهلكين وتشكيكه برغباته الحقيقية، وأن مصدر سعادته لن يكون إلا من هذه السلع بغض النظر عن دخله وحاجته لها، وعليه فقد صار لزاماً اليوم دراسة المرونة الإعلانية واعتبارها مؤشراً مهماً في رسم السياسات التسويقية والإنتاجية.

٢. إقامة حملات إعلانية ودعائية موجهة وهادفة بوكزات سلوكية إيجابية، وللمرونة الإعلانية أثر مباشر في هذا الأمر؛ فمما هو معلوم أن حجم الإنفاق على الإعلان يعكس حجم الطلب على السلع والخدمات والمنتجات المالية المعلن عنها؛ فزيادة التمويل على الإعلان بنسبة ١٪ يقابلها زيادة في الطلب بنسبة ١٠٪، فالإنفاق الدعائي يقابله الزيادة في الإيراد، وإذا كانت أكبر تكون المرونة التعزيزية أكبر والعكس كذلك؛ فالدعاية والإعلان يؤثران في سلوك المستهلك سواء كان الاستهلاك المقصود للسلع أو للخدمات.

٣. التدخل في الثقافة الاستهلاكية: تتشكل منظومة القيم السلوكية من العادات والتقاليد والثقافة الاستهلاكية، وهي منظومة قوية تحتاج إلى وكز سلوكي شديد للتغيير بسبب قوة المجابهة (قوة المؤثرات) لإقناع الناس بنمط استهلاكي وظيفي رشيد، وهذا يتطلب -أيضاً- توليد قناعة لدى المتلقي لترشيد الاستهلاك، وللقدوة دور في تغيير سلوك المستهلك، فالسلوك الصادر من غني في المجتمع في مناسبة اجتماعية أثره أكبر من سلسلة من الدروس والمواعظ.

٤. يمكن أن تكون أدوات الوكز مفيدة للتخطيط على المستوى الكلي لدى صانعي القرار، حيث إن صانعي القرار يخضعون للتحيزات السلوكية، ويتأثرون بما يتأثر به الآخرون، ويمكن أن يؤدي رفع الوعي بهذه المسائل إلى الحد من آثارها السلبية وتحسين تصميم السياسات، وفي أفضل الحالات، فعالية وكفاءة الأداء.

وفيما يلي استعراض لأهم الآليات التي يمكن تقديمها في سبيل تعديل السلوك الاقتصادي وتعزيز عمل وحدة الوكز السلوكي على مستوى الدولة:

١. الاستفادة من شبكة الانترنت ومن مواقع التواصل الاجتماعية المختلفة، وإنشاء سلسلة من المواقع الإلكترونية المتخصصة والموجهة في الوكز السلوكي.

٢. وفي هذا الإطار يمكن تشجيع المبادرات الذاتية للأفراد والمؤسسات بهدف تصميم الوكزات وتوجيهها للجهات المستهدفة، سواء فيما يتعلق بضبط السلوك الاستهلاكي والاستثماري أو بث الوعي المصرفي والادخاري وغيرها مما سبقت الإشارة إليه، والاستفادة من تجربة صناديق رأس المال المخاطر في التمويل الإسلامي لما له من أثر إيجابي في تعزيز الاستثمار الحقيقي وتكوين المدخرات وضبط الاستهلاك.

٣. إنشاء موقع متخصص في رصد وحدات الوكز السلوكي عبر العالم للاستفادة منها في وحدة الوكز السلوكي داخل البلد.

٤. إنتاج مواد إعلامية إسلامية من مشاهد قصيرة وأفلام كرتونية يكون هدفها الرئيس تعديل توجهات الأفراد السلوكية (الوكز السلوكي) فمثلاً: إنتاج مشاهد كرتونية موجهة للمراحل العمرية الصغرى بهدف تعزيز قيم الادخار وبث الوعي المصرفي وقيم الاستهلاك الرشيد.

٥. تكثيف الجهود العلمية والعملية من خلال المؤسسات الأكاديمية والهيئات المختصة في (الاقتصاد والتمويل والإعلام ووحدة الوكز السلوكي)، والتأسيس لوضع استراتيجية متكاملة طويلة المدى لتصحيح السلوك الاقتصادي وتعديله من خلال تصميم الوكزات السلوكية الموجهة والفاعلة وبترتيب زمني مناسب.

٦. إنشاء مركز يتبع للبنك المركزي خاص بدراسة ورصد وتحليل اتجاهات السلوك الاقتصادي وتصميم الوكزات بحسب تلك الدراسات، وأخذ التغذية الراجعة وردات أفعال الجمهور المستهدف، ودراسة النتائج والبناء عليها.
٧. الخيار الأنسب للدول التي بصدد تأسيس وحدات وكز سلوكية يكون بالاستعانة بالوحدات والمراكز الأكاديمية القائمة، والاستفادة من الخبرات ودعم عملية الإنشاء.
٨. يمكن إنشاء وحدة وكز سلوكي مركزية يصدر عنها وحدات في المؤسسات ذات العلاقة، وتكون الوحدات الفرعية مسؤولة عن ضبط ما يرتبط بها من سلوكيات وتصميم الوكزات المناسبة تبعاً لها، ويمكن أن يدخل البنك والمؤسسة المالية في الهيكل التنظيمي وحدات سلوكية تكون مرجعيتها وحدة السلوك المركزية،

#### وحدة التوجيه السلوكي في الأردن (مدخل تطبيقي)

تخلو معظم الدول العربية ومنها الأردن من أي وحدات وكز سلوكية على شكل مؤسسي وهيكلية وعلمي لها الأثر البالغ في توجيه سلوكيات الناس، وفقاً لأدبيات الاقتصاد السلوكي، نظراً لحداثة الموضوع أصلاً وحدثة التجارب الدولية نوعاً ما، وستعرض الدراسة لوضع تصور نظري لوحدة التوجيه السلوكي في الأردن يكون مجال عملها على الصعيد العام في الأردن وفي المؤسسات المالية الإسلامية.

المبحث الأول: وحدة التوجيه السلوكي، مبررات إنشائها والإطار الهيكلي لتشكيلها ومتطلبات وعوامل نجاحها

يمكن أن يتخذ تأسيس وحدات الوكز السلوكي على المستوى الدولي أشكالاً عديدة، وهناك عدة نماذج وتصورات لوحدة البصائر السلوكية في دول العالم، ومنها الشكل الحكومي (وحدات الوكز السلوكية الحكومية في مختلف الوزارات)، والشكل الأكاديمي في الجامعات لنشر نتائج الترغيب في مجالات أكاديمية الشكل الخاص: ويشمل شركات القطاع الخاص ذات المنفعة العامة،

وتتمتع هذه الوحدات بالنفوذ والدعم والرعاية السياسية بعيدة المدى، مع وجود مجالس استشارية مكونة من الأكاديميين والممارسين لتقديم التوصيات والإشراف على عمل هذه الوحدات، ولا تنسى بالطبع المعيار الأخلاقي بوجود ميثاق أخلاقي للوحدة (مجلس المراجعة الأخلاقية) لحماية حقوق المشاركين من التلاعب، ووجود ذراع إعلام قوي يخدم الوحدة.

ويعتبر هذا التنظيم لوحدة البصائر على مستوى العالم وأثرها في السياسات العامة الاقتصادية وغيرها، جزءاً مما يسمى (الإطار العام للحوافز) الذي تعمل في نطاقه الإدارة العامة، وهو الافتراض الأساسي الذي قام عليه النظام الاشتراكي أصلاً في إدارة المشروعات بأهمية الأهداف العامة، حيث يتم وضع قواعد للمكافأة والعقاب، تبعاً لدرجة النجاح في تحقيق هذه الأهداف، ولا يتم هذا إلا إذا تم منح الإدارة المزيد من حرية التصرف واتخاذ القرارات، بالتزامن مع قياس العوامل الفنية والاقتصادية والاجتماعية المؤثرة في تركيب الفرد وتحديد احتياجاته ودوافعه، حتى تتمكن الدولة من وضع نظام الحوافز سواء مادية أو معنوية لإدارة أفراد المجتمع، ويتم ذلك كله مركزياً بواسطة أجهزة التخطيط الاقتصادي والسياسي.

ويلاحظ من خلال النظر في التصور التفصيلي الطابع الشمولي لعمل وحدات البصائر السلوكية، فمن الطابع الهيكلي لطبيعة الوحدات الذي ينتقل من الشكل الأكاديمي إلى الحكومي إلى القطاع الخاص، إلى الطابع التفاعلي بين هذه الوحدات وسائر الجهات ذات العلاقة، إضافة إلى اعتبار السياقات الجغرافية والاجتماعية، ما يعطي مؤشراً على ضرورة تفاعل كل الأطراف المذكورة في سبيل تحقيق آثار الوكز والحفز السلوكي في المجتمع، فالالاقتصاد السلوكي يعتبر المجتمع شريكاً في صناعة القرار وليس طرفاً مفروضاً عليه تنفيذ القرار، ومن هذا المنطلق فمن المناسب تفعيل مسألة الحوافز المادية والمعنوية لتحقيق الغايات الإيجابية المنشودة عبر الوكز.

## مبررات إنشاء وحدة التوجيه السلوكي

بناء على النماذج الهيكلية والتجارب الدولية السابقة، فإن إنشاء أي وحدة للتوجيه السلوكي، في الأردن أو غيرها لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار ما سبق، ووضع التصور الهيكلي للوحدة التي تناسب المجتمع الأردني، وقبل ذلك فإن مبررات إنشاء هذه الوحدة في الأردن هي المبررات ذاتها على المستوى العالمي والتي تتبع من أهمية الاقتصاد السلوكي ذاته، ومن هذه المبررات:

ضرورة الإسهام في التعرف على ردة فعل الأفراد والمجتمع تجاه تطبيق الدولة لسياسات جديدة متعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والمساعدة في التفكير لتطوير سياسات الدولة خاصة في الجانب الاقتصادي لاتخاذ القرارات الصحيحة وفق البدائل الممكنة التي تتماشى مع سلوكيات الأفراد في مختلف القطاعات، إضافة إلى ربط سلوكيات وممارسات الأفراد والمؤسسات في اتخاذ القرار بالاتجاهات المستقبلية لسياسات الدولة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ورفاهية الأفراد، والمساهمة في تعزيز الاستدامة وحسن توظيف الموارد عن طريق تعزيز سلوكيات الأفراد لقرارات معينة، وإيجاد خيارات متنوعة لاتخاذ القرارات المؤثرة على الاقتصاد والبيئة والموارد وبيئة الأعمال، وفق منظور سلوكي ونفسي واجتماعي على المستوى الفردي والمؤسسي وفي ضوء الاقتصاد الكلي والجزئي.

وتذكر العديد من الدراسات أن أهم المتطلبات الرئيسة للوحدة والأسس التي تساعد الدولة لتنفيذ توجهاتها: توفير الأطر التشريعية التي تساعد الدولة لإجراء التنبيهات بما يتوافق مع المتغيرات المختلفة للدولة، والاختيار المناسب للخبراء والمؤسسات العاملة في التوجيه أو الوكز السلوكي، مع اختيار الأدوات المناسبة للتحفيز والتأثير وتحقيق سرعة الاستجابة وتحقيق النتائج الملموسة، إضافة إلى وجود قاعدة بيانات عند الدولة بالقضايا المراد الوكز فيها.

وبناء على هذه المتطلبات والأسس المذكورة، فإن عملية الوكز السلوكي عملية منظمة وقائمة على منهج علمي، فلا تأثير على قرارات الناس بدون تشريعات قانونية تستند إليها الوحدة في عملها، ولا تأثير دون قاعدة بيانات تستطيع من

خلالها وحدة الوكز معرفة القضايا التي تحتاج إلى توجيه سلوكي، وهذه القاعدة يستند عملها إلى مجموعة خبراء في جميع التخصصات.

### هيكله الوحدة في الأردن (تصور مقترح)

لعمل وحدات التوجيه السلوكي في أي دولة ينبغي أن تستفيد من التجارب والتطبيقات الدولية المماثلة لها، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد. وحول واقع الاقتصاد الأردني؛ وحسب تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني عن حالة البلاد الصادر عام ٢٠١٩م، فإن الأولوية في السياسات الحكومية يجب أن تكون موجهة إلى تحفيز النمو الاقتصادي، وتعزيز شبكة الأمان الاجتماعي، وتوجيه مدخرات الأردنيين نحو الاستثمار بإيجاد البيئة المناسبة لذلك، والإصلاح المالي والإداري، وتعزيز كفاءة القطاع العام وترشيد نفقاته، وتحفيز الشراكة بين القطاعين العام والخاص وتحسين معيشة المواطنين وتحسين جودة الخدمات المقدمة.

وحسب التقرير الصادر عن البنك الدولي في تقييم الاقتصاد الأردني للعام ٢٠٢٠م، ومع تطورات جائحة كورونا فإن النشاط الاقتصادي كان ضعيفاً، وقد ضعفت توقعات النمو في الأردن على المدى القريب بسبب جائحة كورونا.

بناء على ذلك، فإنه من المؤمل أن يؤدي الاقتصاد السلوكي دوراً مهماً في التأثير على القرارات التي يتخذها الأفراد من خلال العديد من الأدوات المستمدة من الاقتصاد السلوكي، ومن أبرز التدخلات السلوكية المحتملة في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية: تبسيط الإجراءات الحكومية والمعلومات المقدمة واستخدام تكنولوجيا المعلومات وذكاء الأعمال من خلال إتاحتها لجميع أفراد المجتمع، والاستفادة من برنامج المكافآت السلوكية ومثل ذلك: تجربة دولة الإمارات لتشجيع السلوكيات الإيجابية في المجتمع خاصة في الصحة والتعليم وترشيد الاستهلاك بتعزيزها عن طريق الحوافز التشجيعية.

وعليه فإن المقترح بأن تنشأ وحدة توجيه سلوكي مركزية وهو النموذج الذي يناسب هيكل المؤسسات القائم في الأردن على المركزية واللامركزية في كثير من الأحيان، ولكن لا بد من الإشارة إلى: (إن ما تمس الحاجة إليه ليس ترويج الوكز السلوكي، إنما هو حوكمة هذا الوكز والتدخل الرشيد الذي يحمي المجتمع من النزغ والاستدراج المتوالي الذي يسلط على عقل الإنسان ليتمكن من النفوذ إلى جيبه، وبناء عليه تكون الأطر كما يلي:

### ١- الإطار الشمولي التشريعي

ويقترح إصدار قانون أو لائحة تنظيمية لعمل وحدة الوكز، بوضع الأطر القانونية الكاملة ضمن المتطلبات الدستورية والتشريعية، حيث تكون الوحدة لا مركزية ومنقسمة على شقين:

الأول: مكتب وكز استشاري خاص بالسياسات، بأن يكون الوكز موجهاً لنفع عام أو مصلحة راجحة، وفي مثل هذه الحالة؛ تكون الوحدة منتشرة في سائر قطاعات الدولة بشكل غير مركزي، مهمتها تقديم الاستشارات للحكومة بخصوص أي تدخلات لتوجيه السياسة العامة.

الثاني: مكتب حوكمة الوكز الخاص (على الصعيد الاقتصادي لإجراء تدخلات في القطاع الخاص)، أو هيئة عامة مستقلة مختصة بالتخطيط للسياسات العامة، وتتفرع عن هذه الوحدة وحدات أخرى في كل من مؤسسات القطاع الخاص، وتعطى الوحدة دعماً قانونياً وتشريعياً من الإدارة العليا للدولة لتمكينها من تنفيذ الأولويات الاستراتيجية في القطاع الخاص.

### ٢- الإطار الجزئي التطبيقي

يقترح بأن يكون نطاق عمل الوحدة في جميع مؤسسات الدولة والوزارات، من خلال مكاتب للوكز السلوكي في كل وزارة، حيث تقوم هذه المكاتب وغيرها بإجراء اختبارات الوكز العشوائية من خلال فروعها في المدن، وتنفيذ التجارب وتزويد الوحدة الرئيسة بنتائج الاختبارات مع مراعاة البعد الجغرافي وصلاحيه تنفيذ الاختبارات لكل منطقة حسب طبيعة الحياة فيها، من خلال توفير

مختبرات في الوحدة للقيام بالتجارب، وقاعدة بيانات خاصة بالسلوكيات المراد تعديلها، وفرزها حسب كل جهة وتصميم أدوات التوجيه والوكز، سواء من خلال الرسائل أو التنبيهات أو وسائل الإعلام، أو أي وسيلة يقترحها مجلس الوحدة يتبعه إعادة تصميم الوكز بعد التقييم.

### ٣- الإطار الهيكلي والإداري

من الضروري مراعاة الخبرة والتخصص العلمي الدقيق لفريق الوحدة السلوكية كل حسب القطاع الذي يعمل به، مع وجود علاقة وثيقة مع الجامعات والأوساط الأكاديمية لتزويد الوحدة بآخر التجارب والدراسات السلوكية على المستوى العلمي والعالمي والتطوير في هذا المجال، وتشكيل مجلس استشاري للوحدة مكون من أكاديميين واقتصاديين، وعلماء نفس وتربويين وممارسين للوكز السلوكي من دول العالم، لتقديم التوصيات وتوجيه عمل الوحدة، ويتم وضع ميثاق أخلاقي للوحدة لحماية حقوق المشاركين في الوكز وحماية التجارب والاختبارات من التلاعب.

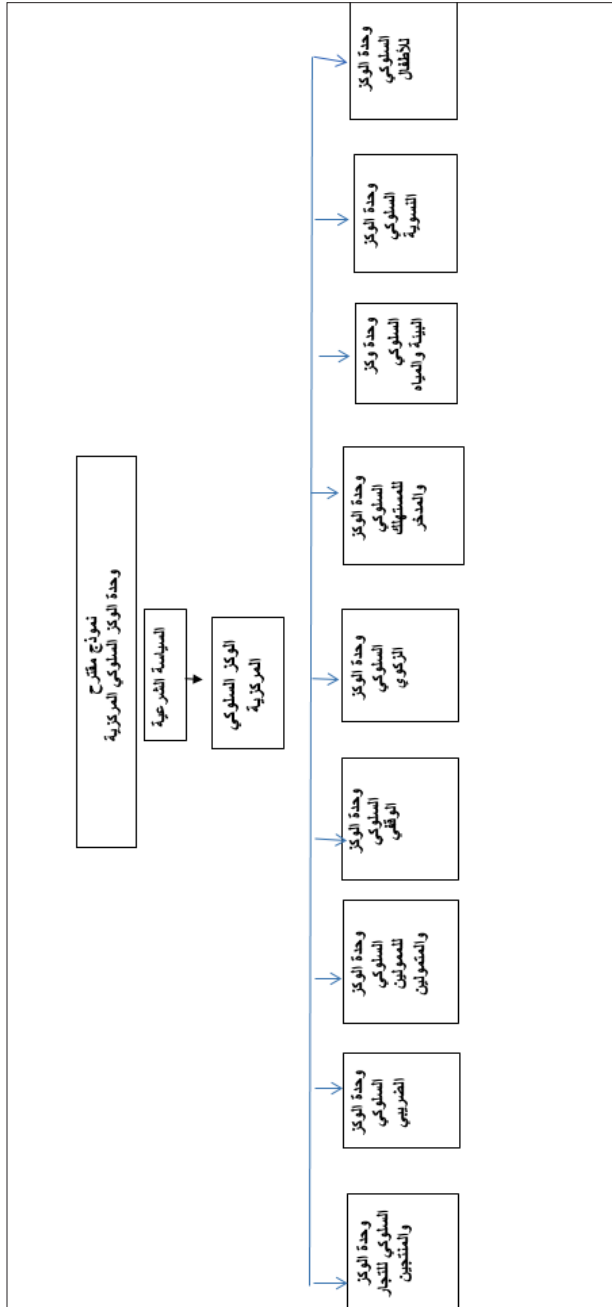
أما الكفاءات البشرية؛ فيوضع هيكل تنظيمي ووظيفي بتضمينه الشروط الواجب توافرها بوحدة توجيه الاقتصاد السلوكي (الوكز)، بما يضمن تحقيق الأهداف المنشودة والنتائج المستهدفة منها، وضرورة توفر المؤهلات والشروط التالية في الكادر الوظيفي: بتوظيف كوادر من ذوي التخصصات الأكاديمية ذات العلاقة بالاقتصاد وعلم النفس والتخطيط وإحصائيين ومحليي بيانات، وباحثين في كل منطقة جغرافية مستهدفة، مع وجود مجلس للمراجعة الأخلاقية يكون من مهامه ضمان عدم تسريب أي معلومات عن المشاركين في تجارب التوجيه السلوكي من قبل الموظفين في الوحدة.

### ٤- الإطار التنظيمي

من خلال وضع خطة تشغيلية وإعلامية باستخدام كافة الوسائل الإعلامية والإلكترونية، لنشر الوعي بأهمية الوكز السلوكي، لبناء الثقة مع المواطنين حول تجارب الوكز وآثارها الإيجابية في تحسين مستوى الخدمات والتنمية الاقتصادية ورفاه المجتمع.



## والنموذج التالي یبین التصور المقترح لوحدة توجیه الاقتصاد السلوكي (الوكز)



## السياسة الشرعية

الهدف الإجمالي من إقامة نظام الوكز السلوكي بوحداته المختلفة أن يكون الناس إلى الصلاح أقرب وعن الفساد أبعد، ويتذرع نظام الوكز لتحقيق هدفه العام بما يتيسر من أدوات وبمنظومة القيم الإيجابية بالتحبيب بالسلوك المرغوب والتبشير بعواقبه. ويتكون هذا النظام من الوحدات الفرعية الظاهرة في الشكل ويمكن استحداث أي وحدة أخرى ترى السياسة الشرعية أهميتها. وفيما يأتي تعريف بهذه الوحدات.

### ١. وحدة وكز الأطفال

قبل المدرسة: التركيز على الخلاصات السلوكية المحببة والمرغوب فيها من خلال الأنشودة والقصة والأغنية وغيرها، وترغيبهم بالأكل الصحي والتصرفات الصحية والبعد الإيثاري والادخاري وغيرها.

في المدرسة: التركيز على تحفيز الطفل على:

١. القوة الجسمية من خلال الرياضة.
٢. القوة النفسية من خلال التربية والتزكية.
٣. القوة الأخلاقية من خلال بث سلوكيات الأمانة والتصرف بأساليب تربوية وسلوكية كالتعلم بالقدوة وغيرها.
٤. القوة العلمية من خلال الترغيب بالتعليم بطرق تعليمية.

### ٢. وحدة الوكز النسوية

وتنقسم إلى فتيات و متزوجات:

ويتم فيها تعديل السلوك وتوجيهه بما يعزز القيم الصحية والدينية والقيمية والخلقية، وتثقيف المرأة بشتى الطرق وتوجيه السلوك وتعديله بما يخدم القيم المذكورة هنا من خلال تصميم الوكزات المناسبة، وقد تكون من خلال أفلام قصيرة فلاشات ورسائل قصيرة ودعايات ومنشورات وغيرها.

٣. وحدة وكز السلوك البيئي والمياه: وهي تعنى بالوكزات المحفزة على التعامل مع البيئة بإحسان وترشيد استخدام مصادر الطاقة وتحفيز الحصاد المائي واستخدامات الطاقة المتجددة كالشمس والرياح وغيرها، وكذلك إبراز أهميتها وانعكاسها على الفرد والمجتمع.

٤. وحدة الوكز الاستهلاكي والادخاري، وتنقسم إلى الوكز الشرعي والصحي ويمكن أن تقوم هذه الوحدة بتعديل السلوك بما ينسجم مع أهدافها ضمن منظومة متكاملة تتضمن: التوجيه للغذاء والعادات الصحية والقيم والأنماط الاستهلاكية، والبعد الإيثاري والأخروي في الاستهلاك والادخار، وتحوطات السلامة وتوجيه السلوك مثل: ارتداء أحزمة الأمان أثناء القيادة، والإقلاع عن التدخين، والتحول من المنتجات ذات الضرر المرتفع مثل: (السكر، المشروبات الغازية) نحو المنتجات المقبولة صحياً.

٥. وحدة الوكز الزكوية من خلال مجموعة من الوكزات تضمن التنزه عنها إلا لحاجة، وتضمن دفعها من قبل المزمك دون إبطاء، وكذلك تيسير أمر دفعها وما يضمن تحقق قاعدة الملاءمة الزكوية.

٦. وحدة الوكز التبرعي، وتضم الوكز الوقفي، وفيها يمكن توجيه الوكزات التي تضمن تغليب القيمة الإيثارية الأخروية، وكذلك يمكن توجيه الوكزات التي تسهل على الواقفين إجراءات الوقف بأشكاله المختلفة، وتضمن أيضاً نشر الثقافة الوقفية والوعي الوقفي النقدي والعقاري والصكوك وغيرها. ووكز العمل الخيري وكفالة الأيتام ورعاية أصحاب الحاجات مثل الأرامل وكبار السن وغيرهم.

٧. وحدة الوكز الضريبية: وهي تعنى بالوكزات المحفزة على الدفع من خلال التحفيز والترغيب بالدفع المسبق مقابل الخصم، وكذلك إبراز أهميتها وانعكاسها على الفرد والمجتمع وغيرها.

٨. وحدة الوكز الخاصة بالمنتج والتاجر والمتمول: ويمكن أن تقوم هذه الوحدة بتعديل السلوك بما ينسجم مع أهدافها ضمن منظومة متكاملة تتضمن: المنتج والتاجر بهدف تصميم الوكزات التي توجههم الوجهة المرغوبة بأدوات مختلفة، للوصول إلى قيم الإنتاج الرشيد وضمن سلم الأولويات وبما يتوافق مع الطلب الاستهلاكي
٩. وحدة الوكز الدعوية: وفيها يمكن توجيه الوكزات التي تضمن تغليب القيم الأخروية، وكذلك يمكن توجيه الوكزات والرسائل الدعوية ضمن تناغم مع الوحدات السلوكية السابقة وبالتوافق مع الوحدة المركزية، وضمن ضوابط السياسة الشرعية في مسائل الطاقة النظيفة والاقتصاد الأخضر والحصاد المائي والبيئة والتربية والتعليم والاستهلاك والإيثار وغيرها.

## الخاتمة

### أولاً: النتائج

١. الاقتصاد السلوكي يعيد تعريف الرشد الاقتصادي، وفق منظومة دينية وقيمية وأخلاقية واعتبارات عاطفية؛ فالإنفاق التبرعي وإكرام الضيف والإحسان بالبذل سلوك رشيد؛ لأنه يلبي حاجة في الفرد بينما لا يعد كذلك بحسب النظرية الاقتصادية السائدة.
٢. وفق علم الاقتصاد السلوكي، فإن نتائج التصويت متحيزة لما يعرف (باستدلال الوفرة)، بمعنى آخر أن الناس تتأثر بآخر ما سمعته، أو بما هو متداول بينهم أو في وسائل الإعلام وغيرها، ويهدف الاقتصاد السلوكي إلى دراسة تصرف المستهلك وجعل خياره المثالي حقيقة بتجنب الخدعة البصرية من خلال التركيز على النواحي النفسية والأعراف الاجتماعية.
٣. الاقتصاد السلوكي في الاقتصاد الإسلامي مرتبط بالقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية، فهي التي تتحكم في سلوك المستهلك وسلوك المنتج، بخلاف الاقتصاد التقليدي المرتبط بحساب الربح والخسارة وهي حسابات مادية.

٤. الوكز السلوكي هو محاولة لتعديل التصرفات السلوكية الفردية وتحقيق امتثال غير قسري عن طريق الحوافز المؤثرة في القرارات الاقتصادية التي تتخذها المجموعات والأفراد، عبر تصميم واع لعملية اختيار تعمل على تغيير سلوك الأشخاص اقتصادياً بالطريقة المرغوبة.
٥. تجتهد المؤسسات عموماً في استدراج السلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات بما يحقق المصلحة العامة كما تراها هي، لكنها لا تريد أن تظهر بمظهر الواعظ ولا بمظهر المتحكم الأمر عبر أدوات السياسة الاقتصادية ذات البعد السيادي.
٦. تظهر أهمية دراسة الاقتصاد السلوكي في التعرف على الأخطاء السلوكية التي ينتهجها الجمهور، وتمكين الجهات الرقابية والسلطات الإشرافية من إعداد برامج تحد من استغلال قطاع الأعمال لهذه الأخطاء وحماية المستهلك.
٧. تساعد النظرية الاقتصادية في توقع السلوك الاقتصادي، من خلال دراسة العوامل الاجتماعية، والعوامل الثقافية، والعوامل النفسية.
٨. يسهم تفعيل المؤسسة الزكوية في تعزيز الطلب الاستهلاكي الحقيقي، ما يعني إعادة تشكيل (هندسة بنية الطلب لصالح الضروريات).
٩. للقدوة دور في تغيير سلوك المستهلك، فالسلوك الصادر من غني من أغنياء المجتمع في مناسبة اجتماعية أكبر أثراً من سلسلة من الدروس والمواعظ.
١٠. الوكز السلوكي معني بالدرجة الأولى بإعادة جمهور المستهلكين والمدخرين والمستثمرين إلى حالة الرشيد الاقتصادي في ظل تنامي المساحات التسويقية عبر الفضاء التكنولوجي الواسع وإغراق الأفراد والمجتمع بكم كبير من السلع والخدمات دون القدرة على تمحيص النافع من الضار.
١١. في ظل الاقتصاد الإسلامي ينبغي التحرز من الدعايات المضلّة المشوّهة لخيارات المستهلكين، وتشكيكها برغباته الحقيقية وأن مصدر سعادته لن يكون إلا من هذه السلع بغض النظر عن دخله وحاجته لها، وعليه فقد صار لزاماً اليوم

- دراسة المرونة الإعلانية واعتبارها مؤشراً مهماً في رسم السياسات التسويقية والإنتاجية، ومنها تأتي الوكزات السلوكية لتعديل السلوك الاقتصادي.
١٢. ومن هنا يظهر دور المؤسسة الإعلامية بأشكالها المختلفة في صياغة الصور الذهنية أو إعادة تشكيلها، بما يسهم في تعزيز الاقتصاد السلوكي، كما أن هنالك حاجة فعلية لبث الوعي المصرفي والادخاري الإسلامي، ولوحدة الوكز السلوكي دور مباشر فيه.
١٣. مؤسسات التمويل المختلفة إسلامية وغيرها معنية بإعادة توجيه وتغيير نمط الاستهلاك وتغييره.

### ثانياً: التوصيات

١. استصدار التعليمات التي تسهم في تعزيز الاقتصاد السلوكي وتفعيل القائم منها ضمن برنامج زمني من خلال تصميم وتنفيذ سلسلة من الوكزات الموجهة للجمهور المستهدف.
٢. إجراء المزيد من البحوث والدراسات في هذا الصدد، حتى نسهم بشكل أو بآخر في تلمس السبل والطرق المناسبة للتعامل مع مثل هذا الموضوع وفق أطر وأسس علمية رصينة
٣. عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات الخاصة بموضوع الاقتصاد والتمويل السلوكي.
٤. ضرورة ربط الثقافة الاستهلاكية والادخارية بالالتزام الديني والامتثال الشرعي والقدرة الشرائية والحاجة للسلع وليس تقليداً للآخرين، من خلال وسائل الدعوة والتوجيه والإعلام.
٥. إعادة قراءة الدليل الزكوي وكتابته وتقنينه، وتفعيل المؤسسة الزكوية، بما يؤثر في تعديل السلوك الاقتصادي الإيجابي.
٦. ضرورة تبني منهج الاقتصاد السلوكي من قبل البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، وأن تشتمل على وحدة تهتم بدراسة سلوك العملاء.

# دراسات ومقالات





# القدس والمقدسات

## تمكين المرجعيات وتحديث الخطاب

### الجزء الأول (١٩١٧-١٩٦٧)

أ.د. مهدي عبد الهادي\*

مقدمة لم تكتمل

لا يزال الإرث التاريخي للقدس والمقدسات فوق مساحة جغرافية وسط فلسطين ينبض إرثاً وتراثاً حياً في فكر ووجدان الفلسطينيين والعرب، مسلمين ومسيحيين أينما كانوا... يعودون إليه، ويقتبسون منه. للعبرة والتعلم أو الزهو والافتخار، أو الهروب من قهر الزمان، (الحالة التي أصبحوا فيها)، أو بحثاً عن مصادر ومراجع للدفاع عن شرعية حقوقهم، والتسلح بها لمقاومة العدوان، وتأكيد كياناتهم العربي، وهويتهم الوطنية، والحفاظ على مقدساتهم وتمكين مرجعياتهم في حمايتها ورعايتها، وتحديث خطابهم.

وتعرض هذه الدراسة نماذج وأمثلة على تطور المشهد التاريخي، وتبدل الامتداد الجغرافي وأيضاً حالة وموقف المرجعيات، وخطاب بعض شخوص المكان عبر عدة حقبة تاريخية على النحو التالي:

---

\* رئيس الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، وعضو منتدى الفكر العربي (فلسطين).

## الحقبة الأولى: ما بين الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) ونهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥)

### (١) المشهد التاريخي

تعهدت بريطانيا للشريف الحسين بن علي ولقادة الحركة العربية في دمشق والقاهرة في مراسلات الحسين - مكماهون (١٩١٥-١٩١٦) «بدعم إقامة دولة عربية في الأراضي التي حكمتها الإمبراطورية العثمانية بما فيها فلسطين، وذلك مقابل دعم عربي عسكري للحملة البريطانية ضد العثمانيين». وأكدت الحكومة البريطانية ذلك في رسالتها للقادة العرب في القاهرة في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩١٨ بأنها «تعترف بالاستقلال والسيادة التامين للعرب القاطنين في هذه البلاد وتؤيد نضالهم من أجل الحرية».

وفي نفس الوقت، ناقضت بريطانيا تعهداتها بتوقيع اتفاقية سايكس بيكو (١٦ أيار/مايو ١٩١٦) مع فرنسا، ثم تعهدت للحركة الصهيونية في (٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧) (تصريح بلفور) «لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين..» ثم تحولت هذه التعهدات إلى نصوص في نظام الانتداب الذي «فتت» القضية العربية إلى كيانات سياسية: فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وفي الحجاز، يتولى الملك عبد العزيز آل سعود الحكم بعد تنازل الشريف (الملك) الحسين بن علي لولده الأمير علي وإبعادهما عن البلاد.

### (٢) جغرافية المكان

في عهد الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٢٠-١٩٤٧)، طرحت رؤية ورغبة بريطانية للحيلولة دون إلحاق مدينة القدس وبيت لحم، في حلبة «صراع لا ينتهي».. فقد أوصت اللجنة الملكية البريطانية برئاسة اللورد بيل، والتي كلفت بالتحقيق إثر ثورة (١٩٣٦) في بيان لتنفيذ التزامات الدولة المنتدبة (بريطانيا) نحو العرب واليهود: تقسيم فلسطين إلى دولتين، عربية تضم الأماكن المقدسة تحت الانتداب البريطاني، إلا إذا رغبت في إنهائه كل من عصبة الأمم والولايات المتحدة، وأن تقسيم فلسطين يخضع لشرط أساسي وهو

«المحافظة على قداسة مدينتي القدس وبيت لحم وتأمين الوصول إليهما بحرية واطمئنان لمن يشاء من كافة أنحاء العالم».

أما حدودهما، فتمتد من نقطة شمال القدس إلى نقطة جنوب بيت لحم، وأن يهيئاً لهذه المنطقة الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد إلى شمال الطريق العامة وإلى جنوب سكة الحديد ويشمل مدينتي اللد والرملة وينتهي في مدينة يافا.

### (٣) حالة المرجعيات وموقفها

دخل الجنرال آدموند اللبني مدينة القدس في ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧، وأعلن عن «إنهاء مهمة حروب الصليبيين» بعد (٨٠٠) عام من انتصار صلاح الدين الأيوبي على الملك ريتشارد (قلب الأسد)، وأضاف «إنني سأحافظ على كل بناء مقدس ومكان مقدس أو معبد أو مقام أو مزار أو نقطة تاريخية أو موقف أو هبة دينية أو مصلى عادي تابع لأي دين من الأديان الثلاثة وأقوم بحمايتها جرياً على ما تقتضيه التقاليد المتبعة وعقائد من تقديس أديانهم تلك الأماكن».

هذا وقد ترجم رونالد ستورس (الحاكم العسكري لمدينة القدس) هذه السياسة عندما رفض المحاولة الثالثة للطائفة اليهودية عام ١٩١٩ «إدعاء حقوق في حائط البراق» والسعي لإجراء «معاملة» تملك للمنطقة الملاصقة بحائط البراق...». وقد حرص رونالد ستورس (الحاكم العسكري للقدس) المحافظة على سياسة الحكومة البريطانية في اعتماد وتفسير «إبقاء الوضع القائم التاريخي القانوني (Keeping the Status-Quo)، أي الإبقاء على وضع حالة الأماكن المقدسة كما كانت في العهد العثماني دونما أي تغيير، ومنع محاولات الطائفة اليهودية في أعوام ١٩٢٥، ١٩٢٤، ١٩٢٣، ١٩٢٢ في أعياد الفصح لدى اليهود من إحضار أو وضع كراسي وطاولات وفوانيس وستارة إلى حائط البراق. هذا وقد أصدرت الحكومة البريطانية في أعقاب حادثة البراق في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) الكتاب الأبيض (٢٢٢٩)، تتعهد فيه «المحافظة على الوضع القائم التاريخي والقانوني في الأماكن المقدسة (Status-quo) وأكدت الملكية الإسلامية

لحائط البراق، وأيضاً أكدت على حق اليهود في أداء الصلاة عند الحائط وان يأخذوا معهم الأشياء الجوهرية التي كان مسموحاً بها في العهد العثماني.»

#### (٤) خطاب بعض شخوص المكان

في العشرينيات في القرن الماضي، عقد كبار العلماء وقضاة المحاكم الشرعية وشخصيات البلاد مؤتمراً في القدس (٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٠)، وقرروا تأسيس مجلس شرعي إسلامي أعلى يتولى جميع الشؤون الإسلامية لفلسطين، وتجاوبت الحكومة البريطانية مع هذا القرار وأصدرت في ١٢ آذار/مارس ١٩٢١ «نظام المجلس الإسلامي الأعلى» ونشرت في الجريدة الرسمية في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٢١.

قام المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي القدس الحاج أمين الحسيني بإعمار وترميم وإصلاح حائط البراق كجزء من مسؤولياتهم في إعمار المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف: وقد رفض رونالد ستراوس (الحاكم العسكري للقدس) طلب الجالية اليهودية برئاسة الرابي إبراهيم اسحق هاكوهن كوك أي تدخل أو اعتراض على ذلك.

وفي العشرينيات من القرن الماضي (١ آذار/مارس ١٩٢٤)، كانت المطالبة والمبايعة الفلسطينية للوصاية الهاشمية على المقدسات الإسلامية في القدس، فقد استقبل الشريف (الملك) الحسين بن علي في العقبة وفود المدن الفلسطينية، وكان أولها وفد اللجنة التنفيذية العربية برئاسة موسى كاظم الحسيني وعضوية أمين التميمي وعوني عبد الهادي وشكري التاجي، وقد كانت مطالباتهم ودعوتهم:

«تولي الشريف (الملك) الحسين بن علي الوصاية والرعاية والحماية للمسجد الأقصى المبارك/ الحرم الشريف والأماكن المقدسة في القدس وإعمارها.»

وكانت إجابة الشريف (الملك) الحسين بن علي أنه:

«ينزل على إرادتهم ويتبع قراراتهم بشرط أن لا تخرج عن دائرة الحكمة». ودعاهم إلى وضع ميثاق وطني فيه مطالبهم وأمانهم ليعمل على تحقيقه ... وأعلن عن تبرعه بمبلغ (٢٤) ألف جنيه لإعمار المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف وأوصى ان يدفن فيه.

كان المجلس الإسلامي الأعلى من أنجح «المرجعيات» الدينية والوطنية وأبرز شخصوس المكان في القدس وفلسطين، وتمتع بصلاحيات المحافظة على الوضع الراهن (Status-quo)، وقام بحملة لمنع بيع الأراضي عام ١٩٢٣ وأصدر فتوى دينية بذلك، وحرص على إدارة أراضي الوقف طوال فترة الانتداب ... كما أوفد المجلس عدة وفود إلى الشام والعراق ومصر والحجاز وتركيا والهند منذ العام ١٩٢٣ في مهمة «مشروع إعمار وترميم المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف وحماية عمارة الممتلكات والعقارات الإسلامية ... وجمعت تلك الوفود تبرعات نقدية ساهمت في إكمال «مشروع ترميم وإعمار المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف، ومنها دعوة وتكليف وإشراف الأمير عبد الله ابن الحسين في (٢٧ آب/ أغسطس ١٩٢٨).

الحقبة الثانية: ما بين انتهاء الانتداب البريطاني ١٩٤٧ وبداية الاحتلال الإسرائيلي

#### (١) المشهد التاريخي

قررت الحكومة البريطانية في شباط ١٩٤٧، وبضغط من المجتمع الدولي وبتأثير مباشر من الحرب التي شنتها العصابات الصهيونية المسلحة أن تسلم قضية فلسطين للأمم المتحدة، وقد قاطع الفلسطينيون لجنة التوفيق الدولية (UNSCOP) التابعة للأمم المتحدة والتي كلفت بإعداد تقرير حول مستقبل فلسطين، وكانت «المقاطعة» بدعوى أن فلسطين ما بعد الانتداب ليست بحاجة إلى «تحقيق»، وأنه يتوجب اعتبارها فقط دولة عربية مستقلة ليست بحاجة إلى تحقيق دون ان يكون للأمم المتحدة سلطة أن تقرر في الأمر. وقد اعتقد يومها الأمين العام للجامعة العربية (عبد الرحمن عزام) أن القدرات العسكرية

العربية قادرة على هزيمة القوات اليهودية. وعلى عكس من هذا، رحبت الحركة الصهيونية بوفد لجنة التوفيق الدولية الذي أبدى تعاطفاً مع مطالبها!

أعدت لجنة التوفيق الدولية (UNSCOP) تقريرين: الأول جرى تبنيه من أغلبية الأعضاء الداعمين لفكرة «تقسيم فلسطين»، والثاني من قبل الأقلية التي أوصت بإنشاء دولة فدرالية واحدة.

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقرير الأغلبية وتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين عربية على (٤٢) بالمائة من الأراضي ويهودية على (٥٦) بالمائة من الأراضي ويرتبطان باتحاد اقتصادي، أما القدس ونظراً لأهميتها الدينية والتاريخية، فقد تقرر لها كياناً خاصاً منفصلاً (Corpus Separatum) منزوعة السلاح على مساحة ٢٪ وتدار طبقاً لتوصيات مجلس الوصاية.

وفي أعقاب صدور قرار «تقسيم فلسطين» في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، تصاعد العنف بين اليهود والفلسطينيين من خلال كمائن طرق وتفجيرات معدة من كلا الطرفين. وفي عملية القضاء على حركة المقاومة الأهلية للسكان الأصليين شرعت القيادة الصهيونية برنامجاً خطيراً من «التطهير العرقي»، وأجبرت القرى العربية القريبة من مستوطنات حوالي (٤٠٠) قرية على الإخلاء قسرياً.

وكان لمذبحة دير ياسين وقعاً مربعاً على السكان، ونفذت قوات الهاجاناه هجوماً واسعاً على المدن والقرى وخاصة حيفا ويافا لتأمين سيطرتها على الساحل.

## (٢) جغرافية المكان

في خلال سنوات النكبة الفلسطينية وحرب ١٩٤٨، كانت القوات الإسرائيلية قد استولت على ما يقارب (٨٥٪) من مساحة القدس البلدية، والتي كانت تبلغ (١٩,٢) كيلومتر مربع في ذلك الوقت، بينما تمكن الجيش العربي الأردني من المحافظة على (١١٪) من مساحة القدس البلدية، بما فيها البلدة القديمة، واعتبرت (٤٪) منطقة حرام (No Mans Land).

وكانت الخريطة التي رسمها وتوافق عليها كل من عبد الله التل (الحاكم العسكري الأردني) وموشيه ديان (الحاكم العسكري الإسرائيلي) بصورة مستعجلة وأرفعت باتفاقية وقف إطلاق النار تشير إلى صورة وحالة جغرافية «مستقبل» تقسيم مدينة القدس، وعندما وقعت اتفاقية رودس لوقف إطلاق النار في نيسان/أبريل ١٩٤٩، كانت هذه الخارطة هي المرجعية الرسمية الموجودة، بما في ذلك ما شابهها من غياب للدقة. وهكذا عرضت واستمرت حالة تقسيم مدينة القدس لمدة (١٩) عاماً حتى حرب حزيران ١٩٦٧. وكان القسم الخاص من الخط الأخضر الفاصل بين قسمي المدينة قد بلغ طوله (٧) كيلومترات، وكان بينهما محطة عبور إدارية مشتركة بين المنطقتين عرفت باسم بوابة مندلبوم، وقد احتفظ «الخط الأخضر» بمعناه الأمني والسياسي والقانوني والإداري لمدة ١٩ عاماً.

### (٣) حالة المرجعيات وموقفها

في سنوات النكبة الفلسطينية وأعقاب حرب ١٩٤٨، كانت هناك محاولتان لتسجيل دور وموقف للمرجعيات... المحاولة الأولى الفلسطينية؛ نحو إنشاء كيان فلسطيني مستقل، وتحويل الإدارة المدنية المؤقتة التي عينتها الجامعة العربية برئاسة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني... وعقد المؤتمر الفلسطيني الأول في غزة في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨، وأصدر المؤتمر الميثاق الوطني الفلسطيني الأول والإعلان عن «حكومة عموم فلسطين» وعاصمتها القدس. وانتخاب الحاج أمين الحسيني رئيساً لها، وأحمد حلمي عبد الباقي رئيس وزرائها، وجمال الحسيني وزير خارجيتها، وعشرة شخصيات وزراء... ولكن هذه المحاولة لم تعمر طويلاً.

أما المحاولة الثانية، فكانت فلسطينية-أردنية حيث شهدت الساحتين عقد سلسلة من المؤتمرات في رام الله ونابلس وعمّان وعقد آخرها في ١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ في أريحا، وقد دعت كلها إلى «ضم» ما تبقى من فلسطين إلى

المملكة الأردنية الهاشمية من أجل إنقاذ ما تبقى من فلسطين في أسرع وقت، كخطوة تجاه وحدة عربية كاملة والاعتراف ومبايعة الملك عبد الله بن الحسين ملكاً على عموم فلسطين. وقد وافقت الحكومة الأردنية والبرلمان الأردني على ذلك. وفي شهر شباط/فبراير ١٩٤٩، جرى تعديل قانون الجنسية الأردنية لمنح كل فلسطيني مواطنة أردنية... ووافق مجلس الجامعة العربية على قرار اللجنة السياسية «أن المملكة الأردنية الهاشمية تعلن أن ضم الجزء الفلسطيني إليها إنما هو إجراء اقتضته الضروريات العملية وأنها تحتفظ بهذا الجزء «وديعة» تحت يدها، على أن يكون تابعاً للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير أجزائها الأخرى بكيانها الذي كانت عليه قبل العدوان وعلى أن تقبل في شأنه ما تقره دول الجامعة الأخرى».

كما جاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في مسألة اللاجئين الفقرة (١١) من القرار (١٩٤)، الصادر في (١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨) وينص على الآتي: «تقرر السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب وضع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى بيوتهم، وعن كل مفقود أو مصاب بضرر خرقاً لمبادئ القانون الدولي».

وقد صدرت تعليمات إلى لجنة التوفيق الدولية (UNSCOP) بتسهيل إعادة اللاجئين إلى وطنهم وتوطينهم من جديد وإعادة تأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي، ولذلك تدفع تعويضات».

#### (٤) خطاب بعض شخوص المكان

لقد بادر الملك عبد الله بن الحسين بزيارة القدس وحرص على الصلاة في المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف، وحضور «دروس الجمعة» في المسجد الأقصى المبارك، والتي كان يقدمها كل من الشيخ عبد الله غوشة والشيخ عبد الحميد السائح، واهتمامه ومتابعته للتواصل مع رجالات فلسطين في



القدس ونابلس والخليل ... وأصدر الملك عبد الله بن الحسين في شهر شباط/ فبراير، قرار تشكيل «الهيئة العلمية الإسلامية في القدس» لتكون حارساً للفضيلة والأخلاق برئاسة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ونخبة من العلماء المسلمين، كما قررت الحكومة الأردنية تعيين عارف العارف رئيساً لبلدية القدس في شهر آب/أغسطس ١٩٥٠.

وبناءً على توجيهات الملك عبد الله بن الحسين، قررت الحكومة الأردنية في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١، تعيين الشيخ حسام الدين جارالله مفتياً للقدس وأمين عبد الهادي رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، وتعيين راغب النشاشيبي ناظراً للحرم الشريف والحارس السامي للاماكن المقدسة، وتكليفه «أن يتخذ العهدة العمرية دستوراً واحترام جميع ما ورد فيها، وخلفه في هذا المنصب حسين فخري الخالدي».

ودعا الملك عبد الله بن الحسين إلى «الحذر والحيطه والمحافظه على الوضع الراهن (Status Quo) التاريخي والقانوني، وقطع الطريق على أية مشاريع لتدويل المدينة، وأن المدينة المقدسة في يد عربية وستبقى عربية ترعاها عناية الله ويحرسها الجيش العربي الأردني».

وفي ٢٠ تموز/يوليو ١٩٥١، ارتقى للسماء الملك عبد الله بن الحسين شهيداً على عتبات المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف في أثناء دخوله لتأدية صلاة الجمعة كعادته الأسبوعية.

وقد شهدت الفترة (١٩٤٩-١٩٦٧) ترجمة عملية للوصاية الهاشمية، فبعد ستة أيام من تولي الملك الحسين بن طلال مقاليد الحكم، حيث صدر قانون لجنة إعمار مسجد قبة الصخرة المشرفة، واعتبر هذا الإعمار الهاشمي الأول في ٨ أيار/مايو ١٩٥٢، ثم أمر بتشكيل لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك، وجرى إتمام الإعمار في ٦ تموز/يوليو ١٩٦٤ باحتفال برعاية الملك الحسين بن طلال.

## الحقبة الثالثة: بعد سنوات من الاحتلال الإسرائيلي ١٩٦٧

### (١) المشهد التاريخي

عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على تحقيق أهدافها السياسية منذ الاحتلال الإسرائيلي في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وذلك بـ«أسرلة» و«تهويد» القدس الشرقية، أي تغيير وتشويه الطابع والواقع العربي للمدينة وإيجاد واقع جيو-سياسي جديد من أجل السيطرة على الأرض والتحكم بالتطور والنمو السكاني الفلسطيني واحتواء وإضعاف مرجعيته الوطنية والدينية في كل أنحاء المدينة. وشاركت في تحقيق هذه الأهداف معظم المجموعات الاستيطانية. وقد شملت ذلك خطط ومقررات وعمليات مصادرة الأراضي الفلسطينية وبناء (١١) إحدى عشرة مستوطنة كفلاف حول القدس، بالإضافة إلى «الجدار العازل» حوالي (١٣٩) كيلومتر حول المدينة. وهناك ما يقارب (٢٠٠٠) مستوطن يعيشون في بؤر استيطانية في قلب الأحياء الفلسطينية داخل البلدة القديمة.

وقد أكملت السلطات الإسرائيلية إجراءات «الضم الإسرائيلي الرسمي» لمدينة القدس بعد ١٣ سنة من حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧، وذلك عندما أصدر الكنيست القرار في ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٨٠ يقضي بتعيين الحدود البلدية حسب التوسع غير الشرعي الذي تم، وأعلنت المنطقة برمتها جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل واعتبرت أن «العاصمة الكاملة الموحدة، في قانونها الأساسي هي القدس».

وقد كان يشكل هذا الإجراء انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي، وقد شجبه قرار مجلس الأمن رقم (٤٧٨) الصادر بتاريخ ٢٠ آب/أغسطس ١٩٨٠، والذي قضى بأن كافة التدابير التشريعية والإدارية والإجراءات التي اتخذتها إسرائيل، بصفتها القوة المحتلة وأدت إلى تغيير أو من شأنها إلى تغيير هيئة ومكانة المدينة المقدسة في القدس، وبخاصة القانون الأساسي الصادر مؤخراً بخصوص القدس هي تدابير وأعمال باطلة، وينبغي إلغاؤها ووقفها.

## (٢) جغرافية المكان

قامت إسرائيل منذ العام ١٩٦٧ بمصادرة أكثر من ثلث الأراضي التي ضمتهما القدس (٢٤,٣٠٠) دونم من الأراضي التي كانت معظمها ممتلكات فلسطينية خاصة. بالإضافة إلى ذلك، شرعت إسرائيل بـ «نظام التمييز المنهجي» والقمع تجاه المواطنين الفلسطينيين بالمدينة في حياتهم اليومية: لا تتلقى الأحياء الفلسطينية من ميزانية البلدية سوى (١٢-١٣٪)، رغم أن الفلسطينيين يشكلون (٣٧٪) من السكان، وحرمانهم من حقوقهم في البناء وهدم بيوتهم (منذ عام ٢٠٠٤، دمرت حوالي (٧٤٦) وحدة سكنية فلسطينية، دمرت حوالي ٦١ وحدة منها عام ٢٠١٧ والقمع السياسي وإلغاء حق الفلسطينيين في الإقامة (تم سحب حوالي (١٤,٥٩٥) بطاقة هوية من سكان القدس منذ ١٩٦٧).

أعدت إسرائيل رسم الحدود البلدية مرتين لتعميق سيطرتها على الزيادة السكنية الفلسطينية. في عام ١٩٨٥، كانت المدينة تتوسع غرباً بمساحة قدرها (٥٠٥) كيلومتر مربع. وفي عام ١٩٩٣، وتوسعت بمقدار (٩-١٧) كيلومتر مربع، الأمر الذي رفع مساحة البلدية إلى (٤,١٢٦) كيلومتر مربع.

## (٣) حالة المرجعيات وموقفها

بعد حرب حزيران ١٩٦٧، حرص الملك الحسين بن طلال على تأكيد مرجعيته على جميع العناصر في قضية القدس بقوله:

«إن في أرضنا المحتلة قدسنا وتراثنا وقوميتنا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نفرط بذرة من حقوقنا أو جزء من مقدساتنا، ولن يكون سلام في أرض السلام ما لم يعد الحق كاملاً لنا في القدس وفي كل شبر احتله العدوان.»

وفي مؤتمر صحفي في العاصمة الأمريكية واشنطن في ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٦٩، ومتحدثاً باسم الأردن وباسم الرئيس جمال عبد الناصر، قال الملك الحسين بن طلال:

«إننا لا نستطيع أن نتصور أي تسوية لا تشمل عودة القسم العربي من مدينة القدس إلينا، بما في ذلك جميع الأماكن المقدسة.»

وأضاف يقول:

«إن سيادتنا في القسم العربي من المدينة يجب أن يعترف بها كاملة وكلنا نقرر أنه يجب ان تضمن حقوق جميع الأماكن المقدسة في القدس، وذلك بعد تحقيق سلام عادل وكامل.»

#### ٤) خطاب بعض شخوص المكان

بعد الاحتلال الإسرائيلي في حزيران ١٩٦٧، بادر الشيخ عبد الحميد السائح، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس، ونخبة من شخصيات القدس (٢٢ شخصية) بعقد اجتماع تأسيسي وتشكيل «الهيئة الإسلامية في القدس»، تحمل «أمانة ومسؤولية» حماية ورعاية المقدسات الإسلامية، وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك.

وأعلنت الهيئة الإسلامية في بيانها الأول أنها «تعتبر احتلال إسرائيل للقدس العربية وضواحيها، باطل ومنعدم وغير شرعي وخلافاً لإرادة أهالي المدينة الذين يرفضون الاحتلال وضم القدس العربية لإسرائيل واعتبار ذلك مخالفاً لقرارات الأمم المتحدة، وخاصة قرار مجلس الامن الدولي في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٧.»

وفي خلال الأسبوع الأول من الاحتلال الإسرائيلي في ١٧ حزيران/يونيو ١٩٦٧، طلب وزير الدفاع الإسرائيلي (موشيه دايان) من الضباط والجنود الإسرائيليين الذين كانوا معه خلع أذيتهم قبل دخول المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف وترك أسلحتهم خلفهم. وعقد اجتماع مع مجموعة من المسؤولين الفلسطينيين برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح (رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس)/ وحضور مفتي القدس (الشيخ سعد الدين العلمي)، وأعلم وزير الدفاع الإسرائيلي (موشيه دايان) الشخصيات الفلسطينية التي اجتمع معها «اعترافه واحترامه للوضع القائم (Status Quo) في الأماكن

المقدسة، وأن القوات الإسرائيلية ستخرج من المكان وتكون خارج المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف ... ووعد بإعادة الكهرباء والمياه خلال (٤٨) ساعة والعودة إلى الحياة الطبيعية، وطلب منهم متابعة الإجراءات الدينية، في المسجد بعد صلاة الجمعة القادمة ... وأضاف «أننا لن نتدخل في مراقبة خطبة الجمعة، ولن نتدخل في الشؤون الخاصة للمسؤولين الفلسطينيين عن المكان»

وأنه «قد أعطى الأوامر بإزالة العلم الإسرائيلي الذي وضع فوق مسجد قبة الصخرة، وأيضاً إزالة ما حاول إقامته الحاخام شلومو غورن من «كنيس» قرب مسجد قبة الصخرة المشرفة ...» وأضاف: ليس لدينا نوايا في السيطرة على الأماكن المقدسة الإسلامية أو التدخل في حياتهم الدينية ...»

لقد تضمنت «الترتيبات» التي اعتمدها وزير الدفاع الإسرائيلي (موشيه دايان) مع الهيئة الإسلامية في القدس بأنها ستبقى مسؤولة على الحفاظ والرعاية والإدارة في المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف، ولكن مع إضافة «إسرائيلية» وهي إنشاء موقع للشرطة الإسرائيلية (وعادة بإدارة رجال الشرطة العرب) وسيطرة إسرائيلية على بوابة واحدة في الحرم الشريف، بوابة باب المغاربة ومفاتيحها ووضع مركز مراقبة على سطح بناية المحكمة الشرعية ... لقد عمل وزير الدفاع الإسرائيلي على تأكيد وموافقة الحكومة الإسرائيلية على هذه «الترتيبات» بالرغم من أصوات ومواقف إسرائيلية معارضة.

هذا وقد قررت الحكومة الإسرائيلية «السماح بحرية دخول اليهود إلى الحرم الشريف، ولكن ليس «للمصلاة» التي تم التأكيد على منعها وتحريمها في رسالة وإعلان رئيس الحاخامات اليهود في إسرائيل»، وتم وضع يافطة باللغة العبرية لهذا الغرض على بوابة باب المغاربة المؤدية إلى المسجد الأقصى المبارك/ الحرم القدسي الشريف.

## خاتمة « قد لا تنتهي

وبعد ... هل كان من الحكمة أن أعود إلى خمسة عقود من رواية المشهد التاريخي والتطور الجغرافي واقتباس مواقف وحالة المرجعيات لا تنتهي عند تسجيل خطاب بعض شخوص المكان عبر خمسة عقود حتى أقف عند أبواب خمسة عقود من الاحتلال الإسرائيلي للقدس والمقدسات وبقية الوطن الفلسطيني؟!

وقد يكون من المفيد مراجعة آخر مواقف وتصريحات رجال الحكومات الإسرائيلية وممثلي الأحزاب والمنظمات الصهيونية الاستيطانية لمقارنتها مع ما بدأ به وزير الدفاع الإسرائيلي (موشيه دايان) في أول أيام الاحتلال الإسرائيلي للقدس والمقدسات وبقية الوطن الفلسطيني ... مقارنة مع ما وصل إليه وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي (عومر بارليف) في ٢٠٢١ بقوله انه جاء الآن زمان تنفيذ «تقسيم» الحرم الشريف:

• «جبل الهيكل» في الأجندة اليهودية الإسرائيلية.

• «الحرم الشريف» لدى العرب والمسلمين.

• «تقسيم» و«اقتسام» المكان والزمان.

أنتم تصلون في الحرم الشريف ونحن نتعبد عند «حائط وساحة المبكى»  
«حائط البراق».

• لليهود حرية دخول «جبل الهيكل» في كل الأوقات وتقييد «الصلاة الصامتة» في أعداد محدودة وأماكن معينة في ساحات الحرم الشريف !!

وعلى ضوء تشجيع وحماية التيارات والمنظمات الصهيونية الاستيطانية إلى «دخول» ساحات الحرم الشريف، وإقامة «بعض الطقوس الدينية»، فإن عدداً كبيراً من الحاخامات تعلن أن «جبل الهيكل Temple Mount» هو فقط لليهود.

وأنه بعد «خراب الهيكل الثاني» لا وجود ولا اعتراف بأية نبوة للسيد المسيح أو الرسول محمد ﷺ، وأن الكنائس الإيفينجليكان (Evangelical Churches) تعمل على دعم وتمويل هذه المواقف بانتظار «عودة المسيح» ودخول القدس.

• وفي مناخ هذه الاعتداءات والاقترحات والانتهاكات للحرم القدسي الشريف و«تغيير» الواقع التاريخي والقانوني والديني (Status-quo)، تتحول المدينة المقدسة في جغرافية أسوارها العثمانية إلى مساحة من «الاشتباك الحياتي مع المجتمع الفلسطيني، حيث تمارس المؤسسة الأمنية الإسرائيلية قوتها المسلحة بتصفية جسدية لعدد من سيدات ورجال وشباب وشابات بيت القدس على أبواب المدينة وفي أزقتها وحواريها، وأيضاً في ساحات الحرم القدسي الشريف، كما كانت حالة «الاشتباك» عند اقتحام الوزير الإسرائيلي شارون بقوة السلاح ساحات الحرم القدسي الشريف في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠.

• وهناك سجل طويل بأعداد ومواقع البيوت الفلسطينية التي هدمت وشردت أهلها وسكانها مع مصادرة الأراضي والممتلكات وتمليتها للمستوطنين!! ناهيك عن «أسرلة» مناهج التعليم وتزييف الرواية التاريخية العربية!

• أما عن خطاب بعض المرجعيات الدولية وبعض شخوص المكان، فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة قرارات تطالب فيها إسرائيل بإبطال والرجوع عن جميع هذه السياسات والإجراءات في تغيير معالم وهوية المدينة العربية.

• كما أصدرت منظمة اليونسكو عدة قرارات تدين إسرائيل وتدعوها للتوقف عن إجراءاتها، واعتمدت قراراً ينص على «أن المسجد الأقصى المبارك هو من المقدسات الإسلامية الخالصة ولا علاقة لليهود به».

وبعد ... وبعد ... وبعد ...

لعلنا في حاجة لوقفه تقييم مع «الذات» دون «جلد الذات» ومراجعة لمحطات الصمود والمقاومة لأهل القدس بكرامة من أجل حماية الأرض والمقدسات، في محاولة «لتحديث خطابنا» وتفعيل مؤسساتنا وتمكين مرجعياتنا، وخاصة «شخص المكان» ممثلين في «مجلس الأوقاف الإسلامية ودائرة الأوقاف الإسلامية في القدس» الامتداد الرسمي «لأم المرجعيات»- الوصاية الهاشمية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس.



## بيت المقدس بعيون أندلسية ومغربية

د. فريال العلي \*

«تجلّى الله على المسجد الأقصى بالجمال، وعلى المسجد الحرام بالجلال، وعلى مسجد الرسول ﷺ بالكمال، فذلك يوقف النواظر، وذاك يملأ الخواطر، وهذا يفتح البصائر».

من كتاب «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقرّي

كانت صلة الأندلسيين والمغاربة ببيت المقدس مرتبطة غالباً بأسباب دينية معالمها حج البيت الحرام وزيارة المسجد النبوي وطلب العلم، فلا يكاد حاج أو معتمر أو طالب علم يغادر المشرق إلا بعد أن تتكحل عيناه بزيارة بيت المقدس وأكنافه، والتجوال في رحاب المسجد الأقصى وغيره من المزارات الإسلامية والمسيحية هناك، بل إنّ منهم من آثر البقاء في تلك الأرض المباركة حتى وفاته، وأسهم في الحياة العلمية والسياسية هناك حتى غدا من العلماء المشهورين والمبرزين بين المشاركة، ومنهم أبو عبد الله القرشي الهاشمي (ت ٥٩٩هـ) أحد أشهر المتصوفة الأندلسيين الذين تركوا بصماتهم على حركة التصوف في المشرق عامّة وبيت المقدس خاصّة، وقد صلّى عليه بالمسجد الأقصى عند وفاته.

وتشير المصادر التاريخية إلى علماء آخرين من أهل الأندلس والمغرب ممن آثروا مجاورة القدس الشريف حتى وفاتهم، ومنهم على سبيل المثال إسماعيل

---

\* أكاديمية متخصصة في الأدب الأندلسي، وعضو منتدى الفكر العربي (الأردن).

بن محمد الأنصاريّ الأبيذيّ (ت ٦٥٦هـ) وكان قد أمّ في الناس بمسجد الصخرة،  
ويُروى أنه سمع هاتفاً يقول لما خربت القدس:

إن يكن بالشّام قلّ نصيري  
فلقد أثبت الغداة خرابي  
ثمّ خربت واستمرّ هلوكي  
سُمّر العار في جباه الملوك

ومن العلماء المشهورين المعدودين أيضاً، أبو بكر الشّريشيّ المالكيّ  
(ت ٦٥٨هـ) الذي تولّى مشيخة الحرم الشّريف ومشيخة المدرسة بالقدس آنذاك،  
وأبو عبد الله ابن الأزرق (توفي بعد ٨٩٥هـ) الذي تولّى قضاء بيت المقدس، وغيرهم  
ممن لا يتسع هذا المقام لذكرهم، وهو ما يؤكّد المكانة العلميّة والسياسيّة التي  
كانت تتمتع بها بيت المقدس في ذلك العصر، ومقدار ما كان يشعر به القادم من  
مشارك الأرض ومغاربها من حفاوة أهله وتقديرهم وتكريمهم للعلم والعلماء،  
ومدى ما تشعّ السكينة والسّلام في كلّ زاوية من زواياه رغم كلّ المحن والمآسي  
والحروب التي مرّت به.

أمّا من شدّوا الرّحال إلى الأندلس والمغرب من جديد فما كان ذلك  
عن طيب خاطر منهم، ولا لملل أو كلال، لكنّها الأقدار تعيدهم من حيث جاءوا،  
فيتألّمون ويعتذرون ويتوقّون للعودة من جديد وإن بعدت عليهم الشّقة، فهذا ابن  
إفرند المعافريّ المرسيّ يودّع أصحابه المقدسيّين بعد أن طاب مقامه بينهم بيتين  
أنشدهما بين أيديهم:

لئن كان لي من بعد عود إليكم  
وإن تكن الأخرى ولم تك أوبة  
قضيت لبنات الفؤاد لديكم  
وحان حامي فالسّلام عليكم

ومنهم من جدّ في تدوين مذكراته ومشاهداته بعد أن وضع عصا التّرحال في  
بلده، ودون ما رآه من عجائب وغرائب خلال مكوثه في بيت المقدس ولو لأيام قليلة.

وتعدّ مشاهدات الرّحالة الأندلسيّ الشّريف الإدريسيّ (ت ٥٥٩هـ) لما  
زخر به بيت المقدس من تفاصيل تمسّ الإنسان والمكان على حدّ سواء من أهمّ

ما وصل إلينا عن ذلك المكان المقدس في القرن السادس الهجري، وقد دونها في كتابه المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، ففي فلسطين «أزكى بلاد الشام» حسب تعبيره يتهدى بيت المقدس؛ المدينة الجليلة القديمة البناء الأزليّة كما يصفها، على قمة جبل يمكن الصعود إليه من كلّ جانب، وله أبواب عدّة، ومنها باب الرّحمة وباب صهيون، وباب عمود الغراب وباب المحراب الموصل إلى «كنيسة القيامة»؛ «الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الرّوم التي في مشارق الأرض ومغاربها»، ويسترسل في وصف قبّتها التي تشتمل على جميع الكنيسة، وقد عدّها الإدريسيّ من عجائب الدّنيا لما رآه من حسن رونقها وبديع صنعها، واصفًا فتاديلها وصورة المسيح عليه السّلام وأمه ويوحنا المعمدان وعدداً من الأنبياء لم يسمّهم، كما زار المقبرة المقدّسة المعظّمة والكنيسة العظيمة التي يقدّس فيها إفرنج الرّوم، وانبهر بما رآه من إتقان وحسن وإبداع وتنميق، كما زار الحبس ومكان المصلوبيّة - حسب المعتقد المسيحيّ - الموجود في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة من الكنيسة.

وفي الجهة الشرقيّة من هذه الكنيسة يقع المسجد الأقصى الذي وصفه بقوله: « ليس في الأرض كلّها مسجد على قدره إلاّ المسجد الجامع الذي بقرطبة من ديار الأندلس، وفيما يذكر أنّ مسقفّ جامع قرطبة أكبر من مسقفّ الجامع الأقصى، وصحن المسجد الأقصى هو في تربيع طوله مثلاً باع في عرض مئة وثمانين باعاً، نصفه ممّا يلي المحراب مسقفّ بأقبااء صخر على عمد كثيرة صفوفًا، والنّصف الثّاني صحن لا سقّف له، وفي وسط الجامع قبّة عظيمة تُعرف بقبّة الصّخرة، وهذه القبّة مرصّعة بالفصّ المذهب، والأعمال الحسنه من بناء خلفاء المسلمين، وفي وسطها الصّخرة المسماة بالواقعة، وهو حجر مرّبع كالدّرقة في وسط القبّة»، وبعين الجغرافيّ الدّقيقة يقدر لنا حجم هذه القبّة وارتفاعها، والسرداب المظلم أسفلها، ويسمّى الأبواب في جهاتها الأربع؛ المنفتحة على الشّرائع السّماويّة التي تناغمت تحت راية الإسلام في هذا المكان المقدّس، وأبرز معالمها المتقنة الصّنع.

ويعرّج بعد ذلك إلى وصف ما شاهده في رحلته تلك من كنائس ومقابر وأماكن دينية احتضنها الإسلام بحبّ وقبول وانسجام، فكان شاهد عيان لا آثار على أنّ أرض فلسطين وأكنافها التي وصفها في مدوّنته؛ أريحا (ريحا كما كانت تسمّى قديماً) ووادي الأردن وطبرية وبحيرة سادوم وغاموراء (ديار قوم لوط) وبيت لحم ومسجد إبراهيم الخليل ونابلس والرّملة وعمّان والبلقاء والغور وبيسان وعسقلان ويافا وسواها، كانت وما زالت وستبقى الأرض المقدّسة التي بارك الله حولها، كما كان كتابه - بصورة عامّة - شهادة معتبرة عن فترة الاحتلال الصليبيّ لبلاد الشّام يعتمد عليه الباحثون في تأريخهم لأحداث تلك المرحلة من التّاريخ العربيّ الإسلاميّ في هذه البقعة المقدّسة.

كما يعدّ ابن جبّير (ت ٦١٤هـ) من أشهر الرّحالة الأندلسيين الذين التقطوا تفاصيل الحياة النّابضة في بيت المقدس وأكنافه، وعادوا إلى الأندلس يشكّلون فسيّفائها على صفحات قراطيسهم، ويقدمونها حلماً واعدّاً لنفوس تائفة لزيارة ذلك المكان المقدّس ذات وعد، ومن المعروف أنّه قام بثلاث رحلات إلى المشرق؛ أوّلها إبّان الاحتلال الصليبيّ لبيت المقدس وعدد من المدن المجاورة له عام ٥٧٨هـ، لكنّه لم يدخلها، وإنّما مرّ بعكا وصور ونابلس ودمشق وبانياس من بلاد الشّام، وبعد عودته إلى الأندلس عام ٥٨١هـ دوّن مذكراته ومشاهداته وما جرى خلال وجوده من أحداث ووقائع عسكريّة بين المسلمين والفرنجية، ونقل صوراً نابضة بالحياة لتفاصيل الإنسان والمكان الشّاميّ، وملبئة بالتناقضات والعجائب عن علاقة المسلمين بأعدائهم في زمن عنوانه الحرب والقتل والأسر، ولا سيّما في عكا التي كتب عنها يقول: «هي قاعدة مدن الإفرنج بالشّام، ومحطّ الجوّاري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كلّ سفينة، والمشبهة بعظمتها بالقسطنطينيّة، مجتمع السّفن والرّفاق، وملتقى تجّار المسلمين والتّصارى من جميع الآفاق. سككها وشوارعها تغصّ بالزّحام، وتضيق بها مواطئ الأقدام.»

ويسترسل ابن جبير في وصف ما حلَّ بالمدينة من خراب معالم الإسلام بعد أن احتلَّها الإفرنج في العشر الأول من المئة السادسة، «فبكى لها الإسلام ملء جفونه، وكانت أحد شجونه، فعادت مساجدها كنائس، وصوامعها مضارب للنواقيس، وطهر الله من مسجدها الجامع بقعة، بقيت بأيدي المسلمين مسجداً صغيراً، يجتمع فيه الغرباء منهم لإقامة فريضة الصلاة»، وعند محرابه قبر النبي صالح عليه السلام، ووقع في ظنه أن الله حفظ هذه البقعة ببركة هذا القبر. وحملت رحلته تلك عنوانين: «كتاب اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك»، وعنوان آخر هو «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار».

أمَّا رحلته الثانية فجاءت بعد أن حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس بعامين، واستغرقت عامًا واحدًا؛ إذ قفل راجعًا إلى الأندلس عام ٥٨٦هـ، لكن لم تصل إلينا أخبار هذه الرحلة التي لعلها حفلت بالكثير من الصور والمعالم والمشاهد في كل زاوية من زوايا بيت المقدس، وكل ما يمكن العثور عليه قصيدة له هنا فيها صلاح الدين بالنصر «المؤزر» واستعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومطلعها:

أطلت على أفك الزاهرِ      سعود من الفلك الدائرِ

وفيها يقول

فتحت المقدس من أرضه      فعادت إلى وصفها الطاهرِ  
وجبت إلى قدسه المرتضى      فخلصته من يد الكافرِ

ويشير إلى أهمية استعادة بيت المقدس في تأمين طريق الحج:

رفعت مغارم أهل الحجاز      بإنعامك الشامل الهامرِ  
وأمنت أكناف تلك البلاد      فهان السبيل على العابرِ

وأما رحلته الثالثة فكانت إثر وفاة زوجته، فلملم حزنه عليها ويمم وجهه شطر بيت الله الحرام، وبعدها قصد بيت المقدس من جديد، ومنها إلى الإسكندرية التي بقي فيها إلى وفاته عام ٦١٤هـ.

ولعلّ ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) صاحب أهمّ رحلة في العصر الوسيط - كما يرى عدد من المؤرّخين المعاصرين - استوعب من تفاصيل المكان المقدسي وروحه وأحاسيسه ما لم يبيّزه به رحّالة آخر، فبعد أن جاب الآفاق ربع قرن من الزّمان أثر العودة إلى بلاده طنجة ليسكب في الأسماع الغرائب والعجائب في كتابه «تحفة النظار»، فحاول صاحب القلم الرّشيق محمّد بن جزّي الكلبيّ الذي دوّن رحلته عام ٧٥٦هـ أن يطوّع لفته لتسجّم مع ما سمعه من ابن بطوطة عن بيت المقدس؛ أيقونة الشرق السّاحرة، بعد انتهاء الحروب الصّليبيّة، بدءاً من وصف خلّوه من سور يحميه بعد أن قرّر صلاح الدّين الأيوبيّ هدمه إثر موقعة حطين خوفاً من عودة الصّليبيّين واحتمائهم بأسواره من جديد، ثمّ أكمل الظّاهر بيبرس هدم ما تبقى منه للسّبب نفسه، حتّى غدت المدينة مقاتلاً مغواراً يواجه العدو بصدر عارٍ إلاّ من يقين قدسيّته وسموّ معناه وبركة مبناه.

وفي طريقه إلى المسجد الأقصى يحدّثنا عن القناة التي شقّها سلاطين المماليك لتوفير المياه لأهل المدينة وزوّارها بسبب قلّة الآبار وبُعدها عن أماكن سكنهم، وأثنى ثناء طيباً على حسن صنيعهم.

وعلى نهج سلفه الإدريسيّ ينشغل ابن بطوطة بتحديد مساحة المسجد الأقصى وتسمية أبوابه، إلاّ أنّ مسجد قبة الصّخرة هو الذي استحوذ على إعجابه الشّديد في هذه المدينة المباركة، فحاول ابن جزّي أن يطوّع اللغة لترتقي إلى سفر الجمال والبهاء الذي كان عنواناً للمسجد وقبّته والصّخرة التي عرج منها النّبيّ ﷺ إلى السّماء وصفة شبابيكها والمغارة أسفلها، وممّا كتبه في وصف القبة: «وهو من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توفّر حظّها من المحاسن، وأخذت

من كلّ بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يُصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً، محكم الصنعة، وكذلك داخلها، وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورايق الصنعة ما يُعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشي بالذهب، فهي تتلألاً نوراً، وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها».

وكسائر الرحالة المسلمين المنفتحين على الشرائع السماوية بكل حب وتسام وقبول، ما كان له أن يتجاوز عن وصف كنيسة القيامة وغيرها من المزارات الدينية المقدسة عند المسيحيين.

وكما انشغل ابن بطوطة بوصف المكان انشغل كذلك بالإنسان، فحدثنا عمّن لقيهم من أهل العلم والتصوّف الذين اجتمعوا في هذه البقعة المباركة من مشارق الأرض ومغاريبها.

وفي مطلع القرن الحادي عشر الهجريّ تطالعنا رحلة جديدة قام بها رحالة آخر من أهل المغرب، فقد دوّن المقرّي (ت ١٠٤١هـ) في كتابه «نفح الطيب» زيارته لبيت المقدس عام ١٠٢٩هـ بعد رحلة شاقّة رأى فيها من الأحوال ما تشيب له الولدان، وما كادت قدمه تظأ أرضه الشريفة حتّى شدا بقول ابن حجر العسقلانيّ:

إلى البيت المقدس جئت أرجو      جنان الخلد نزلًا من كريم  
قطعنا في مسافته عقابًا      وما بعد العقاب سوى النعيم

وممّا كتبه عن زيارته للمسجد الأقصى وقبة الصخرة: «فلما دخلت المسجد الأقصى، وأبصرتُ بدائعه التي لا تُستقصى، بهرني جماله الذي تجلّى الله به عليه، وسألت عن محلّ المعراج الشريف فأرشدت إليه، وشاهدت محلاً أمّ فيه ﷺ الكرام الهداة، وكان حقّي أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموقّنين، وهو ممّا ينبغي أن تزمزم به الحداة:

إن كنت تسألُ أينَ قدَّ  
فأصخَّ إلى آياته  
أكرمَ بعبدٍ سلَّمتْ  
في حضرةٍ للقدسِ وا  
صَفَّوا وصلَّوا خلفه  
رُحممَّد بين الأنامِ  
تظفرُ بشريكٍ في الأوامِ  
تقديمه الرُّسُلُ الكرامِ  
فاها بعزٍّ واحترامِ  
إنَّ الجماعةَ بالإمامِ

وعاد المقرَّب لزيارة بيت المقدس مرَّةً أخرى أوائل رجب عام ١٠٢٧هـ ليجدَّ العهد بالمحلِّ الذي «على التقوى مؤسس» كما وصفه، وأقام فيه خمسة وعشرين يوماً لإلقاء بعض الدُّروس بالأقصى والصَّخرة المنيفة، كما زار مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ومقامات عدد من أنبياء الله ورسله في رحلته تلك.

لقد كان بيت المقدس مهوى أفئدة الأندلسيين والمغاربة عبر قرون طويلة من الترحال إلى المشرق، ونظروا إليه بعين العاشق المتيم؛ من رحل منهم عنه لم يفارقه الحنين والشوق لزيارته من جديد، ومن أثر منهم البقاء ظلَّ يأنس به حتَّى آخر رمق من حياته، كيف لا؟ ومسجده ثالث ثلاثة تشدُّ الرِّحال إليها بين كلِّ مساجد هذه المعمورة.



## النشر في الوطن العربي .. إلى أين؟

أ.د. خالد عزب\*

كان تكليف اتحاد الناشرين العرب لي بإعداد دراسة عن النشر في الوطن العربي من سنة ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩ عملية مضمّنية وصعبة وشاقة لأي باحث، لكن تُوجُّ هذا المجهود بدراسة توصلت من خلالها لعدد من النتائج المفيدة، فضلاً عن الأرقام التي تنشر لأول مرة. ومما تم التوصل إليه:

على الرغم من أن بعض الدول العربية تمر باضطرابات أو ظروف صعبة إلا أن الحراك الثقافي والنشر بها لم يتوقف، مثل حالة ليبيا، فقد نُشر بها عام ٢٠١٥م، ١٠٠٨ كتاب. وانخفض النشر خلال السنوات التالية حتى وصل عدد الكتب المنشورة بها ٧٦٠ كتاباً. لكن الملفت للنظر هو إقامة ١٥ معرضاً محلياً للكتاب خلال الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩م، وهو ما يؤكد أن مستقبل الكتاب العربي في ليبيا يبقى واعداً بالرغم من كل ما تمر به ليبيا.

على جانب آخر يستحق الصومال وقفة؛ لأنه تحدى كل الظروف، حتى بلغ إنتاج الكتاب به عام ٢٠١٦م، (٢٠١٨) عنواناً، وهو رقم قياسي للصومال، كما تنشط به الآن العديد من دور النشر، ويقدر عددها الآن بـ ٤٩ دار نشر. وبينت الإحصائيات أن حجم السوق السعودي للنشر ٤,٥ مليار ريال سعودي، أي أن نسبة الكتب المترجمة السعودية للعام ٢٠١٨م هي ٢٦,١٨٪ من حجم المنشور في السعودية.

---

\* شغل منصب رئيس قطاع المشروعات والخدمات المركزية بمكتبة الاسكندرية (مصر).

• من الملاحظ تزايد حجم النشر الرقمي للكتب. وغياب أرقام إيداع للكتاب الرقمي أفقدنا الحصول على أرقام دقيقة. وتعد المغرب من الدول القليلة التي لديها إحصاء دقيق للكتاب الرقمي، لكن من الملاحظات أيضاً أنه في عام ٢٠١٨م نشر ٤٥٧ عنواناً باللغة العربية، ١٦٨ عنواناً باللغة الفرنسية و٥٦ عنواناً باللغة الإنجليزية، في المغرب رقمياً.

• تزايد ظاهرة النشر الذاتي للكتب على شبكة الإنترنت، وهذا يعكس عدة عوامل:

- عدم قدرة حراك النشر في الوطن العربي على استيعاب المنتج المعرفي العربي خاصة من الأجيال الجديدة.

- عدم وضوح حقوق المؤلف لدى العديد من الناشرين، وهو أمر تأخذه الأجيال الجديدة على الناشرين، وعدد قليل من دور النشر هي التي - في رأيهم- لديها التزامات واضحة تجاه المؤلفين، يبلغ عدد كتب النشر الذاتي على شبكة الإنترنت في العراق ٦٧٤ عنواناً، وفي مصر ١٨٣٢ عنواناً، وفي السودان ٢٢٧٤ عنواناً، وهذا حصر مبدئي في حده الأدنى وقابل للزيادة.

- عدم وجود أرقام إيداع في الدول العربية للكتاب الرقمي والصوتي، وهو ما يحتاج إلى معالجة.

- إحجام العديد من دور النشر العربية عن نشر إبداعات الأجيال الجديدة على نفقتها، وبدا هذا الأمر بوضوح في الشعر، والرواية، وفي مؤلفات الدراسات الإنسانية، ففي مصر عدد دواوين الشعر المنشورة على نفقة المؤلف تتراوح بين ٦٥% إلى ٨٠% سنوياً عن السنوات من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩م بينما في المغرب ٥٠,٤٥% من الإصدارات الشعرية على نفقة المؤلف.

- تظل الكتب الإسلامية تنمو نمواً بطيئاً سنوياً في السنوات من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩م، مع دخول فاعلين جدد لهذا المجال كالأزهر الشريف عبر مرصد

الأزهر، وإن كانت بعض كتب المرصد لا تحصل على أرقام إيداع، ومجلس حكماء المسلمين الذي يعمل بين أبوظبي والقاهرة والرابطة المحمدية للعلماء التي شهدت ازدهاراً في مطبوعاتها خلال السنوات الخمس الماضية ومؤمنون بلا حدود، بينما تظل الجامعات السعودية تلعب دوراً هاماً في هذا المجال مثل جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فضلاً عن وزارات الأوقاف كوزارة الأوقاف المصرية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، لكن النمو الذي تشهده الكتب الإسلامية يمثل تراجعاً عن القفزات التي شهدتها الكتب الإسلامية في حقبة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، ولا تتوازي مع النمو في حجم نشر الروايات وكتب الدراسات الإنسانية.

- إن وجود برامج محددة وواضحة من قبل الدول لدعم النشر ينعكس إيجاباً على حراك النشر في الدولة، فقد كان عدد الكتب المنتجة في المغرب عام ٢٠١٤ م، ١٤٦٩ كتاب، الآن ونتيجة لبرنامج دعم محدد وواضح من وزارة الثقافة المغربية وصل إلى ٤٢١٩ كتاباً في العام ٢٠١٩ م.

- هناك نمو ملحوظ في النشر في العراق، ولكنه يعتمد على النشر الذاتي، لكن عودة الناشرين العراقيين وفاعلية معرض بغداد للكتاب وعودة الحياة لمكتبات الجامعات العراقية، وظهور جيل جديد من الأدباء والكتاب؛ كل هذا يصب في صالح حراك النشر في العراق، الذي بدأ بصورة خاصة مع طباعة ٣٠٠ عنوان بمناسبة الاحتفال ببغداد عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠١٣ م، وأحدثت هذه الإصدارات حراكاً بعد سكوت لمدى العديد من المؤلفين العراقيين، فضلاً عن عودة دور النشر الحكومية. لكن يظل العراق أكثر الدول العربية المرشحة بقوة إلى العودة لحراك النشر العربي، كما أن نشاط اتحاد الناشرين كان فاعلاً ومساعداً على هذه العودة، ولكن العراق في حاجة إلى:

- مقاومة ظاهرة تزوير الكتب للحد منها.
- تخطّي تقادم المطابع ونقص مهارات عمال المطابع.
- تجاوز نقص مهارات تصميم وإخراج الكتاب.
- ما يميز العراق هو وجود إحصاءات دقيقة لتفاصيل حراك النشر، وهو ما يجعل واقع النشر جيداً وواعداً.
- من أكبر معضلات النشر في فلسطين المحتلة عدم وجود مكتبة وطنية، فعدد من دور النشر الفلسطينية لا تشارك في معارض كتب وليس لديها قوائم كتب، وتعتمد حركة النشر في فلسطين على الأردن، ويبلغ مجمل ما نشر في فلسطين في الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩م ٣١٨٤ عنواناً، وتعتمد دور النشر الفلسطينية على توزيع الكتب بنسبة ٧٠٪ وبنسبة ٣٠٪ على نشر الكتاب الفلسطيني، وكانت وزارة الثقافة الفلسطينية نشرت عدداً من الكتب، لكنه نشر لا يوازي ما كانت تصدره منظمة التحرير الفلسطينية ولا مركز الدراسات الفلسطينية الذي تواري دوره في هذا المجال.
- تعاني دور النشر السورية بشدة خلال السنوات من ٢٠١٥ إلى ٢٠١٩م، فقد كان متوسط عدد العناوين التي تصدرها أي دار نشر سورية من ٤٠ إلى ١٠٠ عنوان سنوياً، والآن متوسط العناوين من ٢٠ إلى ٤٠ عنواناً في أفضل الظروف، مع تراجع النشر الحكومي السوري أيضاً. وتصدر سوريا في الوقت الراهن في أحسن الأحوال ألف عنوان سنوياً، وهو رقم لا يتناسب مع كون دمشق أحد مراكز النشر العربية الهامة.
- بالرغم من زيادة أعداد الكتب المطبوعة في الوطن العربي، إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن أعداد الكتب المطبوعة في كل طبعة خارج (الرواية) يتراوح بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ نسخة، بل هناك طبعات لكتب لا تتجاوز ٢٠٠ نسخة، ويعود هذا لسببين:

- تقنيات الطباعة تحت الطلب التي تتيح للناسر طباعة أقل عدد من النسخ لقياس مدى استجابة تسويق الكتاب، وهذا عامل إيجابي.
- تراجع الطلب على الكتب خارج نطاق التزويد من المكتبات أو الطلب على موضوعات بعينها، وهذا عامل سلبي.
- في حين أن الطبعة الاقتصادية لأي كتاب يجب ألا تقل عن ألفي نسخة، مع الأخذ في الاعتبار كذلك أن ألفي نسخة تتيح للناسر توزيع الكتاب على منافذ التسويق بصورة جيدة.
- تعدد ظاهرة دور النشر العربية التي تعمل بين أكثر من دولة عربية، وهي ظاهرة بدأت بين القاهرة/بيروت، ثم الكويت/القاهرة (دار سعاد الصباح) والآن دار التنوير: بيروت/القاهرة/تونس، والشبكة العربية: السعودية/بيروت، وجداول: السعودية/بيروت، والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: الدوحة/بيروت، وتمدد هذه الظاهرة إيجابي، إذ نجد تأثيرها الإيجابي في انتشار عدد من المؤلفين المغاربة عبر بيروت (المركز الثقافي للكتاب) الذي يعمل بين الدار البيضاء/بيروت، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود التي تعمل بين الرباط/بيروت.
- حدث تطور في حركة النشر في الخليج العربي، إذ رأينا مثقفين من الحراك الثقافي الخليجي يؤسسون دور نشر، وهذا ما انعكس على تنوع الكتب المنشورة وطرحها موضوعات جديدة على حراك النشر الخليجي.
- ما زالت الشارقة تمثل قوة دافعة للنشر في منطقة الخليج، من حيث إقامتها هيئة الشارقة للكتاب ومنطقة حرة للكتاب وجوائز الكتب، وبرامج دعم صناعة الكتب أو ظهور فاعلين جدد في حراك النشر، مثل معهد الشارقة للتراث، كما أنها تمثل أكبر ناسر للكتاب العربي في الإمارات العربية المتحدة. وبدأت بعض دور النشر الدولية تعمل من الشارقة قبل أوستن ماكولي البريطانية التي تنشر باللغتين العربية والإنجليزية.

- تعد ظاهرة تعدد المعارض في الدولة من الظواهر الإيجابية التي تترك أثرها على حراك النشر في الدولة، وكانت هذه الظاهرة واضحة في الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي - الشارقة) والمملكة العربية السعودية (الرياض - جدة - القصيم) وكان معرض القصيم الذي أقيم في مدينة بريدة ملفتاً للانتباه في ٢٠١٨ إذ زاره ما يزيد على ٩٥٠ ألف زائر، وشاركت به ٢٠٠ دار نشر واقتنى الزائرون ١,٣٠٠,٠٠٠ كتاب، وهي أرقام جيدة جداً لمعرض وطني، بينما كان العراق من الدول التي حفزت تعدد المعارض بها، وتعد عودة معرض بغداد الذي شارك به ٦٠٠ دار نشر، ومعرض البصرة الدولي الذي شاركت به ١٥٠ دار نشر، ومعرض النجف الدولي الذي شاركت به ١٥٠ دار نشر، ثم معرض كربلاء وشاركت به ٧٠ دار نشر، فضلاً عن معرض أربيل الدولي الذي له مكانة خاصة، فقد شاركت به ٣٠٠ دار نشر،... فهذه المعارض تحدّد تؤكد حيوية حركة القراءة في العراق. وعلى جانب آخر تعددت المعارض في مصر خلال السنوات الخمس الأخيرة، ففي مصر ثلاث معارض دولية الآن هي: القاهرة/الإسكندرية/زايد، بينما لا توجد مدينة كبرى في مصر لا يقام بها معرض للكتاب مثل: دسوق/دمهور/أسيوط/الإسماعيلية/السويس وغيرها.

- إن الرصد يبين أن كلاً من: مصر/لبنان/السعودية/سوريا هي أكثر الدول العربية التي تشارك في معارض إقليمية عربية ودولية، ثم هناك دول أقل مشاركة إقليمياً وعربياً مثل: الكويت/الإمارات العربية المتحدة/المغرب/الأردن/الجزائر/تونس، ثم هناك اشتراك محدود من دول عربية أخرى مثل: العراق/عمان/السودان، ثم هناك حالة شبه غياب أو بمشاركات محدودة جداً مثل: اليمن/جيبوتي/الصومال/ليبيا.

- تعد لبنان ظاهرة تستحق دراسة خاصة مستقلة، إذ إن أرقام النشر في لبنان هي متوسطة بين الدول العربية، لكن صناعة النشر في لبنان صناعة راسخة ثابتة لها تقاليد قوية، فضلاً عن أن مساحة النشر في لبنان تتمتع بهامش حرية أكبر من غيرها من الدول العربية، وهذا أحدث فرقاً في حراك النشر اللبناني، ففضاء النشر في لبنان مفتوح لكافة الكتاب العرب دون قيود أو

- حدود، وهذا ما انعكس على جودة مضمون الكتاب اللبناني، فضلاً عن جودة إخراجهِ وطباعته، و أتاح للكتاب الصادر من لبنان مساحة عربية تعطي انطباعاً بحجم إنتاج أكبر من الأرقام الواردة في الدراسة.
- إن أزمة النشر في الوطن العربي تأتي بصورة أساسية من خلل منشأه، وقلة عدد المكتبات العامة في الأحياء والمدن والقرى، وبالتالي انعدام التزويد من الناشرين بالكتب. وسياسات التزويد والمكتبات العامة قضيتان تتعلقان بمستقبل النشر في الوطن العربي يكون أو لا يكون، لذا يجب إقامة مؤتمر بين اتحاد الناشرين العرب والاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم) لطرح العلاقة بين صناعة النشر على مائدة البحث، وطرح قضية قلة عدد المكتبات العامة في الوطن العربي. ومن الممكن أن يكون هذا المؤتمر برعاية ودعم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).
- هناك حاجة ماسة لمشروع عربي لإقامة وتعزيز المكتبات الوطنية في عدد من الدول العربية مثل: جيبوتي/موريتانيا/جزر القمر/السودان/اليمن، سواء عبر البرامج الرقمية للمكتبات أو الكتب أو البنايات. فالمكتبات الوطنية أحد دعائم حركة النشر في أي دولة.
- هناك ضرورة لبناء مشروع ممول من إحدى المؤسسات الراعية للثقافة العربية لإقامة معارض كتب في: جيبوتي/الصومال/موريتانيا/جزر القمر، لمدة ثلاث سنوات متتالية، وهذا ما سيوجد أفقاً جديدة للكتاب العربي ويعزز حركة النشر في هذه الدول.
- ما زالت الترجمة في الوطن العربي في حاجة ماسة إلى مزيد من الدفعات، وبالرغم من الشائع أن الترجمة عبر المؤسسات الرسمية هي التي تمثل الجانب الأكبر من الكتب المترجمة إلى العربية، إلا أن الحقيقة أن دور النشر الخاصة هي التي تقوم بالعبء الأكبر، ومن حيث المضمون فإن الدراسات الإنسانية والأدب هما اللذان لهما الغلبة، وهناك مؤسسات عربية تقوم بالترجمة من وإلى العربية مثل معهد تونس للترجمة الذي نشر إلى الآن ١٣١ كتاباً مترجماً، والترجمة من العربية إلى لغات الأخرى ما زالت بحاجة ماسة

إلى مبادرات قوية، تنظم بيع حقوق التأليف وتسوق لترجمة الكتاب العربي إلى لغات أخرى. أما في مجال ترجمة العلوم التقنية والتطبيقية فإن برنامج الترجمة في جامعة الملك سعود قدم خلال الخمس سنوات (٢٠١٥-٢٠١٩م) عدداً من الترجمات لكتب مرجعية في العديد من الحقول العلمية، وبصفة خاصة في الطب البشري وطب الأسنان وغيرها.

- إن واحدة من أزمات رصد حراك النشر في الوطن العربي هي عدم حرص العديد من المؤسسات العربية الحصول على أرقام إيداع، فهناك جامعات ومعاهد ومراكز بحثية تصدر كتباً دون أرقام إيداع، ولولا رصدها من خلال عدد من المواقع لما أمكن التوصل لأرقام دقيقة لحراك النشر العربي. كما أن بعض دور النشر في العديد من الدول العربية تصدر كتباً دون أرقام إيداع، وبعض هذه الدور أيضاً ليست مسجلة في الاتحادات أو الجمعيات الوطنية كناشرين، خاصة الموجودة خارج نطاق مراكز النشر التقليدية في الدول العربية، وتم رصد هذه الكتب أيضاً في الأرقام الواردة في هذه الدراسة لأول مرة بحصر دقيق تطلب مجهوداً مضاعفاً عن التقارير السابقة، وبالتالي فإن حجم النشر العربي أكبر مما هو ظاهر للعيان. وإذا أضفنا إلى ذلك أن الكتاب الرقمي والكتاب الصوتي لا يحصلان على أرقام إيداع اتضحت لنا إشكاليات رصد وتتبع حراك النشر العربي، ثم يطرح سؤال: هل العرب يقرأون؟ نعم يقرأون. وهذا عكس ما هو شائع، فقد زادت معدلات القراءة خاصة في التسع سنوات الأخيرة، وبالتالي زاد عدد الكتب المنشورة وزاد حجم الإنتاج، ويظهر هذا جلياً في الرواية والعديد من الدراسات الإنسانية خاصة التاريخ وما يقترب منه مثل السير الذاتية.

- تكرار أسماء العديد من دور النشر في الدول العربية، بذات التسمية، وهذا ما يسبب ارتباكاً في حصر وتقييم النشر في المنطقة العربية، ولا يبني علاقات تجارية قوية لهذه الدور، مما يعني غياب التنسيق بين دور النشر العربية في بناء علامات تجارية تساعد على بناء مجالات نشر قوية.

- ومن الظواهر الملفتة في السنوات الأخيرة بروز دور نشر عربية في المهجر، خاصة في فرنسا وكندا، كما اقتحمت دور نشر أجنبية مجال النشر باللغة



العربية من جديد مثل لايدن في هولندا، ولكن تبرز من بين دور النشر دار منشورات المتوسط في ميلانو، التي استطاعت أن تلبى متطلبات المهاجرين العرب في أوروبا وأن يكون لها مساحة من حركة النشر في المنطقة العربية.

وغياب أرقام الإيداع عن مطبوعات العديد من الدول العربية، ظاهرة متكررة في معظم الدول العربية، ومتفاقمة في بعضها منذ زمن، مثل اليمن، ليبيا، الصومال، السودان، وهذا يعني أن حجم النشر في الوطن العربي أكبر مما كان مرصوداً في كل التقارير المنشورة من ذي قبل، ولا يساعد هذا على بناء بيليوغرافيا عربية للنشر.

أعداد الكتب المنشورة في الدول العربية (٢٠١٥-٢٠١٩)					
عدد الكتب المنشورة					الدولة/السنة
٢٠١٩	٢٠١٨	٢٠١٧	٢٠١٦	٢٠١٥	
٢٩٦٨	٢٢٤٩	٢٠٦١	١٢٨١	١٤٣٦	الإمارات العربية المتحدة
٣٩٢٠	٢٤٧٧	١٢٥٤	١٩٨٣	١٩٣٦	الأردن
٢٦٥	٢٨٠	٣٧٠	٤٢٠	٣٠١	البحرين
١٥٠٤	١٠٧٤	٣٣١٦	٢٩٢٤	١١٧٧	الجزائر
٨٥٣	١٠١٢	١٣٤٧	١١٨٣	١٠٠٤	السودان
٨١٢١	٤٢٢٠	٢٧٣٠	٢٣٩٠	٣٠٤٢	السعودية
١٣٢٠	٢٠٠٠	١٤٠٩	٨٧٢	٧٤٣	الصومال
٨٤٠٠	٨٢٠٠	٨٠٥٠	٧٩٠٠	٧٦٥٠	العراق
٣٣٠	٣٤٣	٣١٨	١٦٢	٦١٥	الكويت
٤٢١٩	٦٠٠٠	٣٨٣٣	٢٨٠٧	٢٤٤٨	المغرب
٤٩٥	٣٥٥	٢٥٣	٣٣٤	١٣٠	اليمن
٢٧٨٠	٢٢٤٠	٢٠٣٥	٢٢٩١	١٢٩١	تونس
١٠٥٠	١٤٨٠	١١٤٣	٩٨٣	١٢١١	سوريا
٧٦٧	٦٣١	٥٨٨	٤٨٩	٥٠٢	عمان
٨٢٩	١١٠٤	٧٢٠	٢٠٧	٣٥٦	فلسطين
١٠٢٠	٨١١	٦٧٧	٤٨٨	٤١٧	قطر
٧٤٧٩	٨٦١٢	٨٥٣٦	٧٦٢١	٦٤٥٣	لبنان
٧٦٠	٦٢٠	٦٨٠	٧٢٠	١٠٠٨	ليبيا
٢٣٠٠٠	٢٢٠٠٠	٢٤٠٠٠	٢٣٩٠٠	٢٢٥٠٠	مصر
٥٥٠	٥١٠	٥١٠	٤٣٥	٣٨١	موريتانيا

## أعداد الكتب المنشورة في الوطن العربي

السنة	عدد الكتب
٢٠١٥	٥٤٦٠١
٢٠١٦	٥٩٣٩٠
٢٠١٧	٦٣٨٣٠
٢٠١٨	٦٦٢١٨
٢٠١٩	٧٠٦٣٠

## الأدب الرقمي وضبابية الحدود بين المبدع والمتلقي

مجدولين أبو الرّب \*

لطالما كان التّواصل والتّفاعل الاجتماعي حاجة بشريّة طبيعيّة سعى البشر إلى تحقيقها بما تتيحه إمكانيات كل عصر من العصور، ومع تقدّم البشريّة وتطوّر العلوم والمعارف كان يصاحب ذلك التّقدّم تغيّر في الوسائط، فتغيّر فضاء التّواصل بين الناس، و«ظلّ ينتقل تاريخياً من الفضاء المجلسي المباشر (الشفاهي) إلى الفضاء النصي (الكتابي والطباعي) إلى الفضاء السمعي البصري، إلى الفضاء الافتراضي (الرقمي). وفي الفضاء الأخير صار المتواصلون يوجدون في الآن نفسه، ويتبادلون المعلومات والإنتاجات على قدم المساواة ولكلّ أنّ يتفاعل مع غيره بالصورة التي تُبرز امتلاكه المهارات التي تمكّنه من التّواصل والتّفاعل»<sup>(١)</sup>.

وفي كل مرحلة من مراحل تغيّر الوسيط (من الشفاهي إلى الكتابي إلى المرئي والمسموع إلى الرقمي) لم يكن الوسيط أداة للتّواصل والتّفاعل حسب، فقد كان مع مرور الزمن يؤثّر في تشكيل ثقافة الأفراد والمجتمعات، فلم يؤدّ «الوسيط الشفاهي إلا إلى بروز ثقافة واحدة (الثقافة الشفاهيّة). لكن مع ظهور الكتابة برزت الثقافة الجديدة (العالمية) لتسود وتحتلّ مكانة عليا بالقياس إلى الثقافة الشعبيّة التي توارت إلى الخلف لأنها ظلت تعتمد الوسيط الشفاهي. ويمكن قول الشيء نفسه عن الثقافة الجماهيريّة، فإنّ بروزها وانتشارها أدّى

---

\* كاتبة، ومديرة تحرير مجلة «أفكار» التي تصدر عن وزارة الثقافة (الأردن).

إلى طغيانها»<sup>(٢)</sup>، فمع استخدام الوسيط المرئي والمسموع في عصر الإعلام الجماهيري، فإنَّ «ثقافة الصورة» نقلت الثقافة من النخبة إلى عامة الناس، فقوة الصورة بلونها وحركتها ومضمونها لا تتطلب من المتلقي عناء التحليل كما النص، فهي قادرة على توصيل دلالاتها وغاياتها، دون وسيط شفاهي (اللغة المنطوقة) أو كتابي (الكلمة المكتوبة)، وصاحب انتشار الإعلام الجماهيري تقدّم «ثقافة الاستهلاك» لتحلّ مع «ثقافة الصورة» واجهة المشهد، حيث بثّت وسائل الإعلام المرئي والمسموع (التلفزيون والسينما) رسائل الترويج المصوّرة، واستقبلها المشاهدون لتزيد من نزعة الاستهلاك لديهم، وذلك لأنَّ «شدة التغيير في الوسيلة لا بدّ أن تتبعها شدّة مماثلة في تغيير الرسالة نفسها وفي تغيير شروط الاستقبال، ومن هنا يأتي التغيير الثقافى بتحوّله من الخطاب الأدبي إلى خطاب الصورة، ومن ثقافة النص إلى ثقافة الصورة»<sup>(٣)</sup>.

وقد ازدادت قوة تأثير «الصورة» مع التطوّر الهائل في الإمكانيات التقنيّة للحاسوب والشبكة العنكبوتية وشيوع استخدام الوسائط المتعددة بكل أجيالها، وسهولة وسرعة تداول الصور والفيديوهات عبر الإنترنت، فجاء توظيف الصورة في المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي لتكون بمثابة «بلاغة إلكترونية»، فإنّ ما يشاهده الناس على شاشات حواسيبهم أو هواتفهم الذكيّة من صور ومُشاهد سواء كانت صورة أو لوحة فنية أو مقطع فيديو أو فيلمًا سينمائيًا أو أغنية «فيديو كليب» وحتى الدعاية الإعلانية، كلّها تولّد رسائل مُعلنة وأخرى ضمنيّة، يقع المُشاهد/المتلقي تحت تأثيرها القوي حين تخاطب الحواس بما يشبه السحر، فتحقّق له المتعة وتُشبع لديه الميل البشري نحو الفُرجة، بل وتغذيها ليصبح الفرد مستهلكًا نهمًا لما يُعرض على الشاشات المختلفة التي يتعامل معها لساعات طويلة. إنّ «التحوّل في تكنولوجيا المعرفة ليس مجرد تحوّل من تقنية إلى أخرى، بل يعني التحوّل إلى عقل آخر»<sup>(٤)</sup>.

## فرصة للمبدع وفرصة مزدوجة للمتلقى

مع تعميم التقنيات الرقمية، راح الناس يتواصلون ويعبرون عن أنفسهم وواقعهم ويتفاعلون بيسر وسهولة، ووسم عصرُ الرقمية البشرَ بِسماتٍ جديدة نَجَمَ عنها ظواهر نفسية واجتماعية وممارسات وأذواق مختلفة طالت مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية. لقد جاءت الثورة الرقمية في عالم يتسم بالفوضى واللايقين والعشوائية، وساهمت في تعميق «ثقافة الاستهلاك» و«ثقافة الصورة» والميل نحو الفُرجة، وكلها صارت مع مرور الوقت سمات للأفراد والمجتمعات (وإن بدرجات متفاوتة).

في ضوء هذه المعطيات والخصائص التي تسمُ ثقافة العصر الرقمي، ومع استخدام الوسيط الجديد؛ الحاسوب الموصول بالشبكة العنكبوتية، وإنتاج النصوص الرقمية المتفاعلة، أصبح العمل الأدبي الرقمي خاضعاً لأنساق معرفية ونقدية جديدة، وحدثت اختراقات في نظرية التلقي عندما صار المتلقي متفاعلاً ومشاركاً في التأليف، الأمر الذي سيُحدث «تحوُّلاً في شكل القراءة التي ستبتعد عن التابع لصالح قراءة اختيارية تصفحية لا تخضع سوى لرغبات القارئ واهتماماته؛ القارئ المبهور بكل جماليات العرض وييسر البحث والإبحار والوصول إلى المعلومة»<sup>(٥)</sup>.

لقد كان في الثورة الرقمية فرصة للمبدع كي يجرب شكلاً جديداً من الأدب ينصهر في بوتقة انبهاره بإمكانات النص المترابط Hypertext وال«هايرميديا» Hypermedia و«السايبير تكست» cybertext، فأخذ يجرب استثمار هذه الإمكانيات في توظيف شكل جديد من البلاغة التي تثري العمل الأدبي وتزيد من جاذبيته، ومن ناحية أخرى ولأنَّ العصر الرقمي عصر التَّواصل والتَّفاعل، راح المبدع في تجريبه يتواءم مع خطاب عصره في التَّواصل والتَّفاعل مع المتلقى/ المتلقين.

كذلك، كان في الثورة الرقْمِيَّة وتأثيراتها في الأدب فرصةً مزدوجةً للمتلقِي، فالتَّواصل والانخراط مع جماعة والتفاعل معها يعني الخروج من العزلة والقلق، ويُشعر الفرد بالطمأنينة، ويعني أيضًا تحقيق الذات من خلال تأثر الفرد بالآخرين وتأثيره فيهم. فهو بتواصله ودوره كفاعل ومتفاعل في الأدب الرقْمِي الجديد يُشبع حاجاته إلى الاطمئنان والاعتراف والتقدير، ويحقق ذاته التي تتوق للتعبير عنه وعن واقعه، فوجد له مكانًا ومكانة في الأدب الجديد ليغدو متلقياً ومؤلفاً في الوقت نفسه، وفي أفق من الحرية. أمَّا في الفرصة الثانية؛ فإنَّ انخراط المتلقِي في دوره (متلقٍ/مبدع)، ومن خلال إبحاره في النصوص الرقْمِيَّة، يجد فرصة تلبي رغبتة في إشباع نزعة «الفُرجة»؛ بما يتيح النص الرقْمِي من صور ورسومات وفيديوهات وصور متحركة، وكأنَّ شاشة الحاسوب تحلَّ محلَّ شاشة التلفاز، لا سيَّما وأنَّ «نزعة التَّكامل اللوني والصَّوتي والقرائي جعلت مستوى التلقِي مرتبطًا بطبيعة هذا النوع من المادة الثقافية»<sup>(٦)</sup>.

ولا أقصد هنا الانتقاص من قيمة المبدع الرقْمِي أو المتلقِي الرقْمِي، فالتجريب ضرورة لأيِّ تقدُّم في الحياة، وأحترم جرأة مَنْ يخوضون غماره، كما لا أنتقص من قيمة المتلقِي أو أعتبر أن ليس من حقه أن يعبر عن نفسه أو أن يكون مشاركاً في التأليف.

### نصُّ جديدٌ ومتلقٌ مختلف

للنصِّ الرقْمِي الأدبيِّ خصوصيَّة على مستوى الإنتاج وعلى مستوى التلقِي، فالتحوُّلات التي طالت النصَّ الأدبي تؤدي إلى تغييرات في طريقة تلقيه، كما أنَّ مفهوم المتلقِي رقْمِيًّا لم يعد هو مفهوم المتلقِي الورقي/التقليدي، فالمتلقِي الرقْمِي «بات مع الوسيط الجديد قارئًا ومشاهدًا وسامعًا وهو يتفاعل مع النصَّ الأدبي الرقْمِي، هذا القارئ لا يكتفي بمعرفة القراءة، ولكنه يتوسَّل بمعرفته بتقنيات الحاسوب الأساسية لحلِّ المشاكل التي تعترضه في عملية التفاعل مع النصَّ الرقْمِي»<sup>(٧)</sup>، وهذا التلقِي لا يكون بمعزل عن الحالة النفسية للمتلقِي، ومستوى خبرته التقنيَّة والأدبيَّة، فكلاهما تؤثران في إيجابيته.

والمتلقي الرقمي له اشتراطات أهمها أن يلمّ باللغة المستخدمة في كتابة النص الرقمي، وأن يمتلك ثقافة رقمية تمكنه من الإبحار في النص الرقمي بحرية ذاتية يتيحها استخدام النص المترابط/التشعبي، فهذا القارئ يملك حرية اختيار البداية واختيار المسار الذي يسلكه بتنشيط روابط رقمية يختارها بنفسه، وهو يمتلك حرية اختيار. وهنا ينبغي الحديث عن نوعين من التلقي ينبثقان عن وضعيّة (المتلقي/المبدع) وإرادة المؤلف:

### النوع الأول لوضعيّة المتلقي/المبدع:

تختلف مسارات قراءة النص الرقمي من قارئ لآخر، فيكون كل قارئ أمام خيارات حرّة في تنشيط الروابط التي يرثيها، وكل متلقٍ في مسارات إبحاره في النص يكون مُنتجاً لنصّ جديد قام بالمشاركة في تأليفه، ويمكن للمتلقي الواحد أن يكون شريكاً في تأليف النصّ لأكثر من مرّة عندما يختار أن يسلك في كل مرّة مسارات تختلف عن سابقتها. وبهذا يكون متلقياً وفي الوقت نفسه مبدعاً شريكاً في التأليف. فالمتلقي «يبني نصه من خلال روابط إبحاره بين الروابط التي يتضمّنها النص، أي هو المتلقي المبحر الذي يختار بين الروابط العديدة والإمكانات المختلفة التي يتيحها النص، فيشكل نصّاً جديداً من حيث البناء والسيرورة والتشكيل، كما تمليه عليه رغباته وحُبّ استطلاع وفهمه. هذا المتلقي يحقق إبداعه من خلال إسهامه في العملية نفسها حيث لا يبقى مكتفياً بمتابعة النص، بل يبني ويصوغ بطريقته الخاصة وهو ينقر على الفأرة ويتحرّك في جسد النص الذي يقرأه»<sup>(٨)</sup>.

إنّ المتلقي في هذه الوضعيّة، ومهما كان حرّاً في اختيار الروابط التي تكوّن مسارات إبحاره، فهو يعيد ترتيب النص في كل مرّة، لكنه لا يملك حرية التعديل في الروابط أو الإضافة عليها.

## النوع الثاني لوضعية المتلقي/المبدع:

خلال عمل المؤلف على كتابة النص الرقمي وإعداده، يتفاعل مع القراء، ومنهم المتلقي الإيجابي الذي يشارك في التأليف بإضافة أو تعديل على النص الرقمي، ومن الممكن لأكثر من متلقٍ أن يشاركوا في تأليف النص. والمتلقي في هذه الوضعية «يملك مطلق الحرية في الإبداع وذلك حين يشارك هو في كتابة النص حقيقةً، دون أن يكون مقيداً بالاختيار من بين إمكانيات مُتاحة، ونجد مثل هذا المتلقي في النصوص الجمعية، وهي التي تطلب من المتلقي أن يشارك في بناء النص وكتابته»<sup>(٩)</sup>، وتسمى أنواع الأدب الرقمي «تفاعلية» عندما تتم وفق هذه الوضعية.

إن طبيعة النص الرقمي وخاصية الترابط/التشعب، وما يصاحبها من سمات للنص، تفرض فهماً جديداً لعملية التلقي ولطبيعة المتلقي، وهو ما «يتطلب أن نعيد النظر في تسميات طريفي العملية الإبداعية التقليدية وهما: الكاتب، الذي حظي بلقب المبدع على طول الخط، والمتلقي الذي انحصر دوره في هذه التسمية السلبية، لأنه مع طبيعة النص التفاعلي استحق الطرفان لقب مبدع، وللتفرقة بينهما يمكن أن نقول: مبدع ومبدع طريفي، إلا أن طبيعة العملية ستعمل على أن يتحوّل (الكاتب/المبدع) إلى (متلقٍ/مبدع طريفي)، عندما يتفاعل بدوره مع النص في شكله الجديد، ويمكن لهذه العملية أن تتكرر في سلسلة طويلة تشترك فيها أعداد لا نهائية من المبدعين الطرفيين الذين يتحوّلون إلى مبدعين رئيسيين بمجرد اشتراكهم في عملية كتابة النص الذي يظل مفتوحاً أمام آخرين من المبدعين الطرفيين وهكذا»<sup>(١٠)</sup>.

وبهذا، فإن النص الرقمي يخلخل النظرية الأدبية، عندما يكون شرطاً من شروطه التفاعلية انزياح المتلقي عن الهامش، لينفتح على المركز مشاركاً المبدع الرقمي في عملية إنتاج النص الرقمي، فلا يعود الحديث هنا عن مركز (مبدع)، وهامش (متلقي). «إنه تغيرٌ تُرسي معاملة نظرية القراءة من خلال تحرير القارئ من سجن النسق ليصبح مركز العملية النقدية بعدما ظلّ القارئ لحقبة



من الزمن سجين أنساق النص مع البنيوية، بذلك يغادر القارئ موقع القراءة السلبية ويبحث عن مواقع أكثر إيجابية وتفاعلية»<sup>(١١)</sup>.

إن عملية التلقي الرقمي تحمل مضامين إيجابية وأخرى سلبية، فمن إيجابياتها أنها تعكس روح العصر وفلسفة المجتمع؛ فالتلقي الإيجابي المتفاعل يحقق علاقة ديناميّة نشطة بين أفق التجربة الأدبية وأفق الفعلية الاجتماعية؛ وذلك عبر تفعيل الصلة التأثيرية بين الأدب والمجتمع وتعميقها، ويستثير التلقي الرقمي التعددية التأويلية بما يستحضره القراء من خلفياتهم الثقافية والمعرفية عندما تندمج آفاقهم مع آفاق النص الحاضر.

لكن، قد يكون تفاعل الغالبية من المتلقين مبنياً على الرغبة في «التواصل» بالدرجة الأولى وذلك على حساب «مضمون» التواصل، فالمتفاعلون أصناف، فبعضهم لديه الكفاءة في ميدان الأدب والإبداع وبعضهم لا يملكها، وهو ما يجعل الحدود التقليدية بين المبدع والمتلقي ضبابية، ويمكن لهذا أن يقيم مبدأ المساواة بين المبدع ومدعي الإبداع.

ثمّة مسألة أخرى، تتعلّق بالوعي بمنطق ثقافة التكنولوجيا عند مستخدمي الحاسوب بشكل عام، والمتلقي الرقمي واحد منهم، فقد ألفت شبكة الإنترنت مفهومي الزمان والمكان بمعناهما المتعارف عليه، «لفائدة مكان وزمان افتراضيين يحددان البعد الفيزيائي والوقتي لصالح وجود ينصهر فيه هنا والآن لدى سائر المتواجدين في العالم الافتراضي»<sup>(١٢)</sup>، فهؤلاء يقيمون طويلاً في الزمن الافتراضي، فيغرقون في منطق الافتراضي بعيداً عن الوعي بمنطق ثقافة التكنولوجيا، فلا ينظرون إلى التكنولوجيا على أنها تكوين معرفي وعلمي، «وتشكّل هذه الإقامة أنظمة جديدة في العلاقات والحياة والمشاعر، وباتت تشكل منطقاً للتفكير والتأويل وإحداث المعنى. لذا، يتراجع منطق الواقع في تدبير تفكير الذات، ويتقدّم منطق الافتراضي ليشكّل عين الرؤية لدى الأفراد والمجتمعات. لكن العين إن بقيت خارج الوعي بمنطق ثقافة التكنولوجيا، فإنّها قد تنزاح عن البعد الوظيفي لهذا المفهوم الجديد، فيأتي مُنجزها شبيهاً بلا وعيها... كل تأخر معرفي وعلمي للتكنولوجيا يساهم في ضبابية عين الرؤية»<sup>(١٣)</sup>.

لقد اصطبغت ثقافة المجتمع في العصر الرقمي بسمات خاصة، يتقاسمها أفراد المجتمع، ومنهم المؤلف والمتلقي وحتى الناقد، فأصبح العمل الأدبي الرقمي خاضعاً لأنساق معرفيّة ونقدية جديدة، وحدثت اختراقات في نظرية التلقي عندما صار المتلقي متفاعلاً ومشاركاً في التأليف.

## الهوامش

- سعيد يقطين: الثورة الرقمية والإبداع: التحديات والآثار (من أجل رؤية عربية)، من أوراق ملتقى الشارقة للسرد، الدورة السادسة عشرة، الرواية التفاعلية- الماهية والخصائص، (١٧-١٩)/٩/٢٠١٩، عمّان، الأردن.
- المرجع السابق.
- عبدالله الغدامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٥، ص٢٥.
- حنا جريس، الهايبرتكست عصر الكلمة الإلكترونية، كتاب العربي، (٥٥)، الكويت، ٢٠٠٤، ص١٤٦.
- ياس خضير البياتي، الأدب الرقمي.. أدب المستقبل، موقع العرب، مقال إلكتروني، ٣٠-١١-٢٠١٦. <https://alarab.co.uk>
- رسول محمد رسول، نقد العقل التعارفي، جدل التّواصل في عالم متغير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢٠.
- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية- نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٨، ص٢٠٠.
- د. إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث. دار الهدى للطباعة والنشر/ دار الأمين للنشر والتوزيع، عمان الأردن/ رام الله، فلسطين، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص٢٨٥.
- المرجع السابق، ص٢٨٦.
- عبد القادر شارف، مستقبل النص الإبداعي على شبكة الإنترنت، Cybrarians Journal، العدد ٣٩، أيلول/سبتمبر ٢٠١٥.
- عمر زرقاوي، الكتابة الزرقاء: مدخل إلى الأدب التفاعلي، كتاب الرافد، العدد ٥٦، دولة الإمارات، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ٢٠١٣، ص١٥٤.
- محمد أسليم، قراءة في كتاب «تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث» تأليف: إيمان يونس، موقع محمد أسليم، الإصدار الثالث، غشت/ آب ٢٠١٢. [http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=list&cat\\_id=14](http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=list&cat_id=14)
- زهور كرام، الأدب الرقمي والانزياح المضاعف، القدس العربي، ٢٠١٧-٥-٢١. <https://www.alquds.co.uk>

## بماذا خدمت مواقع التواصل الاجتماعي؟

رلى هاني السماعيل\*

يتفق معي كثيرون بأن الثورة التكنولوجية الحديثة ألقت علينا رهقاً، وفرضت علينا أن نعيش في عالم افتراضي تأثيره مباشر وكبير على حياتنا اليومية من كافة النواحي. وبات الآن من الواضح أن هذه المنصات أصبحت تميل نحو التحكم في الأفراد والمجتمعات، بهدف تغيير النمط الفكري، ومن أجل التحكم بالعقل والسلوكيات والانفعالات كهدف أساسي غير معلن، وأما في ظاهرها، فهي منصات قرّبت الناس من بعضهم بعضاً، وعززت على التواصل الاجتماعي والترفيهي.

ثم نتساءل: لماذا في وقت التقارب التكنولوجي عمّت الفوضى المجتمعية، وزاد الغضب وانتشر الخوف الذي يولّد السخط ويعزز الكراهية؟  
لذا باتت المعرفة بحقيقة العالم الرقمي الافتراضي ضرورية، لأن الجهل عبء على المجتمعات كلها.

كان أول انتشار للمواقع الافتراضية وبشهرة كبيرة في بداية الألفية الثانية، عندما أطلقت أول منصة افتراضية للعموم في عام ١٩٩٧، أما شهرتها فكانت في عام ٢٠٠٠ حينما انتشرت المنصات الافتراضية مثل الفيسبوك والواتساب واليوتيوب بشكل واسع حول العالم، حيث يقدر نسبة مستخدمي الإنترنت عالمياً بـ ٣,٥ بليون مستخدم لعام ٢٠٢١ آخذين بعين الاعتبار أن عدد سكان الأرض هو ٧,٧ بليون شخص، وذلك بحسب موقع عالمنا في البيانات.

---

\* صحافية وكاتبة أردنية متخصصة في شؤون حوارات الأديان والمصالحة المجتمعية (الأردن).

إذا أجرينا دراسة تاريخية وسياسية سريعة منذ بداية الألفية الثانية، وهي الفترة التي بدأت فيها هذه المواقع بالانشار السريع والكبير، نجد أنها خدمت سياسات هدامة هدفها التفرقة والزعزعة ونبذ الآخر والشرذمة، أكثر مما يحمل اسمها من التقارب الاجتماعي، وذلك من خلال أذرعها (منصّاتها) المتعددة، حيث بذكاء مطلق خصصت كل منصة من المنصات الافتراضية لتستهدف فئة عمرية محددة.

فالفيسبوك مثلاً، بعد أكثر من اثنتي عشرة سنة من توفره كمنصة اجتماعية، يُعرف الآن بأنه منصة "كبار العمر" أي الفئة العمرية من ٣٠ سنة وما فوق، لذلك له خصوصية معينة في التحكم. أما منصة توتير فتعرف بأنها المنصة السياسية، أي تلك التي يرغبها القادة وأصحاب القرار والمؤثرون اجتماعياً وسياسياً كونها تستوجب إيصال الرسالة والمعلومة القصيرة الذكية بوضوح وصراحة وسرعة بأقل الكلمات (١٤٠-٢٨٠ حرف في التغريدة الواحدة). وأما انستجرام وسناب شات فهي منصات تجمع كافة الفئات العمرية كوسيلة ذكية لتجميع صور المشترك عن حياته الخاصة قبل العملية، وفي كل الحالات، وفي كل الأماكن التي يرتادها المشترك، فبتنا نعيش مع المشتركين في أفراحهم ورحلاتهم وعزاءاتهم، وبتنا نتنقل معهم في البيت، وندخل خصوصية غرف النوم، ونرى الغالبية في كل أنواع الحالات حتى في ملابس النوم. والغالبية تتراكم لعرض صور عائلاتها من دون حدود أو احترام لخصوصية نفسها أو عائلاتهم، وكأنه سباق لعرض الذات الفارغة التي باتت الصورة النمطية للإنسان المعاصر.

وأما التطبيق الأخطر برأيي الشخصي في هذه المرحلة - كوننا لا نعلم أية أنواع من التطبيقات التي سنشهدتها قريباً - فهي التيك توك، التطبيق الصيني، الذي يعتمد على الفيديوهات أو مقاطع مصورة قصيرة غالبيتها تعتمد على الإثارة الجنسية، الأمر الذي دفع عدة دول حول العالم لمنع استخدامه منها الهند وباكستان، وذلك لتأثيره المباشر السيء على الفئة العمرية التي يستهدفها هذا التطبيق، وهي فئة الأطفال من عمر خمس سنوات إلى أربعة عشرة سنة. بالأساس، هو منصة افتراضية يستهدف الأعمار الصغيرة وبالذات عمر المراهقة التي فيها تتكون شخصية الطفل، وأي تأثير في هذه المرحلة العمرية يترك أثراً

كبيراً أنياً ومستقبلياً على المتلقي من صغار العمر. أما كبار العمر من المشتركين من الفنانين والمشاهير فقد فقد الكثير منهم هيبتهم كونهم يقلدون أصواتاً وحركات «سخيفة» وأحياناً «مضحكة» قليلاً، فباتوا يوجدون في كل مكان ويعملون حركات لا تليق بعمرهم وتكشف عن مراهقة متأخرة، فهم خسروا من كرامتهم فقط لهدف البقاء أمام عيون متابعيهم والتوسع في الانتشار حسب تقديرهم.

فما هو تأثير المنصات الافتراضية المباشر على الفرد؟

بحسب إحصائية نشرت في صحيفة الجوردن تايمز اليومية فإن عدد مستخدمي المواقع الافتراضية في الأردن زادت بنسبة ١١٪ من سنة ٢٠٢١ مقارنة بسنة ٢٠٢١ وبأن عدد مستخدمي المواقع أصبح ٦,٣ مليون.

وبحسب التقرير الذي نشرته صحيفة الغد الأردنية لعام ٢٠٢١ عن مؤسسة "Hootsuite" يصف حالة الإنترنت حول العالم خلال شهر نوفمبر التي بدورها كشفت أن (عدد مستخدمي شبكات التواصل والتراسل الاجتماعي المختلفة في جميع أرجاء العالم قد ارتفع ليسجل خلال شهر (نوفمبر) قرابة ٦,٤ مليار مستخدم نشط..)

فإذا بات هذا أسلوب حياة ومسلك غالبية سكان العالم، ألا يفرض معه نوعاً من العبودية؟ مجرد تساؤل.

قال جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، في الكلمة الرئيسية التي ألقاها في سنغافورة في المؤتمر الدولي «مجتمعات متماسكة» عام ٢٠١٩، قال بأن «الإنترنت ملك مستخدميه» وبذلك اعتراف بحرية الفرد في استخدام التكنولوجيا وفي حريته في الاختيار، مع أهمية أن يدرك الشخص أن لحرية هذه ضوابط تحكمها وأصولاً تحددها، لذا باتت المعرفة ضرورية، إذا لم تكن حتمية، ليعي وليحترم كل فرد في المجتمعات حريته وأبعادها بحيث لا يتعدى على حدود حرية الآخرين. الحرية المنضبطة المسؤولة هي مبتغى الإنسانية، وهي التي ترفع المجتمع وتدعمه في هذه المرحلة بالذات التي نطمح فيها جميعنا إلى الهدوء والاستقرار، والحفاظ على الوثام المجتمعي الذي نعزز به.

أطلق على عالمنا اسم: عالم جديد، وفي عالمنا هذا الدعايات المتوفرة بكثرة في إعلام الانترنت تدفعنا لشراء ما لا نحتاجه في الغالب، ويفرض على الناس كيف يقضون أوقاتهم وأسلوب حياتهم. فالتكنولوجيا تحكمت بوقتنا ويومنا وفقدنا السلام الذاتي والشخصي، لذا أصبحت مساحة الاستقلالية المتاحة منوطة بالشخص نفسه ووعيه وإدراكه لإدارة حياته.

وبالمقابل، بتنا بحاجة إلى أكثر من قوة عسكرية لمواجهة التيارات المضادة التي تحارب السلام النفسي قبل المجتمعي، بتنا بحاجة ماسة إلى نضج ووعي الفرد والمجتمعات بكيفية التعامل مع هذه المنصات الافتراضية لمحاربة خطاب الكراهية والتتّمر وخاصة التحرش الإلكتروني، وغيرها من الممارسات التي تستهلك عاطفتنا ووقتنا وحياتنا.

الضائقة التي يعيشها العالم في العالم الرقمي ولدت الخوف والتوتر، وأصبح الإنسان سريع الغضب والعطب. وأما خطاب الكراهية بكافة أشكاله، الذي يشتهر به العالم الافتراضي، والذي يعرف بأنه المادة المقروءة أو المسموعة التي تثير الغضب والتعصب تجاه فرد أو مجموع من الأفراد، فهو خطاب فيه نوع من النزعة الانعزالية والطائفية، وفيه الكثير من تهميش الآخر.

### فماذا نفع؟

الوهم هو الاعتقاد بأن هذه المنصات وُجدت «للتنفيس»، وبأن مستخدم الصفحات له الحرية بالتعبير والكتابة كيفما شاء، طالما أنه يكتب على صفحته الخاصة. وهذا الاعتقاد خاطئ وخطير، كون «الحرية» المنفلتة من عقالها مؤذية للآخر القريب والبعيد، وتؤدي عادةً إلى المساءلة القانونية إذا لم يدرك المستخدم لمنصات الفيسبوك أو تويتر أو انستجرام أو تيك توك أو غيرها من المواقع الافتراضية بأن مع الحرية الفردية تأتي المسؤولية، وبأن هناك قانون الجرائم الإلكترونية لردع من يتعدى. فالأحداث السياسية العالمية حولنا، إن تبهنا لها، تكون قد وُجدت لإنذارنا. فالديموقراطية المنشودة هي حرية المجتمعات في حدود الرقي واحترام النظام والقوانين واحترام الآخر، وفيها تكون حرية التعبير عادلة خادمة للجميع، لأنني أستطيع أن أقول كل الكلام ولكن ليس كله يُوافق، وليس

كله للنشر كي يُفهم الفكر خطأً، أو أكتب كل الأفكار وليست كلها للبناء، لأن ليس كل ما يُنطق به هو عدل، ولا كل ما يُكتب هو للمصلحة العامة. لذا جاءت مبادرة اجتماعات العقبة، التي دعت إلى الحوار بين الحكومات والمجتمع المدني وقطاع التكنولوجيا، وتهدف إلى الحوار وللعمل بيد واحدة لحماية مستخدمي الانترنت من الذين يسيئون استخدامها ويلحقون ضرراً بالآخرين.

هناك سؤال يتكرر في ذهني وأنا أكتب أو أشرك أو أتصفح المواقع الافتراضية التي اشترك بها وهو: مَنْ خلف الشاشة؟ من خلف الشاشة وأنا أتصفح تطبيق الفيسبوك، أو منصة التيك توك، أو يوتيوب وغيرهم من المنصات المتداولة المشهورة! تساءلت لأنني أعلم كما غيري أن ما نراه مثلاً على شاشة التلفاز هو منظم وغير عشوائي، لأن خلف الشاشة هناك غرفة كاملة التقنية تدعى غرفة التحكم» فيها المخرج والمعدّ وتقني الصوت والصورة وغيرهم من الفنيين، ومنها يطلب من المذيع أن يسأل الضيف سؤالاً محدداً أو يقاطع الضيف بتعليق معين، أو أن يضحك أو يغضب أو يحزن، وإذا أمكن أن ينزل دمعة أو اثنتين .... فالغرفة تتحكم بكل ما نراه أمامنا على الشاشة دون لفت الانتباه لها، وهذا يعكس ذكاء وحرفية وقوة المحطة الإعلامية أو ضعفها إذا كان التصرف غير موقعه أو غير لائق. وهكذا.

الخبرة العملية علمتني أن لا آخذ بمسلمات الأمور، وبأن الشك والنقد مطلب حياتي يومي يؤدي إلى أخذ الحيطة والحذر، وبأن الحرية ليست بأن تطلق العنان للتعبير القاسي والألفاظ السامة أو بالخطاب المليء بالكراهية، وبأن المواقع الافتراضية بالرغم من حسناتها هي ليست للتنفيس على الإطلاق!

وكي لا أتهم بالسوداوية وأنا إنسانة أعرف بحبي للإنسانية وجهدي في نشر المحبة والسلام، فكلنا نعلم بأن ما يراه شخص أبيض هناك من يراه أسود، وهكذا سأسرد الإيجابية في وجود المواقع الافتراضية في حياتنا لأنه في الوقت الذي تسغل المواقع في نشر الكراهية والعنف والشرذمة والتطرف بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة بعضها ببعض، فإن الوعي في استخدام هذه المواقع لنشر المعرفة باستغلالها بالطرق الإيجابية ينعكس أيضاً إجاباً على الفرد والصالح العام.

هناك قاعدة حياتية احترامها هي في أساسها اقتصادية وإنما تستحق أن تطبق في حياتنا اليومية. القاعدة قائمة على مبدأ ٢٠/٨٠ بمعنى إذا كان الجيد هو الغالبية (٨٠٪) فهناك دائماً نسبة (٢٠٪) تفترض أن نفس الأمر غير مناسب أيضاً. فالانترنت والمواقع الافتراضية خدمت التواصل الاجتماعي، والتعارف والتحابب والتقارب، وهناك التعليم في فترة الوباء الذي استمر عبر الانترنت والصفقات، وانتشار المعلومات وغيرها من الأمور المفيدة التي لا يمكن لأحد إنكارها. وإنما إن أدركنا حقيقة هذه المواقع وسبب توفرها للعموم وبسهولة كبيرة وبأنها خدمت أعوان الشر ولا يزال الذين أبدعوا في استخداماتها قبل الآخرين ندرك أن ٢٠/٨٠ هي ليست لصالح العلاقات الإنسانية والبشرية، وبأن علينا توخي الحيطة والحذر وتفعيل الوعي الذاتي بما نشارك ونعجب ونعيد نشر كي نبقى واعين نحافظ على أنفسنا وخصوصيتنا، فمن خلال أشخاص مدركين وفاهمين وعقلاء يتم استغلال هذه المواقع الافتراضية لمحاربة التطرف ونشر الوعي ومكافحة خطاب الكراهية وانتشار الشائعات، ووضع حد للتمتر واغتيال الشخصيات وغيرها، وبالمقابل علينا العمل على تعزيز الحوار البناء الراقي من خلال التقاء الأفراد عبر المجموعات الافتراضية، ونشر تغريدات وفيديوهات وأقوال تروج لحقوق الإنسان والديموقراطية وتعزز المحبة والإخاء والتفاهم.

وفي اعتقادي هناك دور كبير، وجهد جهيد تلعبه شركات الاتصال في هذا الموضوع بالذات، فهي المسيطر الأول والأخير على هذه المواقع، وبإمكانها من خلال تصميم معينة في كافة مواقع وأدوات وسائل التواصل الاجتماعي أن تحدد وتمنع المنشورات التي هدفها البلبلة السياسية والمجتمعية، وتلك التي تفضل النزاع على المحبة والإجماع.

كما أن دورنا الآن أن نبقى أقوياء ولا نرهب أو ننجرف أو نتزعزع، علينا أن نبقى صادقين مع الله ومع أنفسنا ونعكس صدقتنا للعالم؛ عالمنا الذي بات شريراً وشره انتشر على المواقع الافتراضية أصبح أمراً حياتياً عادياً، وهذا أمر مؤسف ومخيف، لذا على كل منا أن يكون شخصية واعية بأن نغربل ما نسمعه وما نقرأه. والأهم أن نصنع الحق في حياتنا، ونتصرف بالحكمة تجاه أنفسنا والآخرين، ونسلك بالتواضع، لأنه بينما تقودنا المعرفة إلى التوازن بالحياة واحترام الإنسان لنفسه قبل الآخر، يجرنا الجهل إلى العنصرية والتمييز، ويعزز الكراهية وبغض الآخر.



## التشكيل البلاغي الحجاجي في نصّ «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي

\* نادية الزقان \*

نظراً للأهمية البالغة لنظرية «بلاغة الحجاج» أو ما يصطلح عليها بالبلاغة الجديدة، في استقراء تراثنا العربي، ارتأيت البحث عن آليات تطبيقها على أثر أحد أبرز أعلام الفكر الأندلسي، وهو ابن حزم الأندلسي، مؤسس المنهج الظاهري<sup>(١)</sup>، وهو الأمر الذي دفعني أكثر لتطبيق هذه المقاربة البلاغية لتحليل نصه وفحص منطق الحجاجي على عمله الأدبي نص «طوق الحمامة»، خاصة ونحن نعلم مدى تأثير إيتوس (صورة الخطيب في النص) الخطيب لإيقاع التصديق بأقواله ضمن خطابه (يربط أرسطو بين قوة الخطاب بصورة المصدر الذي ورد منه)<sup>(٢)</sup>. فما ينبغي أن يسهل مهمة تطبيق المقاربة البلاغية الحجاجية - مقصد دراستنا - على هذا النص، هو الإطار النوعي الذي ينتمي له، فرسالة طوق الحمامة تعتبر من الخطابات المقاصدية ذات البعد التداولي، والتي تعتمد على منظومة الأركان التخاطبية المعروفة المخاطب - الخطيب - الخطاب - السياق، وقد انتهج فيها ابن حزم المنهج الظاهري الذي يعنى بالتراكيب

\* كاتبة وناقدة (المغرب):

(١) الظاهرية: مذهب فكري وفقهي، نشأ في ق ٢ الهجري، يقضي بالتمسك بالقرآن وسنة الرسول وإجماع الصحابة، مع طرح القياس والاجتهاد، بمعنى اتباع القياس الجلي والبراهين الثابتة. تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي. وتعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس.

(٢) د. محمد مشبال. في بلاغة الحجاج ص ١٧٧، والاحالة ل: روث أموسي وكتابها:

La présentation de soi Ethos et identité verbale. Puf.2010. p.17.

اللغوية في فهم الدلالة وإيصال المعنى، وفي الوقت نفسه يوظف المنطق الحجاجي السجالي لإقناع مخاطبه بعفة موضوع الحب، باعتباره شعوراً إنسانياً نبيلاً.

من هنا يكون الإشكال الأساس الذي يمكن الانطلاق منه في هذا الكتاب هو كيفية الكشف عن بلاغة النص النثري عامة وجنس الرسالة - كما أعلن عن ذلك ابن حزم في عنوان كتابه - خاصة، ثم البحث في مكوناتها ومبادئها لتأكيد قدرة مقارنة البلاغية الجديدة على تحليل هكذا نصوص...

ما أهداف له من خلال هذا العرض هو تبيان أن:

- الحجاج هو ما يمكن الخطيب/ المؤلف من إيصال مقاصده.
- بلاغة الحجاج تكمن قوتها في تدعيم كلام الخطيب من جهة، وإقناع المتلقي وإذعانه لما يقول من جهة أخرى.
- التأكيد على أن قيمة تطبيق بلاغة الحجاج في إنشاء النصوص، لا يكون الهدف منها فقط التأثير وبلوغ التصديق، بقدر ما هي إضفاء جمالية أسلوبية أدبية يحتاجها النص ليكون مقنعاً بإمتاع...

وهذا ما يجعلنا نطرح الإشكالية التالية:

ما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي جعلت عمل ابن حزم أكثر بلاغة ضمن هذا النص؟

من المعلوم أن النص يكتسب بلاغته عندما يصبح مقبولاً ومسموعاً وقابلًا للتصديق عند المخاطب، أي عندما يكون الهدف من إنتاجه هو اعتماده فعلاً تواصلياً يروم إقناع المتلقي بصدق ما يخبر به الخطيب/ المؤلف داخل النص، أو في تشبيته في نفس المتلقي ليعمل به فيما بعد، ونحن من خلال هذه المقاربة البلاغية الحجاجية، نسعى إلى القبض على الاستراتيجية الحجاجية التي انتهجها ابن حزم في الإقناع بالنظر في كل آليات النص.

فرسالة «طوق الحمامة في الألفة والألاف» تعد ميداناً رحباً لصيغ حجاجية متنوعة أوردها «ابن حزم» ليغير نظرة مجتمعه لموضوع «الحب» باعتباره موضوعاً شغل الكتاب والفقهاء على مر العصور الزمنية؛ حيث إن منهم من حرّمه واعتبره إثمًا، ومنهم من أحله واعتبره مجسداً في النفس الإنسانية منذ خلق الله آدم، ليأتي صاحب مدونتنا ويحاول طرح مجموعة من الأفكار التي حاولت تغيير تلك النظرة بطابع حجاجي.

فما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي استعان بها ابن حزم الأندلسي حتى يؤثر في المتلقي ويحمّله على الإذعان؟

وهل اختلاف النماذج الخطابية من شعر ونثر يبرز اختلافاً في أسلوب الحجاج وآلياته؟

### عن موقف النص التواصلي

بدأ ابن حزم نصه بوضع صدر لرسالته، يبين لنا فيها بعد البسمة، والدعاء لصديقه الألميري (من بلدة ألميريا)، مقام التواصل الذي هو عبارة عن رد على مكتوب ذلك الصديق - كتابة تحت الطلب - يسأله فيه تصنيف رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه... فارتأى بالتالي أن يبين له المنهجية التي سيتبعها في هذا الإفتاء الوعظي، كأن يورد فقط الوقائع الحقيقية التي حضرها مع نظم الشعر فيما شاهده، وأنه سيلتزم بالوقوف على ما صح من القول، مخالفاً أخبار الأعراب المتقدمين، مقسماً رسالته إلى ٣٠ باباً، ومنه باب لهذا الصدر...

وعليه يكون ابن حزم هنا قد أقر له مذهباً خاصاً في التأليف عما شاع في زمانه، مخالفاً لما كان عليه الحال في الكتابات قبله..

فهل يعني هذا أننا وفق التصنيف الأرسطي لأنواع الخطاب البلاغي - إزاء خطاب مشوري - يروم النصح بما هو نافع والنهي عما هو ضار باعتماد حجة المثال والتمثيل في استقراء الواقع والمستقبل... أم أننا بصدد خطاب يراعي في المقام الأول جمال الصيغة لاجتذاب استحسان المتلقي لتعزيز إذعانه للقيم والأخلاق المسلم بها سلفاً.

يمكننا القول إن هذا النص يقوم على استراتيجية خطابية دفاعية، غايتها الأساس إزاحة الصورة السلبية التي ألصقت بالحب وإحلال صورة إيجابية عنه في ظل شروط دينية وأخلاقية معينة، مع سبر أغوار النفس البشرية ومدى ضعفها أمام هذه الظاهرة الإنسانية.

### الإطار النوعي

عند قراءتنا لهذا المتن، نتبين أن جنس الرسالة تتداخل فيه أجناس خطابية متعددة كالأشعار والأخبار والحكايات، الوقائع، الحكم، الوصايا، المواعظ، الأقوال السائرة، الأقوال المأثورة، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية<sup>(٢)</sup>... وهو ما يبين اجتهاد ابن حزم في تنوع مضمون نصه لتوسيع دائرة التأثير عند المتلقين، على اعتبار الوظيفة التي اقتضاها لهذه الرسالة والمتمثلة في النصح والوعظ والإخبار بما يجوز وما لا يجوز في هذه الظاهرة الاجتماعية والعاطفية النفسية التي لا محيد للإنسان عنها، ولا أدل على تلك الوظيفة ما ختم به رسالته: باب قبح المعصية و باب فضل التعفف،.

ومن الجدير بالذكر أن الوجوه الأسلوبية قد رافقت ذلك التنوع الإجناسي بالتغيير من وظائفها بحسب المقام النصي والنوعي الذي وردت فيه، على اعتبار مميزات وخصوصيات كل نوع.

### الحوارية

إن المقاربة البلاغية لرسالة ابن حزم تدعونا أيضاً التقيد بسياق الحوارية التي هي من سمات الخطاب التواصلي، وفي هذا الإطار ومن خلال ملفوظات المقول الواردة في المتن، أمكننا استقراء صورة ذات الخطيب، فنجده ومنذ الأسطر الأولى لمقدمته يقول: «...بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين - عفا الله عنه - خير ما أبدئ به حمد الله عز وجل - عصمنا الله وإياك - وحمدت الله عز

(٢) محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية، ص: ١٩.

وجل عليه - وكانت مودته لله تعالى - ولقد أثبت الله بيننا - ونحن حامدون شاكرون - رحمه الله - وكلفتني أعزك الله... وقد استمر بمعجمه الديني هذا إلى آخر رسالته، وهذا أكده قوله: «...ومنهما بابان ختمنا بهما الرسالة، وهما باب الكلام في قبح المعصية، وباب في فضل التعفف، ليكون خاتمة إيرادنا وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فذلك مفترض على كل مؤمن»<sup>(٤)</sup>، هذا المعجم الديني الذي يبين أن المتكلم هو رجل دين ومتفقه فيه، أكسب إيتوسه (صورته داخل الخطاب) نوعاً من السلطة التقريرية، خاصة عند استحضار سيرته وسمعته، كصاحب مذهب لا يعترف إلا بسلطة النص الظاهر، الذي لا يقبل اجتهاداً أو قياساً أو تأويلاً، وهو ما كلف به نفسه في النقل للحقائق ولا شيء سواها « والذي كلفتني لا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي... وبحسبي أن أسمى من لا ضرر في تسميته... والاقتصار على ما رأيت أو صح عندي بنقل الثقات...»<sup>(٥)</sup>.

إن هذه الحوارية أيضاً قامت على التصدي لدعوى الخصم وتقويض معتقده، ومن تجلياتها أنه كان يستحضر في خضم كل باب من أبواب رسالته على حوارية صريحة تحتوي المخاطب وتشركه ثم تتواصل معه مباشرة من أجل تحقيق غايات منها: التبصير - الأخذ والعمل بناء على نتائج تجارب سابقة - التنبيه - الوعظ - الإرشاد - النصح... ومن ذلك على سبيل المثال قوله في باب الكلام في ماهية الحب: « وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة... وأنت متى أمسكت الحديد بيدك... ومن الدليل على هذا أيضاً أنك...»<sup>(٦)</sup>

(٤) طوق الحمامة ص: ٨ - ٩ - ١٠.

(٥) نفس المرجع والصفحات.

(٦) نفس المرجع ص: ١٢ - ١٣ - ١٤ باب الكلام في ماهية الحب.

## تنوع الحجج

لقد نوع ابن حزم من حججه وهو يرتب أبواب رسالته ويفصلها، فنجده قد اعتمد منها ما هو عقلي باعتبار مذهبه الظاهري وما غير ذلك، فبين طيات رسالته يمكننا أن نستشف بعض الحجج التي لها علاقة بأدبية الرسالة في بعدها التخيلي، كالسرد والوصف، لأنه كان واعياً أنه يبني خطاباً على حساب آخر كان مرتكزاً في الأذهان الحب عيب - انتقاص - طابولا يمكن التحدث فيه - ... بل والأكثر من ذلك، فقد اعتمد أساليب جمالية ساهمت في بناء بلاغة نصه وخدمت بنيته الحجاجية، كل ذلك ونحن نحس بجدية الرجل وعزمه في تصنيف رسالة إقناعية تدعم دعوة وتفند أخرى بنوع من الحذر المستشف في آخر أبواب رسالته المعنونة بقبح المعصية وفضل التعفف.

من كل ذلك ندرك أن ابن حزم قد صمم خطاطة إقناعية مترامية الأبعاد، اتبع فيها منهجاً يقوم على الاستدلال والبرهان، بكل الوسائل الممكنة سواء منها العقلية أو تلك التي تروم التأثير في الأهواء أدبياً وجمالياً وأيضاً حضورياً بسلطة الإيتوس، مع العلم أن كل هذه التركيبية يميزها طابع الانسجام والتداخل النسقي الفني الذي لا يمكن فصله إلا لإبراز تشكيلته البلاغية دراسياً فقط، وهذا بعد آخر يمكن الاستدلال به على قدرته في الزيادة على التأثير والإقناع.

## لوغوسية ابن حزم

قال ابن حزم: «أليست الفلسفة موقوفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل»<sup>(٧)</sup>، إذا هذا يعني أنه يتبع منهجاً فلسفياً قائماً على المنطق في استعمال البيان، مستغلاً السياق التاريخي لترسيخ الأمثلة، باعتبارها تقنيات وأدوات حجاجية تدعم القضية المتناولة بالدراسة، وهذا هو الحجج عند Perelman et Tyteca<sup>(٨)</sup>

(٧) محمد أيت حمو، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي، دراسات ومراجعات نقدية للكلام، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. ٢٠١١م ص: ١٩٤.

(8) Chaim Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca. Traité de l'argumentation. Editions de l'université de Bruxelles. 2000.

في بحثهما عن القياس والشاهد وغيرهما من مستلزمات الدرس الحجاجي  
التداولي اليوم.<sup>(٩)</sup>

ومن أمثلة ذلك نورد بعضاً من الحجج شبه المنطقية التي وردت في النص  
كما يلي:

أولاً - حجة التحديد: «القلوب بيد الله عز وجل»<sup>(١٠)</sup>، وهذه الحجة التي  
افتتح بها باب الكلام في ماهية الحب تبين أن النص ينطلق من حكم يورده المؤلف  
ليشكل أطروحة يريد الإقناع بها، ومفاد هذه القاعدة أن الحب ليس محرماً ولا  
هو منكر في الدين ولا محظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله.

ثانياً - حجة التناقض: يقصد بالتناقض وجود قضيتين إحداهما تفند  
الأخرى وتنفيهما وفي ذلك قولة لعلاونة محمد أمين «إن التناقض الصارخ من  
قبيل أبيض/أسود، نادر جداً، فالخطاب الحجاجي قلما يلتجئ إلى الاستدلال  
بالخلف، ولكنه يحتفل احتفالاً واضحاً بعدم الاتفاق إذ يدفع الحجج أطروحة  
ما، مبيناً أنها لا تتفق مع أخرى»<sup>(١١)</sup> وهذا ما نجده في قول ابن حزم الأندلسي:

«ومما يؤكد هذا القول أننا قد علمنا أن المحبة ضرورية فأفضلها محبة المتحابين  
في الله عز وجل إما لاجتهاد في العمل وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذاهب، وإما  
لفضل علم يمنحه الإنسان، ومحبة القرابة ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب  
ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة لبر يضعه المرء عند أخيه ومحبة الطمع في جاه  
المحبوب ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره... وكل هذه الأجناس  
منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها، فآخرة ببعدها حاشى محبة العشق  
الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا الموت»<sup>(١٢)</sup>

(٩) لعلاونة محمد أمين: ٢٠١٨/٠٩/١٠، المظاهر الحجاجية في رسالة طوق الحمامة في الألفة والألاف  
لابن حزم الأندلسي، مجلة البدر، جامعة بشار، العدد ١٧، ص. ١٠٤٠ - ١٠٤٩.

(١٠) طوق الحمامة. ص. ١٠ باب الكلام في ماهية الحب.  
(١١) سامية الدردي، الحجج في الشعر العربي بنياته وأساليبه من الجاهلية إلى القرن الثاني  
للهجرة، عالم الكتب الحديث، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص. ١٩٢.

(١٢) طوق الحمامة ص ١٢-١٣ باب الكلام في ماهية الحب.

لقد حاول ابن حزم من خلال قوله هذا أن يبين أن العشق الصحيح الخالي من كل أنواع المصالح هو أسمى أنواع المحبة وأرقاها، محتجاً على ذلك بمجموعة من القضايا التي أراها أن تكون من قبيل المقابلة بين فكرة أو مجموعة أفكار للوصول إلى نتيجة تكون بمثابة الاستخلاص أو الواقع المسلم به، فالقضية الأولى التي تناولها الكاتب هي تصنيفه لأنواع شتى من المحبة كالمحبة في الله التي عدّها أسمى أنواع المحبة وأفضلها والتي تقوم في نظره على الاشتراك في المذهب والنحلة، ثم محبة القرابة وغيرها من أنواع المحبة، ليناقضها بقضية أخرى تدحضها وتبين سقمها.

إن ابن حزم من خلال عرضه لبعض أنواع الحب وما يترتب عليها من سلبيات (القضية الأولى)، ثم دحضه لهذه الأنواع ومناقضته لها بقضية أخرى (محبة العشق الصحيح) نجده قد ساهم في تدعيم رأيه باستعماله التناقض وعدم الاتفاق كحجة مفحمة، وهذا ما نجده كذلك في قوله:

يُلُومُ رِجَالُ فَيْكَ لَمْ يَعْرِفُوا الْهُوَى      وَسَيَانَ عِنْدِي فَيْكَ لَأَحْ وَسَاكْتُ  
يَقُولُونَ جَانِبَتِ التَّصَاوُنَ جَمَلَةً      وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالشَّرِيعَةِ قَانِتٌ  
فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا الرِّيَاءُ بَعَيْنِهِ      صَرَاخًا وَزِيٍّ لِلْمُرَائِينَ مَا قُتُّ  
مَتَى جَاءَ تَحْرِيمُ الْهُوَى عَنِ مُحَمَّدٍ      وَهَلْ مَنَعُهُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ ثَابِتٌ؟<sup>(١٣)</sup>

تعتبر الحجج التي صاغها ابن حزم الأندلسي بمثابة رد حجة بنقضها، أي أن الشاعر في حاجته لخصومه الذين عدلوه في الهوى ولاموه عن حبه بحجة أن الشرع لا يبيح ذلك، اعتمد في دمج حجتهم على حجة أخرى، كان انطلاقها هي كذلك من الشرع والدين. وتتمثل في استفهامه الظاهر في البيت الأخير من المقطوعة الشعرية...

(١٣) المصدر نفسه. ص ٤٩ باب طي السر.



ثالثاً - حجة التماثل: التماثل نوع من أنواع الحجج شبه المنطقية، يستلزم التعريف بفكرة معينة عن طريق الكلمات التي تصاغ على شاكلتها لفظاً وتختلف دلالة، وللتمثيل على ذلك نورد قول ابن حزم الأندلسي:

وَقَابِلَ أَفَانِينَ الزَّمَانِ مَتَى يَرِدُ      عَلَيكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ وَرُودُهُ  
فَأَشْكَالَهَا مِنْ حُسْنِ سَعِيكَ يَكْفِكَ الـ      يَسِيرٌ يَسِيرٌ وَالشَّدِيدُ شَدِيدُهُ<sup>(١٤)</sup>

هنا المتلقي يميز بين معنيين، معنى حقيقي «اليسير» ومعنى مجازي «يبقى يسيراً» لتحفيز طالب المراتب العليا، الذي مهما صادف في الحياة من مصاعب وعرقلة...، عليه بالثبات والجد والكفاح... ليحصل النجاح، من هنا نجد أن ابن حزم وباستعانتة بالتماثل استطاع أن يدعم رأي الشاعر في البيت الثاني ويترك أثراً عند المتلقي.

رابعاً - حجة التعدية: تعتمد علاقة التعدية على القياس شبه المنطقي، والتي تقضي بأنه إذا كان A في علاقة مع B، و B في علاقة مع C، فإن A في علاقة مع C. ومثال ذلك من رسالة طوق الحمامة ما يلي:

«وإني لأعرف من كان في جيد حبيبته بعض الوقص فما استحسنت أغيد ولا غيداء بعد ذلك، وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة الى القصر فما أحب طويلة بعد هذا»<sup>(١٥)</sup>.

ولتوضيح ذلك نمثله كما يلي:

كان في جيد حبيبته بعض الوقص A      فلا استحسنت أغيد ولا غيداء B  
إذن: لا يحب من ليس في جيدها بعض الوقص C.

تعتبر العلاقة في قول ابن حزم الأندلسي علاقة «اشتمال» ذلك أن المحبوب حين استحسنت حبيبته التي تعاني الوقص الذي هو جزء منها، لم يستحسن من

(١٤) المرجع نفسه. ص ٥٤ باب الإذاعة.

(١٥) طوق الحمامة ص ٣٧ باب من أحب من الوصف.

النساء بعد ذلك غير من لها صفة الوقص تيمناً بها، وله أمثلة أخرى في التعديّة نكتفي بهذا.

من خلال استعماله للحجج الشبه منطقية في رسالة «طوق الحمامة» يؤكد ابن حزم الأندلسي على تمسكه بمبادئه القائمة على الاستعانة بالاستدلال المنطقي، ثم حمل المتلقي على الإذعان حتى ولو كان الموضوع بعيداً كل البعد عن طرق المنطق ومسالكه الوعرة.

كما أن النص يعج بحجج الوصل التي تقوم على علاقة التعاقب، التي تربط الأسباب بالنتيجة، والغاية بالوسيلة، ثم حججاً أخرى تمثل علاقة التعايش وعلاقة المشابهة... بالإضافة الى المسلمات والمقدمات والوقائع والحقائق... المتفق عليها مسبقاً والتي يوردها لتعزيز خطابه، وخاصة وهو يوظف معجماً دينياً بشكل كبير، هدفه إضفاء الشرعية ثم المشروعية لتناوله ظاهرة الحب، وتحقيق الإذعان لأطروحته في كون الشعور بها أمر طبيعي حلال...ومن أمثلة تلك الحجج نذكر:

**حجة السلطة (علاقة التعايش):** لقد أورد ابن حزم في متنه أن أناساً ليسوا من العامة وقعوا في الحب مثل الخلفاء الراشدين وكبار الرجال ودعائم الدولة وكذلك منهم الصالحون والفقهاء.

**حجة الكم (الاتفاق المسبق):** «وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة... كثير» (١٦) - «فأكثر من أن يحصوا...»<sup>(١٧)</sup>، وهنا يربط الأكثر بالأنفع.

**حجة المثال (علاقة المشابهة):** وتتمثل في مجموع القصص والأخبار السردية التي أوردتها حول هؤلاء الخلفاء وغيرهم، الذين وقعوا في الحب، وهي

(١٦) المصدر نفسه ص. ١١ باب الكلام في ماهية الحب.

(١٧) المصدر نفسه ص. ١١ نفس الباب أعلاه.

قصص تستند إلى الواقع، والدليل ربطها بالسند، ومن ذلك قوله « وأنا أدركت بنت زكريا يحيى التميمي المعروف بابن برطال، وعمها كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى وأخوها الوزير القائد، الذي قتله غالب وقائدان له في الوقعة المشهورة بالثغور، وهما مروان بن أحمد بن شهيد، ويوسف بن سعيد العكي، وكانت متزوجة يحيى بن محمد، ابن الوزير يحيى بن إسحاق، فعاجلته المنية...»<sup>(١٨)</sup>

حجة الشاهد (علاقة المشابهة): وهي حين أورد ابن حزم الفتوى التي قدمها ابن عباس رضي الله عنه، حين قال: « هذا قتيل الهوى، لا عقل ولا قود»<sup>(١٩)</sup>، وصاحب هذا الشاهد له سلطة دينية وفقهية عالية.

إن المتعمّن في حجاجية ابن حزم يستشف أنه لا يبيح الظاهرة ولا يحرمها تماماً، بحيث أن تتبع الحجج يجعلنا نلاحظ أنه في كل مرة تحدث فيها عن النساء اللواتي أغرم بكل منهن خليفة أو حاكم، كن زوجات لهم، بل هن أمهات... طروب أم عبد الله... غزلان أم بنيه عثمان والقاسم... صبح أم هشام المؤيد بالله... حمله حبها أن يتزوجها»<sup>(٢٠)</sup>

طوق ابن حزم حجاجي بما هو لغوي / أسلوبى:

ليس الأسلوب سوى رافد من الروافد المساهمة في تشكيل الهوية البلاغية لنص طوق الحمامة، وهو حتماً أحد السبل التأثيرية التي تضمن الإقبال على المعطى التوعوي المنشود<sup>(٢١)</sup>، فمن اليسير تلمّس التنوع في الأساليب اللغوية داخل الطوق، إذ يعتمد ابن حزم على استدعاء من الأساليب ما يتناسب والغايات الحجاجية المنشودة، في مثل توظيف الأسلوب الخبري لتوصيل المعرفة المباشرة،

(١٨) طوق الحمامة. ص. ٨٦. باب الوصل.

(١٩) المصدر نفسه. ص. ١٢. باب الكلام في ماهية الحب.

(٢٠) المصدر نفسه. ص. ١١. نفس الباب أعلاه.

(٢١) لقد سبق أن أكد الجاحظ، أهمية مراعاة المتلقي وما يستحسنه ويروقه من أجل ضمان التأثير فيه: «إذا لم يكن اللفظ رائعاً والمعنى بارعاً لم تصغ له الأسماع ولم تحفظه النفوس ولم تتناقله الأفواه ولم يخلد في الكتب»، أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص ٣٤٦.

تقوم أحياناً بصيغ مباشرة وجاهزة ترد في شكل أمثال وحكم واستشهادات يوردها ابن حزم في شكل مسلمات يقبلها المتلقي ولا يشكك فيها، ثم ترد غالباً في صورة أخبار لا تؤكد فيها، لأنها صادرة عن ذات تعهدت منذ الباب الأول بنقل التجارب والوقائع والحقائق اليقينية التي لا مجال لردها، «وأحياناً تقوم الدعوة على اعتماد الأسلوب الإنشائي، بتوجيه المتلقي باعتماد الأفعال الإنجازية»<sup>(٢٢)</sup>، ومنه النفي الذي بدا متواتراً وبارزاً في هذه الأطروحة، فغذا دوره حجاجياً في عرض المعطيات، فهو كما يقول عنه عبد الله صولة «هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، فقد كان برقسون يرى أن الفكر السالب، لا يكون إلا إذا كان الأمر متعلقاً بمواجهة الغير، أو حين يكون مدار الأمر على الحجاج»<sup>(٢٣)</sup>

### البلاغة الحجاجية للسرد داخل الطوق

#### أولاً - السرد

يقول رولان بارت عن السرد في البلاغة القديمة: «السرد هو محكي الوقائع المرتبطة بالقضية... غير أن هذا المحكي لا يدرك إلا بوصفه حجة... إنه العرض الإقناعي لشيء حدث أو يزعم أنه حدث... وهو وظيفي يحفز للحجاج، ويتضمن نمطين من العناصر: الوقائع والأوصاف»<sup>(٢٤)</sup>، ومن هذا المنظور نجد أن ابن حزم قد اعتمد السرد المتمثل في مجموعة من الأخبار والحكايات من أجل بناء بلاغة رسالته والإقناع بأن الحب هو ظاهرة إنسانية لأن القلوب بيد الله، وأنه يقع لكل الناس، وقد يجيء بغتة دون التخطيط له، مورداً علينا بعض الوقائع التي حدثت حقيقة نذكر منها على سبيل التمثيل «وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو قال:

(٢٢) د. عبد الفضيل ادراوي، بلاغة النص التراثي (كتاب جماعي)، دار العين للنشر، الإسكندرية ٢٠١٣، ص ١٤١.

(٢٣) عبد الله صولة، «الحجاج، أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج» مسيكياني للنشر، تونس، ط ٢٠١١، ص ٣٢١.

(٢٤) الكتاب الجماعي: الشكل والمعنى في الخطاب السردية، مقال د. مشبال، السرد والحجاج ص ٨٧ عن: Roland Barthes. L'ancienne rhétorique : Aide-mémoire . in Recherches rhétoriques Communication.16.ed.Seuil1994 .p.321.

كنت بين يدي أبي الفتح والدي -رحمه الله- وقد أمرني بكتاب أكتبه، إذ لمحت عيني جارية كنت أكلف بها، فلم أملك نفسي ورميت المتاب عن يدي وبادرت نحوها، وبهت أبي وظن أنه عرض لي عارض، ثم راجعني عقلي فمسحت وجهي ثم عدت واعتذرت بأنه غلبني الرعاف»<sup>(٢٥)</sup>، وقس على ذلك مجموع الأخبار المنتشرة في المتن والتي سعى فيها ابن حزم إلى إثبات أحداث وقعت، لم يلفقها، واصفاً مكان الأحداث وذكر الشخصيات معروفاً باسمها ووظيفتها، حتى يضفي المصدقية على سرده، ثم قدم الأخبار المسرودة بأساليب متنوعة (الوصف - الاستفهام - التعجب - التناص) هادفاً كسر أفق توقع القارئ وتحقيق الإمتاع خدمة للإقتناع...

### ثانياً - الوصف

ولما كان من أغراض النص الأدبي القديم اعتماد الوصف في سرد الحكايات والأخبار، فقد ظهر ذلك في وصف المحبوبات اللواتي أفرد لهن «باب من أحب بالوصف» و«باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها»، ومثل ذلك قوله: «دعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية شقراء الشعر، فما استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه، وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت، لا تؤاتيني نفسي على سواه، ولا تحب غيره البتة، وهذا العارض بعينه عرض لأبي -رضي الله عنه- وعلى ذلك جرى إلى أن وافاه أجله»،<sup>(٢٦)</sup> والحديث هنا عن نفسه، أمر يؤطر لحضور ذات المؤلف في الكتابة، فيؤسس بالتالي لبناء صورة الذات داخل المتن لتكون مقنعة بسلطة الإيتوس، وأيضاً تفصح لنا كقراء جزءاً من شخصية ابن حزم الرطبة والنبيلة التي صقلتها تربية القصور وحجر النساء الأندلسيات، فكان الميل للشقراوات، وبالتالي تصديق كلامه المماثل لهوية تربيته وتكوينه<sup>(٢٧)</sup>،

(٢٥) كتاب طوق الحمامة، ص: ٥٣ باب الإذاعة.

(٢٦) نفس المرجع ص: ٢٨ باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها.

(٢٧) دراسة بعنوان «حضور الكاتب في الكتابة»: جريدة العلم: د. عبد العلي بوطيب: بتاريخ

٣ يونيو ٢٠٢١.

والشاهد هو أنه حين استعمل هذا الوصف لم يقدمه بشكل حيادي ومنزه عن التقييم الذاتي، لأنه توخى في المقام الأول إصدار الحكم ودعم دعوته.

### ثالثاً - أسلوب الاستفهام

الهدف العام من صيغة الاستفهام هو الاستعلام عن أمر مجهول، غير أنها في سرد ابن حزم تبعد عن هذا الهدف، حيث إن ابن حزم استخدمه ليجذب المتلقي ويشد انتباهه، ومن أمثلة ذلك «واختلف الناس في أي الأمرين أشد: البين أم الهجر؟ وكلاهما مرتقى صعب، وموت أحمر، وبلية سوداء...»<sup>(٢٨)</sup>، فهنا يطرح السؤال ليس بقصد الاستفسار عن الإجابة لأن ابن حزم يملك الإجابة والتعليل لها، ولكن ليجذب المتلقي وليدفعه للتفكير بهدف إشراكه ثم التأثير عليه.

### رابعاً - أسلوب التناص

«أن يتضمن نص أدبي نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين»<sup>(٢٩)</sup>، من هنا نعلم أن مفهوم التناص يحتوي التضمين والاقتباس والاستشهاد، وابن حزم حاله حال الأدباء استخدم هذا الأسلوب في سرده في مثل:

قال الله تعالى: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾<sup>(٣٠)</sup>، وقال أيضاً في وصف امرأة «أصدق من كدر القطا»<sup>(٣١)</sup>، مأخوذة من قول العرب: أصدق من قطة لأن لها صوتاً لا تغيره... والأمثلة كثيرة في أسلوبية سرد ابن حزم تدل على ثقافته المتنوعة وقدرته في جلب المتلقي للتأثير فيه بنوع من التشويق والمتعة لموضوع مائع يميل القلب للحديث فيه، مما يساعد على انسيابه للعقل بهدف التصديق، ثم تمكن ابن حزم من إثبات أطروحته في تعليقه لظاهرة الحب.

(٢٨) طوق الحمامة. ص ١١٧ باب البين.

(٢٩) الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، ٢٠٠٠، مؤسسة عمون للتوزيع، الأردن عمان، ص ١١.

(٣٠) سورة الكهف، الآية ٤٩، طوق الحمامة. ص ١٦٧ باب فضل التعفف.

(٣١) طوق الحمامة ص ١٥٩ باب قبح المعصية.

## الشعرية في الطوق حجة باتوسية

إن النص السردي القديم - كما هو الحال رسالة طوق الحمامة - يقدم عبرة أخلاقية وفكرية تعليمية وحكمة يمكن استنتاجها، لذلك فهو خادم للبعد الحجاجي، ولا يستقل بذاته بالرغم من المتعة التي حرص ابن حزم على توفيرها للمتلقى باختياره مستوى معين من اللغة أراد بها التأثير الأهوائي المعروفة باستراتيجية الباتوس المناسبة للنصوص الوعظية الإرشادية والتي يمكن التطرق إليها عبر الدراسة التأويلية لشعرية<sup>(٣٢)</sup> طوق الحمامة.

يقول تودوروف « الشعرية تتعلق بالعمل الأدبي سواء أكان منظوماً أم لا، بل تكاد تكون متعلقة على الخصوص بأعمال نثرية»<sup>(٣٣)</sup>، فالكاتب قادر على التعبير بلغة شعرية مستخدماً أدوات شعرية من رمز وانزياح وقص وسرد، تاركاً التأثير الجمالي في نفس المتلقى بالاستعمال غير المألوف للغة: الاستعارة - التشبيه - الكناية - التقديم والتأخير - الحذف...

وقد عرف أسلوب ابن حزم بالسلاسة الشعرية، حيث يقول بعض مؤرخي ابن حزم «أن نثره لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية الجرس والموسيقى والسلاسة والتلقائية والسهولة»<sup>(٣٤)</sup>.

وهذا طبعاً يكون تأثيره إهوائياً / باتوسياً، يليبى ملكة التشويق والإثارة التي يثيرها الحديث في الحب وقصصه وأحداثه، مما يسهل الإذعان للأطروحة التي ينسجها ابن حزم حول موقف الدين من الحب.

(٣٢) «تحدث الشعرية في اللغة من خلال إعادة بناء اللغة بطريقة جديدة، إذ تقوم البنية في اللغة الشعرية على المجاز والصورة والرمز». انظر أبو جهجه، خليل، الحدائث الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢١٧.

(٣٣) انظر تودوروف تزفيتان، الشعرية، ص ٢٣.

(٣٤) انظر «ابن حزم، رائد الفكر العلمي»، شرارة عبد اللطيف. ص ٦٠ - ٦٣.

ويمكن إجمال بعض السمات الأسلوبية لابن حزم بالأمر التالية:  
السمة البارزة في المؤلف كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فسعة ثقافته الدينية واضحة بما انعكست على مته.

ثقافته الفلسفية بارزة في الطوق، إذ يعتمد في تعريفاته على الفلسفة مهتماً بالعلل والمقدمات والنتائج، ثم يمزج بين الفلسفة والنصوص الإسلامية مزجاً بديعاً، كما استشهد بأقوال السلف الصالح ليؤكد ويبرهن صحة ما يقول.

أورد ابن حزم أشعاراً له في الطوق، في مواقف متباينة مما أغنى الكتاب وزاد من قيمته الأدبية، لم يسعنا معها إلا الوقوف على أهميتها الأدبية الجمالية وأكثر، ووظيفتها الأولى هي الإقناع بالدعوة.

وقبل الخوض في تحليل بعض الأمثلة لا بد من التأكيد على أن للوجوه الأسلوبية المختلفة التي يوردها الكاتب وظيفة حجاجية، لأنها تسهم في الإقناع من خلال التأثير على قدرات اتخاذ القرار لدى المستمعين بهدف تغيير قناعاتهم ومن ثم سلوكهم، فبالإضافة إلى ربول الذي لا يسند البلاغية للصور إلا إذا كانت حجاجية، فإن ثمة قولاً آخر لمارك بونوم، يضيف أكثر من وظيفة للصور الأسلوبية ومنها الوظيفة الحجاجية<sup>(٣٥)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك، استخدام ابن حزم الانزياح بنوعيه (التركيبى والدلالي)، وهو دليل صنعته الأدبية التي يود بها التأثير الجمالي في خدمة الحجاجي:

أولاً- الانزياح التركيبي المتمثل في أسلوبين:

التقديم والتأخير: هو أسلوب مثير للمتلقين يدفعه للتفكير وإعمال الذهن حتى يصل للذة الإبداع، «اعلم أعزك الله أن للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً»<sup>(٣٦)</sup>.

(٣٥) مجلة فصول، ع. ٢٠١٨/١٠١، «الحجاج اللساني والحجاج البلاغي»، أبو بكر العزاوي/ مارك

بونوم. ترجمة د. محمد البقالي. ص ٤٠٩.

(٣٦) طوق الحمامة ص ٣٦ باب من أحب صفة...



نلاحظ تقديم خبر أن (للحب) على اسمها (حكماً)، لأن الحب هو محور الحديث.

**الالتفات:** الذي عرفه ابن المعتز «انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى مخاطبة وما يشبه ذلك»<sup>(٣٧)</sup>، وقد أكثر ابن حزم من الالتفات، فنقل الكلام من أحد أساليب التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى أسلوب آخر، في مثل قوله «وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم... وقد علمنا أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين»<sup>(٣٨)</sup>.

**ثانياً – الانزياح الدلالي المتمثل في ثلاثة أساليب هي:**

**الاستعارة:** لقد درس أهل المنطق والفلسفة الاستعارة وعدوها شكلاً بلاغياً تخييلياً له وجوده المستقل عن التشبيه من حيث التركيب والدلالة، كما يعدونها قادرة على التأثير والإثارة بقدر غرابتها وانحرافها عن العادي والمألوف، ومن أمثلتها في الطوق «وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعله واستطارة لهبه»<sup>(٣٩)</sup>، حيث يبين أن للحب ناراً حارقة وصلت لأعلى درجات الاشتعال (تأجج – استعار) فكان للاستعارة قيمة تأثيرية في المتلقي.

**التشبيه:** في الاستعارة يكتفى بذكر أحد طرفي التشبيه المشبه أو المشبه به فحسب، أما التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين جميعاً، ومثال ذلك «تلاحظنا الشمس من بيننا فتتصور بين أدينا كرقاع الشطرنج، الثياب المدبجة، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة، وأنهار متدفقة تساب كبطون الحيات»<sup>(٤٠)</sup>، يصف

(٣٧) البديع ص. ٥٨ لابن المعتز.

(٣٨) طوق الحمامة ص. ١٤٩ باب قبح المعصية.

(٣٩) طوق الحمامة، ص. ١٨ باب علامات الحب.

(٤٠) طوق الحمامة ص. ١٢٥ باب القنوع.

ابن حزم رحلته إلى بستان، فيصف أشعة الشمس من خلال أفنان الشجر على الأيدي كرقاع الشطرنج، تارة بيضاء من الأشعة، وتارة سوداء من الظل، كذلك شبه تدفق الأنهار ببطون الحيات في انسيابها.

**الكناية:** من الأساليب البلاغية التي تحتاج مصرحاً به «المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا ينكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وروده في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه»<sup>(٤١)</sup>، وابن حزم استخدم الكناية استخداماً ذكياً حين قال: «واني أعرف من أهل قرطبة، من أبناء الكتاب وجلة الخدمة، من اسمه أحمد بن فتح، وكنت أعهده كثير التصاون، من بغاة العلم، وطلاب الأدب، يبز أصحابه الانقباض، ويفوتهم في الدعة، لا ينظر إلا في حلقة فضل، ولا يرى إلا في محفل مرضى... فأول خبر طراً علي بعد نزولي شاطبة، أنه خلع عذاره في حب فتى من أبناء الغنائين يسمى إبراهيم بن أحمد، أعرفه لا تستأهل صفاته محبة من بيته خير وتقدم، وأموا عريضة، ووفر تالد، وصح عندي أنه كشف رأسه، وأبدى وجهه، ورمى رسنه، وحسر محياه»<sup>(٤٢)</sup>.

حكى ابن حزم أخلاق هذا الفتى، وصفاته الكريمة بعد ذلك يذكر وقوع هذا الفتى بحب غلام وهو أمر مستنكر دينياً واجتماعياً، لذا عبر ابن حزم عن انتهاك هذا الفتى للضوابط الاجتماعية بكشف الرأس، وإلا فإن كشف الرأس ليس معيباً على أية حال، ولكنه كناية عن مجاهرة الفتى بالرديلة.

(٤١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٦.

(٤٢) طوق الحمامة ص ٥٤ باب الإذاعة.

## إيتوس ابن حزم حجة سلطة

ونحن ندور في فلك طوق الحمامة، نقلبه من جهة الحجج العقلية (اللوعوس) سنغنم ما يشفي غليل المحبين والمحبات في تقويم الفكرة عن ظاهرة الحب باعتباره نتاجاً لأغوار النفس البشرية التي ليس للعقل أمامها إلا التصديق والتقويم، وحين ننظر للتشكيلات البلاغية الشعرية لفن النثر في رسالته، نقف باحترام عند الرمز والانزياح الموظف بعناية تأسر قلوبنا وتدرك أهواءنا جمالياً، فتجعلنا نعمل العقل في تفسيرها لارتباطها بموضوع حساس، يقيم الدنيا ويقعدها في تجلياته وتفصيله، فنصدق بالتالي الأخبار المسرودة والتي بدورها أبدع ابن حزم في تنويع أساليبه فيها من وصف واستفهام وتعجب ثم تناص... دون أن ننسى تضمين الكتاب فقرات جريئة وواضحة الصورة في مثل وصف الخلوة بالمحبوبة في فقرة بباب من لا يحب إلا بالمطاولة<sup>(٤٢)</sup>، لدرجة جعلت ابن صاعد وأبو العباس العريف يقولان «كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج ابن يوسف الثقفي شقيقين» لأنه سليطاً جريئاً، يفضح ولا يخفي... دون أن نغفل ما سعى إليه صاحب الطوق وهو يؤطر نصه بالاستشهادات من القرآن الكريم والحديث النبوي وسلطة الأعلام والشعر.. حتى إنه كان ينظم عند كل باب بعضاً من أبيات منسجمة مع موضوعها، يبدي فيها رأيه...

من كل ما سبق نجد أن طوق الحمامة هو عبارة عن كتلة من التشكيلات البلاغية الحجاجية التي أفصحت لنا إيتوس رجل فقيه ظاهري لا يمكن لنا إلا اعتباره حجة سلطة في حد ذاته، لأنه وظف اللوعوس (الحجج العقلية الموظفة) برؤية تؤثر في الباتوس (الأهواء والانفعالات التي يثيرها في السامع) لبناء الإيتوس (صورة الخطيب كما ظهر في النص)، والجمع بين هذا الثلاثي الذي أورده أرسطو طاليس هو الحجاج بعينه.

توصية: ما تزال ملامح التفكير التداولي/ الحجاجي عند ابن حزم لم تتشكل بعد، ولا بد من تخصيص أبحاث علمية ودراسات فكرية متعمقة، تستنطق النظام الحجاجي والمعرفي لهذه الشخصية، أما ما تفيض به رسالة طوق الحمامة من بلاغة، فذاك قد شكل لي استثارة كبرى تستدعي مني ضرورة العودة إليها آنفاً.

(٤٢) طوق الحمامة ص ٢٥ الفقرة الأخيرة من باب من لا يحب إلا بالمطاولة.

## المراجع المعتمدة

- د. محمد مشبال. في بلاغة الحجاج ص ١٧٧، والاحالة ل: روث أموسي وكتابتها:
- La présentation de soi Ethos et identité verbale. Puf.2010.p.17
- كتاب (المستشرقون) لنجيب العقيقي - دار المعارف ط٢ ج ٣ ص ٩٤٢.
- لكتاب طوق الحمامة. ط. ٢٠٠ لسنة ٢٠١٠ م عن دار الكتاب العربي، بيروت / لبنان، بتحقيق محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف الشيخ.
- محمد أيت حمو، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي، دراسات ومراجعات نقدية للكلام، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. ٢٠١١ م، ص ١٩٤.
- Chaim Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca. Traité de l'argumentation. Editions de l'université de Bruxelles. 2000.
- لعلاونة محمد أمين: ٢٠١٨/٠٩/١٠، المظاهر الحجاجية في رسالة طوق الحمامة في الألفه والألأف لابن حزم الأندلسي، مجلة البدر، جامعة بشار، العدد ١٧ ص. ١٠٤٠ - ١٠٤٩.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص ١٩٢.
- كتاب الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ج٣، ص ٣٤٦.
- د. عبد الفضيل ادراوي، بلاغة النص التراثي (كتاب جماعي)، دار العين للنشر، الإسكندرية ٢٠١٣، ص ١٤١.
- عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج» مسيكيلياني للنشر، تونس، ط. ٢٠١١، ص ٣٢١.
- الكتاب الجماعي: الشكل والمعنى في الخطاب السردى، مقال د. مشبال، السرد والحجاج، ص ٨٧، عن:
- Roland Barthes. L'ancienne rhétorique:Aide-mémoire. in Recherches rhétoriques Communication.16.ed.Seuil1994.p.321.
- دراسة بعنوان «حضور الكاتب في الكتابة»: جريدة العلم: د. عبد العلي بوطيب: بتاريخ ٣ يونيو ٢٠٢١.
- الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، ٢٠٠٠، مؤسسة عمون للتوزيع، الأردن عمان، ص ١١.
- أبو جهجه، خليل، الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢١٧.
- تودوروف تزفيتان، الشعرية، ص ٢٣.
- «ابن حزم، رائد الفكر العلمي». شرارة عبد اللطيف. ص ٦٠ - ٦٣.
- مجلة فصول، ع. ٢٠١٨/١٠١، «الحجاج اللساني والحجاج البلاغي»، أبو بكر العزاوي/ مارك بونوم. ترجمة د. محمد البقالي.
- البديع ص ٥٨.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٦.
- Communication.16.ed.Seuil1994.p.321.

## الهوامش والإحالات

١. الظاهرية: مذهب فكري وفتحي، نشأ في ق ٣ الهجري، يقضي بالتمسك بالقرآن وسنة الرسول وإجماع الصحابة، مع طرح القياس والاجتهاد، بمعنى اتباع القياس الجلي والبراهين الثابتة. تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي. وتعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس.
٢. د. محمد مشبال. في بلاغة الحجاج ص ١٧٧، والاحالة ل: روث أموسي وكتابها:  
La présentation de soi Ethos et identité verbale. Puf.2010. p.17
٣. محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقارنة بلاغية حجاجية، ص ١٩.
٤. طوق الحمامة ص: ٨ - ٩ - ١٠.
٥. نفس المرجع والصفحات.
٦. نفس المرجع ص: ١٢ - ١٣ - ١٤ باب الكلام في ماهية الحب.
٧. محمد أيت حمو، فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي، دراسات ومراجعات نقدية للكلام، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ٢٠١١، ص ١٩٤.
8. Chaim Perelman et Lucie Olberechts-Tyteca. Traité de l'argumentation. Editions de l'université de Bruxelles. 2000.
٩. لعلونة محمد أمين: ١٠/٠٩/٢٠١٨، المظاهر الحجاجية في رسالة طوق الحمامة في الألفه والألاف لابن حزم الأندلسي، مجلة البدر، جامعة بشار، العدد ١٧ ص. ١٠٤٠ - ١٠٤٩.
١٠. طوق الحمامة. ص. ١٠ باب الكلام في ماهية الحب.
١١. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنياته وأساليبه من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، ط ١، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص ١٩٢.
١٢. طوق الحمامة ص. ١٢-١٣ باب الكلام في ماهية الحب.
١٣. المصدر نفسه. ص ٤٩ باب طي السر.
١٤. المرجع نفسه. ص: ٥٤ باب الإذاعة.
١٥. طوق الحمامة ص: ٢٧ باب من أحب من الوصف.
١٦. المصدر نفسه ص. ١١ باب الكلام في ماهية الحب.
١٧. المصدر نفسه ص. ١١ نفس الباب أعلاه.
١٨. طوق الحمامة. ص. ٨٦ باب الوصل.
١٩. المصدر نفسه. ص. ١٢ باب الكلام في ماهية الحب.
٢٠. المصدر نفسه. ص. ١١ نفس الباب أعلاه.
٢١. لقد سبق أن أكد الجاحظ، أهمية مراعاة المتلقي وما يستحسنه ويروقه من أجل ضمان التأثير فيه: «إذا لم يكن اللفظ رائعا والمعنى بارعا لم تصغ له الأسماع ولم تحفظه النفوس ولم تتناقله الأفواه ولم يخلد في الكتب»، أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ج ٢، ص ٣٤٦.

٢٢. د. عبد الفضيل ادراوي، بلاغة النص التراثي (كتاب جماعي)، دار العين للنشر، الإسكندرية ٢٠١٣، ص ١٤١.
٢٣. عبد الله صولة، الحجاج، أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج» مسيكياني للنشر، تونس، ط. ٢٠١١، ص ٣٢١.
٢٤. الكتاب الجماعي: الشكل والمعنى في الخطاب السردي، مقال د. مشبال، السرد والحجاج ص ٨٧ عن:
- Roland Barthes. L'ancienne rhétorique :Aide-mémoire . in Recherches rhétoriques Communication.16.ed.Seuil1994 .p .321.
٢٥. كتاب طوق الحمامة، ص ٥٣ باب الإذاعة.
٢٦. نفس المرجع ص ٢٨، باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها.
٢٧. دراسة بعنوان «حضور الكاتب في الكتابة»: جريدة العلم: د. عبد العلي بوطيب: بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٢١.
٢٨. طوف الحمامة. ص ١١٧ باب البين.
٢٩. الزعبي، أحمد، التناص نظريا وتطبيقيا، ٢٠٠٠، مؤسسة عمون للتوزيع، الأردن - عمان، ص ١١.
٣٠. سورة الكهف، الآية ٤٩، طوق الحمامة. ص ١٦٧ باب فضل التعفف.
٣١. طوق الحمامة ص ١٥٩ باب قبح المعصية.
٣٢. «تحدث الشعرية في اللغة من خلال إعادة بناء اللغة بطريقة جديدة، إذ تقوم البنية في اللغة الشعرية على المجاز والصورة والرمز». انظر أبو جهجه، خليل، الحدأة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢١٧.
٣٣. انظر تودوروف تزفيتان، الشعرية، ص ٢٣.
٣٤. انظر «ابن حزم، رائد الفكر العلمي». شرارة عبد اللطيف. ص ٦٠ - ٦٣.
٣٥. مجلة فصول، ع ٢٠١٨/١٠١، «الحجاج اللساني والحجاج البلاغي»، أبو بكر العزاوي/ مارك بونوم. ترجمة د. محمد البقالي. ص ٤٠٩.
٣٦. طوق الحمامة ص ٣٦ باب من أحب صفة...
٣٧. البديع ص ٥٨ لابن المعتز.
٣٨. طوق الحمامة ص ١٤٩ باب قبح المعصية.
٣٩. طوق الحمامة، ص ١٨ باب علامات الحب.
٤٠. طوق الحمامة ص ١٢٥ باب القنوع.
٤١. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٦.
٤٢. طوق الحمامة ص ٥٤ باب الإذاعة.
٤٣. طوق الحمامة ص ٣٥ الفقرة الأخيرة من باب من لا يحب إلا بالمطاوله.

## أديب صعب في «حيث ينبع الكلام»:

### الشعر الصافي من منابعه العميقة

د. مرغريت غالي\*

في حديث صحافي حول شعره، قال الدكتور أديب صعب: «كُتبت القصيدة الطويلة والقصيدة القصيرة كلتيهما، من غير انحياز إلى أي من هاتين التقنيتين في التعبير. بعضهم يرى قصيدة قصيرة فيحكم سلفاً أنها لا تستطيع أن تقول شيئاً. وبعضهم إذ يرى قصيدة طويلة يحكم سلفاً أنها مجموعة مقاطع مكررة يمكن اختصارها... هناك ما يبرر قصائدي الطويلة والقصيرة. وأجد أن قصائدي الطويلة لا تشكل عبئاً على القارئ، بل هو يطلب المزيد إذ تنتهي. كما أجد أن الكثير من قصائدي القصيرة لا يتوقف عند كلماته. بل تغدو القصيدة بمثابة نافذة مفتوحة على أبعاد لا تنتهي» (جريدة «الأنوار»، الأحد ٢٨ حزيران ١٩٩٨).

وها هي مجموعة أديب صعب الشعرية الجديدة، «حيث ينبع الكلام» (بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٩)، تضم نحو مئة قصيدة قصيرة مع قصيدة واحدة طويلة، بعدما كان رصيده الشعري السابق يضم ثمانين قصيدة طويلة (ثلاث قصائد في مجموعته «أجراس اليوم الثالث» وخمس قصائد في «مملكتي ليست من هذا العالم»)، بينما لا تتعدى قصائده القصيرة الخمس والعشرين في «مملكتي»، إذا استثنينا مجموعته الأولى «قيثارة الضياء» التي لا يشير كثيراً إليها، وعندما يفعل يصفها كـ «مجموعة من قصائد الطفولة».

---

\* دكتورة في الأدب العربي الحديث، أستاذة في الجامعة اللبنانية (لبنان).

### السيمفونية التاسعة: «شوارع المدينة»

يطيب للشاعر أن يسمي قصائده الطويلة «سيمفونيات». وفي حوار قديم مع جريدة «النهار» (الأحد ٢١ شباط ١٩٨٢)، قال رداً على سؤال حول كون القصائد الطويلة في الشعر الحديث نمطاً من الكتابة يمكن الاستغناء عنه لمصلحة القصائد القصيرة، وهي أقرب إلى الغنائية التي فيها جوهر الشعر: «في الموسيقى، لماذا هناك سيمفونيات ومقطوعات قصيرة، وهذه غير تلك؟ ولماذا هناك أوبرا وغنائيات عادية، وهذه غير تلك؟ أتُلغى الوحدة فضيلة الأخرى؟ إنَّ قصائدي الطويلة من نوع السيمفونية في الموسيقى والأوبرا في الغناء».

نعرف أن انطلاقة أديب صعب الشعرية حصلت يوم كانت القصيدة الطويلة سائدة في الشعر العربي مع مجددين أمثال خليل حاوي وأدونيس. هؤلاء تأثروا بالشعر الغربي السائد منذ ثلاثينات القرن العشرين، ونخص بالذكر خليل حاوي الذي تأثر بقصائد ت. س. إليوت وفي طبيعتها «الأرض الخراب». والقصيدة الطويلة في الشعر الحديث تختلف اختلافاً جذرياً عن مطولات الشعر العربي التقليدي، وبينها «المعلقات». فهذه، على جمالها، تعتمد نظام البيت المستقل، ولا تقتصر بالضرورة على موضوع واحد، ويجوز فيها التقديم والتأخير والحذف هنا وهناك، مما يعني أنها لا تتميز بالوحدة العضوية. أما القصيدة الحدائثية الطويلة فهي بناء عضوي متدرج، يستطيع الشاعر بواسطته أن يفعل ما يفعله الكاتب الروائي أو المسرحي من حيث رسم عالم معنوي متكامل قائم في ذاته.

سيمفونيات أديب صعب السابقة لمجموعته الحالية هي خمس قصائد كتبها بعد ١٩٧٥، وثلاث قبل هذا التاريخ. وإذا كانت تلك السابقة للحرب الأهلية تشير بقوة إليها بل تتنبأ بها كما لا نجد عند أي شاعر لبناني آخر، فالقصائد الثلاث التي تلي تلك السنة الفاصلة - وهي «من جر على شعبي هذا الويل؟»، و«أعطني هذا الغريب»، و«نكروفيليا» - هي أعظم تعبير فني رافق تلك الحرب، ولا شبيه لها، حدة ونسيجاً وعمقاً، سوى أعمال المسرح التراجيدي الكلاسيكية



مع الكاتب الإغريقي سوفوكليس وسواه. ونحن في انتظار إعادة طبع شعر أديب صعب السابق. وقد صرّح أنه أعد تلك القصائد لتصدر قريباً في ما سماه «طبعة جامعية»، تضم، إلى جانب القصائد نفسها، مختارات من المراجعات النقدية التي نُشرت حولها ومن المقابلات الصحافية حول شعره.

سيمفونية الشاعر التاسعة هي قصيدته «شوارع المدينة» في المجموعة الحالية (١٢٣-١٣١). وهي تنتم لقصائده الثلاث التي وُلدت من رحم الحرب. النشيد الأول في هذه القصيدة يحمل نبرة فرح، «منه يطلع الغد الذي يجيء»، والذي يحمل تباشيره «عصفور الحب الأزرق». لكن يليه النشيد الثاني معلناً رحيل هذا الفرح مع العصفور نفسه الذي «حملَ الشمسَ وطار». وإذا بالنشيد الثالث يصوّر شوارع المدينة زمنَ الحرب، حيث «بات يختبئُ الناس خلف الزوايا وخلف الثياب/ حاملين السيوف، لعل عدوّاً يفاجئهم/ صار كلُّ عدوّاً لكلِّ/ باسم آلهة تخنق الحب صارت بلادِي مزرعةً للذئب». وفي صورة ثانية يرى «فتيةً الحيّ شيخاً يجرُّ خطىً مُثقلَةً» وهو يحمل ما ظنه بعضهم قنبلة، فيجربون سلاحهم عليه ويقتلونه، ثم يلقونه «في مزبله» بعد اقتسامهم الخبز الذي كان يحمله لأولاده. وفي صورة ثالثة نرى غلاماً من غلمان الحرب في مواجهة رجل حكيم. وإذ يسأله الغلام عن دينه، يجيبه أنّ دينه «السلام». ومع هذه الصور تعود ذكريات الحرب حيةً، على عنف وألم، لكل من عاشها.

في هذه الصور من النشيد الثالث تتكثف الاستعارات الدينية التي يزخر بها شعر أديب صعب. فقولته: «أعلّي، على إخوتي هؤلاء الصغارِ خَرَجْتُم بِسَيْفٍ/ وليس لنا غيرُ أغنيةٍ وكتابٍ»، يستدعي كلام يسوع، حسب الرواية الانجيلية، للجنود الذين جاؤوا يلقون القبض عليه: «كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي» (متّى ٢٦: ٥٥). ومن كلام يسوع أيضاً عبارة «إخوتي الصغار». أما الغلام الذي وقف يتهمك على الحكيم فيذكرنا كلامه بما تقوله العقيدة الإسلامية عن ملاكي الموت منكر ونكير، اللذين يطرحان على الميت ليلة دفنه أسئلة عن إلهه ونبيه وكتابه ودينه.

وتختصر أجوبة الرجل الحكيم موقفَ صعب الذي عبّر عنه في فلسفته أيضاً: «مَنْ إِلْهَكَ؟ قَالَ إِلْهَكَ/مَنْ، مَنْ نَبِيَّوَك؟ قَالَ: نَبِيَّوَك/دِينُكَ؟ قَالَ السَّلَامُ». وهو وإن لم يلجأ إلى الاستعارات الدينية في شعره لهدف ديني، إلا أنها هنا تحمل أبعاداً خاصة لارتباط تلك الحرب، في جوانب كثيرة، بـ «الدين». ويأتي النشيد الرابع الأخير من سيمفونية صعب التاسعة ليبيني وطناً بديلاً فوق أنقاض الوطن الماضي، حجارته وجه أبيه وأمه، وقصائده وجوه القتلى الأبرياء، «وهي أيقونة تلون الصباح»... لعل قيامه وطن جديد تحصل: «وغداً إن تبسمت مع الضحى شفاه/لا يشبه لكم فهذه الغيوم راحتاه/صعدت من دم أريق في مخادع الصغار في الليالي/حضنت منيع الضياء فوق قمم الجبال». إنها قيامه تهض من دم هؤلاء الصغار الأبرياء، أحياء المسيح وأصفياء محمد، لا من أولئك الذين «يدعون الوغد شهيداً والسفاح مسيح» (٥٨).

المفتاح الموسيقي الطاغي على هذه القصيدة هو «فاعلات». ويتفنن الشاعر -وهو بين قلة من أسياذ الوزن الكبار في الشعر العربي الحديث- في استعماله. وتأتي أبيات كثيرة من قصيدته ضمن إيقاع: «فاعلُن فاعلاتُ فاعلاتُن»: «تتمشى شوارع المدينة». ويتنوع عدد «فاعلات» في أبيات القصيدة: «فرح، سمه الربيع: إنه انبعث كون». هنا تتكرر «فاعلات» ثلاث مرات. وهنا ست مرات (بعد «وأي»): «أليس وجه أمي وأبي وطناً/أليس القصائد التي تثارَت على الدروب من رماد قلبي/وطناً؟...».

الهدف المزدوج من الإشارة إلى موسيقية هذا الشعر تنبيه القارئ الملم، والتذكير بأن جانباً رئيسياً من الفن، ومنه الشعر، صناعة. والبنية الفنية في شعر أديب صعب هي ابتكاره المنفرد وصوته الخاص به، الذي لا يستعيره من أحد. لكن عظمة الصناعة هنا أنها لا تعتم على المعنى، بل تضيف إليه، وأن اللغة تتساب بغفوية عجيبة هي من عناصر غنى الشعر حقاً، ومن أسرار هذا الشعر بالذات. وهذا النغم الجديد الذي أدخله صعب إلى الشعر العربي كان قد ظهر معه، بأحد

أشكاله، في قصيدة «نكروفيليا» التي تبدأ هكذا: «بعدما كسا الجبال بالثلوج والسهول بالمرج، قال رَبِّي/قَفْ هُنَا فَأَجْعَلْ السحابَ موطئاً لناظِرِيكَ». وهذا الشكل نجده في ١٩ قصيدة قصيرة من مجموعته الجديدة «حيث ينبع الكلام». وهو، في رأي صعب، يجيد بالشعر العربي الموزون عن الرتابة الموسيقية القاتلة مع مفتاحي «فاعلن» و«فعولن» المترابطين اللذين يطغيان على الشعر العربي الموزون والمنشور منذ ثمانينات القرن الماضي. وقد سمى هذا النغم الأوحد الممل «حمار الشعر العربي الحديث» كما كان الرجز يسمى في القديم (حديث مع جريدة «الأنوار»، ١٩٩٨/٦/٢٨). لكن تبقى أوزان هذه المجموعة متنوعة ببراعة فائقة، حتى تكاد تستنفد المفاتيح الموسيقية في الشعر العربي.

#### القصائد القصيرة: عوالم لا تنتهي

هذا عن قصيدة أديب صعب الطويلة في مجموعته الجديدة، التي سميناه، انسجاماً مع مصطلح الشاعر، «السيمفونية التاسعة». غير أن القصائد القصيرة تشكل معظم محتوى «حيث ينبع الكلام». وهي متفاوتة الطول، إذ تقع كل منها بين الصفحة والصفحات الثلاث. ومن القصائد التسع والتسعين القصيرة في المجموعة، هناك ٦٣ قصيدة بصفحة واحدة لكل منها. تتميز هذه القصائد، أولاً، بتنوع موضوعاتها. وقد وزّعها الشاعر على أقسام. القسم الأول، «شجرة الشعر»، يحوي ٨ قصائد تدور على أسرار الشعر: كيف يولد، وماذا يقول، ولماذا يكتب: «شاعرٌ أنا، وحسبي/ أن أعينَ الوجودَ شعراً» (٢٠)؛ «لستُ أهوى الشعرَ بل أهوى به/ إنه وجهي ومرأةٌ حياتي» (٢٥). القسم الثاني، «تحت خيمة الربيع»، يحوي ١٣ قصيدة حول حركة الزمن، التي يقف فيها الشاعر عند الربيع، «سيد الفصول» كما وصفه في مكان آخر. «إنه الربيع يستفيق في دم العبارة» (٢٢)، وإن كان له «وجهٌ يَشْتَقُ البكاء» (٢٤). القسم الثالث، «هكذا يغيّر الصباحُ دربه»، يحوي ١٦ قصيدة وُلِدَتْ من رحم الحرب التي صنعتها «ألهة»، لكنها تموت» (٥٢)، أولئك الذين «فَقَّأُوا الحُلْمَ في أعينِ الأمهات» (٦٢). القسم الرابع، غابةٌ من

البهاء»، يحوي ١٣ قصيدة يتوغل فيها الشاعر داخل أعماق الروح، مرسخاً تجربته الصوفية التي ربطها الناقد د. جرير أبو حيدر، أستاذ الأدب العربي في جامعة لندن، «بصوفية دوستوفسكي» كما نقرأ على غلاف الكتاب. يقول صعب في إحدى نجاواه التي استمد عنوان كتابه منها: «خُذْنِي/حيث ينبع الكلام من عيون/حيث يزهر الكلام في الشجر/خُذْنِي/ فلقد سَمَّتُ لُغُوهم أولئك البشر» (٨٦). إلا أن صوفيته ليست من النوع الذي يحمل الأجوبة النهائية الجاهزة: «حين سألت الليل كيف يولد العذاب.../جاء الصباح باكياً/بين يديّ باكياً/لا يعرفُ الجواب» (٨٣). لذلك «بكى سماءُ التي تَخُونُ» (٨٠). القسم الخامس، «كل شيء على اسمك»، يحوي ٢٤ قصيدة في الحب، تختلف عن الكثير من شعر الحب، وربما عن معظمه، في بعدها الروحي، لكن ليس على حساب الجمال وما يميز الحب من شغف وعشق. «أتركي الشتاءَ والربيعَ وأتبعيني/أتركي الجميع وأتبعيني/دونَ موعدٍ ودونَ وقتٍ/وخُذني يدي خذي غدي خُذني/بعدَ ذاك حيثُ شئتُ» (٩٦). القسم اللاحق يحوي قصيدة «شوارع المدينة» التي تكلمنا عنها، وهي القصيدة الوحيدة الطويلة في المجموعة. أما القسم السابع، الأخير، فيحوي ٢١ قصيدة كتبها الشاعر وهو دون العشرين، ونشرها هنا للمرة الأولى بعنوان «من دفتر الطفولة». وهو شعر، كما لاحظ أدونيس في مقال كتبه عن مجموعة صعب الأولى «قيثارة الضياء»، «يدهش. إنه يكشف عن موهبة غنية، وعن براعة تقنية في البناء والتعبير، وعن بُعد روحي وفكري». نحن هنا أمام شاعر فتى، يعلن: «أريدُ أن أفتح في كل فضاءٍ بابٌ» (١٥١) ... «طفلٌ أحس أن كل شيءٍ/لي...» (١٥٤). وفي النهاية يعلن الشاعر، ككل شاعر ورسّام وكل فنان أصيل: «ما قلتُ شيئاً بعدُ» (١٧٢).

هنا تأتي الميزة الثانية لهذه المجموعة: قول الكثير جداً في عدد قليل جداً من الكلمات، حتى تغدو كل من هذه القصائد - كما اللوحات ذات الأبعاد المادية المحدودة، ومنها الأيقونات- نافذة أو كوة في جدار هذا العالم، مفتوحة على

اللامحدود واللانهائي. وفي حوار معه أشرنا إليه (صحيفة «النهار»)، لاحظ صعب أنّ «النفَس الطويل ليس في التّطويل». وكان مصطلح «النفَس الطويل» شائعاً في النقد التقليدي من باب إطراء الشاعر الذي يكتب قصيدة من عشرات الأبيات، بل المئات، وقد تدفق كلامه بالوزن والقافية مناسباً من غير تعب. لكن ربّ قصيدة من مئة بيت لا تقول الكثير، وقصيدة من كلمات قليلة تقول ما لا ينتهي، مع العلم أن كلامنا هذا لا ينفي عظمة بعض القصائد الطويلة، كما لا يثبت أي عظمة ضرورية للكثير من القصائد القصيرة.

كنماذج من قصائد أديب صعب القصيرة، هنا قصيدة «بشارة»: «يركض الصباح في الدروب كالبشارة/ تلبسُ الغصونُ وجهه وتبضُّ الحجاره/ إنه الربيع يستفيق في دم العبار» (٢٢). ستّ عشرة كلمة تشكّل صورة بديعة اللون والحركة. الصباح طفل يركض، وعلى وجهه دهشة البشارة، حتى إن أغصان الشجر والحجار تلبس وجهه. اسم هذا الطفل الربيع، يستفيق في الكلام بل يصير الدم الجاري في عروق الكلمات. هي مفردات القصيدة وتفاعلهما تجعل من المحدود غير محدود. هكذا أيضاً في قصيدة «آلهة» (٥٢): «ماجت على دروبنا الخائفة/ تقتع الأشجار والبيوت/ جبارة أعتى من العاصفه/ آلهة لكنها تموت». أربع عشرة كلمة تجعل الدروب خائفة إذ تقتع كل شيء في طريقها. إنهم «أمراء الحرب»، كما كانوا يُسمّون، آلهة العواصف والدمار والموت... لكن أيّ آلهة، وهي «آلهة تموت»، في حين أن الإله، بطبيعته، لا يموت؟ نحن هنا أمام غنى في الصور والأفكار والمواقف، انطلاقاً من هذه الكلمات القليلة نحو اللانهاية. وهكذا أيضاً في قصيدة «تحت الجسور» (٢٩): «همسٌ بعيدٌ وخيوطٌ فجر/ تطل من نافذة في الفضاء/ وفي المدى تحت الجسور تجري/ أحلامنا الزرقاء/ تلون السماء». ثماني عشرة كلمة ترسم نافذة مفتوحة على مدى بعيد يأتي منه همس وخيوط تحمل ألوان الصباح، فيما الأحلام، إذ تسبح فوق صفحة الماء، تلون السماء بزرققتها. وهكذا، في: «خريطة» (١٧)، «كانت الأرض غناء» (١٩)، «النور ابتهاج» (٢٩)،

«طائرُ حُبِّ» (٣١)، «وجه التاريخ» (٥٤)، «ميراث» (٦٦)، «حين سألتُ الليل» (٨٣)، «قوس النصر» (٩١)، «اتركي الجميع واتبعيني» (٩٦)، وفي كل قصيدة بلا استثناء مهما قلَّ عدد كلماتها، أجنحة تحلّق بنا نحو لانهاية يغدو فيها كل قارئٍ صانعاً لعالم بل عوالم بلا حدود. لكن الشرط أن يكون القارئ ذا بصيرة، إذ «خيولُ الشمس لا تبصرها غيرُ العيون المبصرة» (١٩).

ثمة عبارات قليلة يمكن أن نستلّها من قصائد بعض الشعراء ونقف أمامها قائلين: «هذا هو الشعر». ونضيف: لو لم يكن في كل الشعر، على تنوع لغاته وأزمته وأمكنته، سوى هذه الكلمات، لكانت كافية لاختصار كل ما هو شعر. أديب صعب يتقف بين قلة من الشعراء الذين نجد أنفسنا منصتين إلى شعرهم، بل إلى مقاطع قصيرة من شعرهم، ونحن نقول: «هذا هو الشعر». من هذه المقاطع: «كيف يأتي بالنور من لم يشاهد/مولدَ الحب أو تجلّي الجمال؟» (١٨). «لستُ أهوى الشعرَ بل أهوى به/إنه وجهي ومرآة حياتي» (٢٥). «إنه الربيعُ يستفيقُ في دم العبارة» (٢٢). «ويطلُّ القمرُ الحاني على عرسٍ، يصير الماءُ نوراً ويصيرُ النورُ ماءً» (٤٣). «ولم يبقَ في الدم غيرُ الفراغ لنحفره في جذوع الشجر» (٥٣). «ولياي الصبرِ طوَالُ وَاَلْ وَاَلْ» (٦٠). «فَقَاوَا الحَلَمَ في أعينِ الأمّهات» (٦٢). «أعجنُ العتمَ بالدمع، أقتاتُ خبزَ الظلام» (٦٣). «وإذا أورتنا الله الشمسَ، أنقدّر أن نجعلها اثنتين؟» (٦٦). «ولقد حملتُ أمةً كسيحةً على سريرٍ» (٦٧). «نوحُ أنا وجئتني سفينةً/نعبر هذا العصر» (٩١). «وتمشين بين الحروف فتسأل من يا ترى من تكون القصيدة؟» (٩٧). «من أين دخلتِ وموصدة كل الأبواب؟» (٩٨). «صارت دروباً إلى الأفلاك تحملنا/هذي الثواني التي كانت تباغتنا» (١١٦). «وهمم المدعون، لا، ليس وهماً/أن تكون الحياة وهماً جميلاً» (١١٨).

ميزة ثالثة لمجموعة «حيث ينبع الكلام»، هي أن كل قصائدها موزونة: معظمها على نمط التفعيلة وبعضها على النمط العمودي. وإذا لاحظنا أن نسبة كبيرة

من بواكير صعب الشعرية (في قسم «من دفتر الطفولة») تجري على النسق العمودي، لأدركنا أنه وجد لاحقاً في نسق التفعيلة ما يركن إليه. لكن يبقى الوزن صفة أكثر منه ميزة إذا كان مفهوم الميزة متصلاً بالامتياز والتميز. وقد أجمع النقاد الذين تناولوا شعر أديب صعب على تميزه في الوزن تميزاً لا تتمتع به كثرة من الشعراء. وعبارة تفردته في محتوى شعره وفي صوته الخاص الذي لا يستعيره من أحد بل يستمدّه من الأصوات الداخلية والخارجية في عالمه الشخصي، يتفرد أديب صعب بين الشعراء في التنوع الغني لأوزانه. وقد أحصينا في «حيث ينبع الكلام» اثني عشر وزناً ما عدا مشتقاتها. يضاف إلى هذه الأوزان الإيقاع أو الوزن الذي أدخله صعب على الشعر العربي الحديث، ومفتاحه «فاعلاتٌ»، كما لاحظنا في الكلام على قصيدة المجموعة الطويلة. هذا التنوع الغني، مع براعة النظم، يبعد الشعر عن الرتابة.

هذه السيادة الوزنية أو الإيقاعية أو الموسيقية التي يتمتع بها أديب صعب لا تؤثر سلباً على الناحية المعنوية في شعره، التي رأينا نماذج مستفيضة منها. وقد أخطأ عدد من دعاة قصيدة النثر، على الأخص في عهدها الأول، في زعمهم أن الوزن والقافية يحدان من حرية الشاعر في التعبير وتحرّي المعنى. ربما انطبق هذا الرأي على بعض الشعر الذي يعتمد الوزن والقافية، لكنه لا ينطبق على المهويين الكبار، وشاعرنا منهم. ثم يجدر ألا يغيب عن بالنا أن الذين يقصرون كتابتهم على قصيدة النثر إما يجهلون الكتابة الوزنية أو لا يجيدونها. وهذا لا يعيب. لكن المعيب هو أن يجعل هؤلاء من محدوديتهم قاعدة لإطلاق أحكام جازمة غير سليمة. إن تقنية صعب المتطورة في صناعة الشعر ترافقت مع غنى معنوي لافت، ومع عفوية لا مثيل لها.

دارت دراستنا لمجموعة أديب صعب «حيث ينبع الكلام» على قصيدته الطويلة، أي سيمفونيته التاسعة، وقصائده القصيرة التي تقارب المئة. ووجدنا أنه أبدع في هذه وتلك. كما برع في تقنيته الشعرية، وأبرز عناصرها الموسيقية، سواء

في القصائد العمودية أو في قصائد التفعيلة، وهي الأكثر، مع تنويعه الإيقاعي وابتكاره إيقاعات لا عهد للشعر العربي بها. وإذ تسجل مجموعته الحالية جديداً، في المحتوى والشكل، على مجموعاته السابقة، لكنها تبقى ضمن خطه الغني بأبعاده الروحية. هذه الخصائص، التي تقتضي في العادة مجموعة من الشعراء لتلبيتها، يلبّيها شاعر واحد في كتاب واحد. في مجموعته الحالية، يؤكد أديب صعب أن صوته الشعري فريد ومتفرد، وأن هذا الصوت نابع كلياً من تجربته الشخصية وصناعته المتقنة وعفويته الصادقة الصافية، وأنه - لكي نستعير شهادة أدونيس - «يقف بين طليعة الشعراء».



## الأمن المائي العربي: الواقع والمحددات

أ.د. حميد الجميلي\*

### مقدمة

يعد شح الموارد المائية في الوطن العربي من أخطر التحديات التي تواجه الأمن المائي والغذائي العربي، ومما يؤكد هذه المخاطر والتحديات حقائق وخصائص اقتصاديات المياه في الوطن العربي.

وبسبب هذه المخاطر والتحديات سوف تواجه الدول العربية ظروفاً مائية وزراعية قاسية خلال العقود القادمة، مما يهدد الأمن الاقتصادي العربيين وبخاصة في حالة عدم قدرة الدول العربية على تأمين الطلب المتزايد على المياه، نظراً لتزايد السكان من جهة، وتزايد الطلب على مياه الري والزراعة والأغراض الصناعية من جهة أخرى.

ومما يزيد من مخاطر وتحديات اقتصاديات المياه في الوطن العربي خلال العقود القادمة تزايد تكاليف توفير الموارد المائية الجديدة.

وتشير توقعات المستقبل حول اقتصاديات المياه في الوطن العربي تحويل جزء من المياه المخصصة للري لاستخدامات المناطق الحضرية في مجالات الصناعة ومجالات الاستخدام المدني، مما سيؤثر سلباً على الأمن الزراعي بصورة عامة والأمن الغذائي العربي بصورة خاصة، لأن المياه هي المحرك الأول للنمو الزراعي.

وإلى جانب اتسام الموارد المائية في الدول العربية بالندرة، حيث تعتبر المنطقة العربية من أكثر مناطق العالم فقراً في الموارد المائية؛ إذ لا يتجاوز

---

\* أكاديمي ومستشار اقتصادي، وعضو منتدى الفكر العربي (العراق).

نصيب الفرد العربي من المياه ٣م٨٠٠ حالياً مقابل ٣م٧٥٠٠ على المستوى العالمي. وتشكل عمليات هدر المياه في الزراعة وفي الاستهلاك المنزلي والتلح ومعدنة المياه الجوفية وتلوث المياه بالصناعات المختلفة، ضغوطاً إضافية على تحديات اقتصاديات المياه في الوطن العربي خلال العقود القادمة.

إن الوضع الراهن لاقتصاديات المياه العربية ستقود دون أدنى شك إلى اختلال عميق في معادلة عرض وطلب المياه والذي ينعكس في ظهور الأزمات المائية في معظم الدول العربية.

ومن المخاطر التي تواجه المسألة المائية في الوطن العربي غياب الإدارة العقلانية للطلب على المياه وغياب التنفيذ الفعلي لاستراتيجية وسياسة مائية قومية طويلة المدى للملاءمة بين الموارد المائية الممكن توفيرها والطلب على هذه الموارد، كما أن غياب ترشيد استخدام المياه في الزراعة العربية يعد عاملاً آخر يهدد مستقبل الأمن المائي العربي.

وعليه فإن إدارة الموارد المائية العربية تشكل أحد جانبي معادلة عرض وطلب المياه التي تزداد أهمية وتعقيداً مع زيادة السكان في الوطن العربي من جهة، ومحدودية الموارد المائية العربية من جهة أخرى.

وعليه فإن تزايد السكان بشكل كبير وتزايد الطلب على المياه مع ندرة الموارد المائية العربية، ومع تزايد المياه الملوثة بشتى أنواع الملوثات، وانعكاس ذلك على المياه العذبة، إضافة إلى مشكلة التصحر، يتطلب النظر الى موضوع اقتصاديات المياه في الوطن العربي نظرة شمولية بعيدة المدى. ومثل هذه النظرة الشمولية تتطلب سياسة مائية تحقق التوازن بين حاجة المجتمع العربي للمياه من جهة وتأمين المياه بالوسائل المختلفة له من جهة أخرى.

ولقد بات من الضروري تطوير استراتيجيات لتنمية المياه وإدارتها بشكل اقتصادي وسليم بهدف التغلب على خاصية ندرة المياه العربية. وما لم يتم تنفيذ مثل هذه الاستراتيجيات سيتعرض الأمن الزراعي بصورة والأمن الغذائي العربي بصورة خاصة إلى تحديات جديدة تهدد الأمن الاقتصادي أكثر مما

يعانيه حالياً من تهديد، بمعنى أن الإنتاج الزراعي العربي سيتعرض لمخاطر جديدة تتمثل في تدهور مساهمة الناتج الزراعي في القيمة المضافة للناتج المحلي الإجمالي.

إن تطوير مثل هذه الاستراتيجيات يتطلب مراجعة جميع برامج استغلال المياه من بنى مؤسسية وأساسية لإدارة المياه، ومراجعة كل القضايا التي تحكم استغلال الموارد المائية مع معدل الجوار.

وعند تحليل اقتصاديات المياه في الوطن العربي ينبغي التأكيد على أن الصراع على المياه في المنطقة العربية هو في الحقيقة صراع حول الوجود العربي وأمنه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

ومن المؤكد أن بحث اقتصاديات المياه في الوطن العربي يتطلب بحث المسألة المالية من خلال ثلاث جوانب، بهدف تحقيق الأمن المائي العربي، وهي:

أولاً: الاستراتيجية المائية.

ثانياً: السياسة المائية.

ثالثاً: الإدارة المائية.

ومما يلاحظ أن المؤسسات والمنظمات المعنية بالمياه في الوطن العربي والندوات والمؤتمرات قد أشبعتنا بالتوصيات والاستراتيجيات دون أن يرافقها تنفيذ فعال للسياسة المائية ولإدارة المائية، لمواجهة المخاطر والتحديات التي تواجه اقتصاديات مياه الوطن العربي بصورة العامة، والتي تواجه الأمن المائي العربي بصورة خاصة.

أهمية دراسة موضوع الأمن المائي العربي

لموضوع المياه أهمية خاصة في الوطن العربي نظراً لندرة (محدودية المتاح منها) وطبقاً للمؤشر الدولي فإن أي بلد يقل فيه متوسط نصيب الفرد

من المياه سنوياً عن ١٠٠٠ متر مكعب يعتبر بلداً يعاني من ندرة مائية، وبناء على ذلك فإن ١٢ بلداً عربياً تقع ضمن فئة البلدان ذات الندرة المائية.

وهذه الندرة في المياه تتفاقم باستمرار بسبب زيادة معدلات النمو السكاني العالية. ويشير تقرير البنك الدولي أن متوسط نصيب الفرد السنوي من الموارد المائية المتجددة والقابلة للتجدد في الوطن العربي (مع استبعاد مخزون المياه الكامنة في باطن الأرض) سيصل إلى ٦٦٧ متراً مكعباً في سنة ٢٠٢٥ بعدما كان ٢٤٢٠ متراً مكعباً في سنة ١٩٦٠، أي بانخفاض بنسبة ٨٠٪. أما معدل موارد المتجددة سنوياً في المنطقة العربية فيبلغ حوالي ٣٥٠ مليار متر مكعب، وتغطي نسبة ٢٥٪ منها عن طريق تدفقات الأنهار القادمة من خارج المنطقة؛ إذ يأتي عن طريق نهر النيل ٥٦ مليار متر مكعب، وعن طريق نهر الفرات ٢٥ مليار متر مكعب، وعن طريق نهر دجلة وفروعه ٣٨ مليار متر مكعب. وتحصل الزراعة المرورية على نصيب الأسد من موارد المياه في الوطن العربي، حيث تستحوذ في المتوسط على ٨٨٪، مقابل ٦,٩٪ للاستخدام المنزلي، و ١,٥٪ للقطاع الصناعي. وقد حدّد معهد الموارد العالمية منطقة الشرق الأوسط بالمنطقة التي بلغ فيها عجز المياه درجة الأزمة، وأصبحت قضية سياسية بارزة خاصة على امتداد أحواض الأنهار الدولية.

ومما يزيد من أهمية دراسة موضوع الأمن المائي التحديات المتنامية التي تواجه حاضر الأمن المائي العربي ومستقبله.

ومن أبرز التحديات، ما يلي:

أولاً: قضية مياه نهري دجلة والفرات وكيفية حل ما هو قائم حالياً بين تركيا وسوريا والعراق من جهة، وبين كل من سوريا والعراق من جهة أخرى.

ثانياً: مطامع إسرائيل في المياه العربية، وارتباط هذه المطامع بخطط إسرائيل التوسعية والاستيطانية في الأراضي العربية في نهر الأردن وروافده ونهر اليرموك ويناابيع المياه في الجولان، وأنهار الليطاني والحاصباني والوزاني في لبنان. إضافة إلى سرقة إسرائيل للمياه الجوفية في الضفة الغربية وقطاع غزة لمصلحة مستوطناتها الاستعمارية.

ثالثاً: تنامي مخاطر الشح المتزايد في مصادر المياه العربية المترافقة مع التزايد السكاني.

رابعاً: عدم وجود استراتيجية لتحديد الأولويات في توزيع الموارد المائية وترشيد استهلاكها.

خامساً: عدم الاعتماد على الأساليب التكنولوجية الحديثة في الري وفي معالجة التصحر وإقامة المشروعات المائية.

ولتضييق الفجوة القائمة بين الموارد المائية المتاحة والحاجات المستقبلية لا بد من:

- تنمية مصادر مياه جديدة.

- ترشيد استهلاك المياه وحمايتها.

ومن ذلك يتضح أن على الدول العربية أن تعطي موضوع تنمية الموارد المائية والمحافظة عليها الأهمية القصوى عند وضع استراتيجياتها الأمنية.

ويجب أن يكون موضوع الأمن المائي على رأس قائمة الأولويات، وذلك بسبب قلة الموارد المائية التقليدية، مما يستدعي العمل الجاد على المحافظة على هذه الموارد ومحاولة تميمتها، وكذلك إيجاد موارد مائية جديدة، وخصوصاً أن معظم منابع الأنهار بيد دول غير عربية، مما لا يعطيها صفة المورد الآمن، كما أن المياه الجوفية في أغلب الدول العربية محدودة ومعظمها غير متجددة (ناضب) لعدم توافر موارد طبيعية متجددة كالأمطار التي تقوم على تغذية هذه المكامن وتزيد مواردها. لذلك يجب أن ينصب اهتمام القائمين على إدارة الموارد المائية على المحافظة على موارد المياه الجوفية وزيادة كمياتها، بل وتحسين نوعيتها واعتبارها مخزوناً استراتيجياً في مكامن آمنة.

#### إشكالية البحث

تتمحور إشكالية البحث حول مؤشرات الواقع المائي في الوطن العربي، حيث لا يتجاوز نصيبه من الإجمالي العالمي للأمطار ٥, ١٪ في المتوسط بينما

تتعدى مساحته ١٠٪ من إجمالي اليابسة العالم، وأن واقع المياه في المشرق العربي يبدو أكثر تعقيداً؛ إذ لا يتعدى نصيبه ٢, ٠٪ من مجمل المياه المتاحة في العالم العربي، في الوقت الذي ترتفع فيه معدلات الاستهلاك بشكل كبير.

كما تكمن إشكالية البحث في صلة الأمن المائي المباشرة بجهود التنمية بوجه عام وبصلاته الوثيقة بالقطاع الزراعي بوجه خاص، وتعد سياسات الدعم الحكومي للقطاع الزراعي أحد أبرز الأسباب المؤدية إلى مشاكل استنزاف المياه الجوفية. إلا أن تلك الصلات لا تتوقف عند ذلك الحد، بل تمتد لتطال موضوعات عدة، ربما انطوى كل منها على تحدٍّ، كالبيئة والموارد الطبيعية وعجز الميزانية العامة للدولة، وفي ضوء هذه الإشكاليات يمكن طرح التساؤلات التالية:

١- هل يمكن السيطرة على مستقبل الأمن المائي العربي في ظل واقع المياه العربية الراهن؟

٢- ما هو مستقبل الأمن المائي في ضوء التحديات التي تواجه الأمن المائي العربي؟

٣- ما هي الإجراءات التي يتوجب اتخاذها لمواجهة التحديات التي تواجه الأمن المائي العربي؟

٤- ما هي خطط الدول العربية والمنظمة العربية للتنمية الزراعية والمركز العربي للأراضي القاحلة والمناطق الجافة في مجال تنمية مصادر مائية جديدة؟

٥- لماذا فشلت الدول العربية في توعية المواطن لترشيد استخدامات المياه وحمايتها؟

#### فرضية البحث

١- بالرغم من الأهمية الكبيرة التي تحتلها مسألة المياه في الوطن العربي، وبالرغم من الجهود في تنمية الموارد المائية العربية، إلا أن الواقع المائي

العربي لا زال يتصف بالندرة والمحدودية مع تزايد الضغط السكاني في الدول العربية.

٢- من المتوقع أن تزداد مخاطر وتحديات الأمن المائي العربي في المستقبل القريب.

### أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

- ١- تحليل واقع الموارد العربية المتاحة.
- ٢- تحليل النتائج المترتبة على خصائص الموارد العربية المتاحة.
- ٣- تحليل كفاءة استخدام الموارد المائية العربية.
- ٤- تحليل أبرز التحديات التي تواجه الأمن المائي العربي.
- ٥- تحليل واقع ومستقبل الأمن الغذائي العربي في ظل واقع المياه العربية المتاحة.
- ٦- الاستنتاجات والتوصيات.

### منهجية البحث

في ضوء محدودية المصادر والإحصاءات الحديثة حول اقتصاديات المياه في الوطن العربي ومسألة الأمن المائي العربي تحديداً، اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي للمسألة المائية في الوطن العربي من كل جوانبها على مستوى الواقع وعلى مستوى المستقبل.

وقد اعتمدنا على التقارير السنوية الصادرة عن جامعة الدول العربية (التقرير الاقتصادي العربي الموحد). كما اعتمدنا على التقارير والدراسات الصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الزراعية، وعلى دراسات المركز العربي للأراضي القاحلة والمناطق الجافة.

وتم التأكيد في التحليل على النتائج المترتبة على تدهور أوضاع المياه العربية والتحديات التي تواجه مستقبل الأمن المائي العربي، وصولاً إلى التوصيات الملائمة لإدارة الموارد المائية العربية وسبل تنمية هذه الموارد،

لمواجهة الضغط السكاني وزيادة الطلب على الموارد المائية العربية.

### الموارد المائية العربية المتاحة

أ- أنواع الموارد المائية العربية المتاحة:

تتكون الموارد المائية العربية من المياه السطحية المتجددة والتي تشمل الأمطار السنوية ومياه الأنهار، ومن موارد المياه الجوفية التي تتجدد بمعدلات محدودة سنوياً.

وبالإضافة إلى موارد المياه السطحية المتجددة، تشمل كذلك الموارد المائية العربية المتاحة على كميات محدودة من مصادر المياه غير التقليدية كمياه التحلية ومياه التنقية.

وعليه فإن الموارد المائية العربية المتاحة تتكون من:

- أ- الموارد المائية السطحية (مياه الأمطار السنوية والأنهار).
- ب- الموارد المائية الجوفية.
- ج- الموارد المائية غير التقليدية (مياه التحلية ومياه التنقية).

ويطلق على الموارد المائية السطحية والجوفية الموارد المائية التقليدية.

ب- خصائص الموارد المائية العربية المتاحة:

- تقع المنطقة العربية ضمن المناطق المناخية الجافة وشبه الجافة، وعليه تتميز الموارد المائية العربية المتاحة بندرتها من حيث متوسط نصيب وحدة المساحة ومتوسط نصيب الفرد من المياه العربية المتاحة، وبالإضافة إلى سمة ندرة الموارد المائية العربية المتاحة، فإن هذه الموارد تتسم بعدم ملاءمة توزيعها الجغرافي، وصعوبة السيطرة على الكثير منها.

- وتعتبر الدول العربية من أكثر مناطق العالم فقراً للموارد المائية، حيث يبلغ المعدل السنوي لنصيب الفرد من المياه حوالي ٧٥٠ متراً مكعباً مقابل ٧٧٠٠ متر مكعب على المستوى العالمي، وذلك طبقاً لإحصاءات المنظمة العربية للتنمية الزراعية لعام ٢٠١٨، في حين يبلغ متوسط نصيب الفرد حوالي ٤٠٠٠



متر مكعب سنوياً في الدول الآسيوية وحوالي ٥٠٠٠ متر مكعب في السنة في الدول الإفريقية.

- ويبدو استشراف مستقبل المياه العربية المتاحة أشد حدة، إذ يقدر أن ينخفض نصيب الفرد من المياه العربية المتاحة إلى حوالي ٦٢٤ متراً مكعباً في ٢٠٢٥.

- ومن أبرز العوامل التي ستؤدي إلى هبوط نصيب الفرد من المياه العربية المتاحة ما يلي:

١. معدلات النمو السكاني المرتفعة.
٢. تناقص كميات المياه التي ترد للدول العربية من الأنهار المشتركة التي تتبع من الدول المجاورة، والتي تتمثل في نصف كميات المياه العربية المتاحة.
٣. تبلغ حصة الدول العربية حوالي ٧,٠٪ فقط من إجمالي المياه السطحية الجارية في العالم.
٤. تمثل كميات الأمطار التي تتساقط على الدول العربية ١,٢٪ من إجمالي الأمطار في العالم. وتتميز معدلات هطول الأمطار بالتذبذب وتفاوت كمياتها.
٥. تعرض الموارد المائية العربية المتاحة على ندرتها للهدر والضياع وتدهور النوعية.

ج- تقديرات الموارد المائية العربية المتاحة:

طبقاً لإحصاءات التقرير الاقتصادي العربي الموحد وتقرير المنظمة العربية للتنمية الزراعية كما يلي:

- الموارد التقليدية (الموارد المائية السطحية والجوفية المتجددة) والموارد المائية غير التقليدية (مياه التحلية ومياه التنقية) بحوالي (٢٨٥,٤) مليار متر مكعب.

تمثل الموارد المائية السطحية حوالي ٨٥٪ من إجمالي الموارد المتاحة، تليها المياه الجوفية بنسبة ١٢٪ ومياه التحلية والتنقية بنسبة ٣٪.

- يستحوذ الإقليم الأوسط الذي يضم حوض النيل والقرن الإفريقي على نحو (٤٠,١٪) من إجمالي الموارد المائية العربية المتاحة، يليه إقليم المشرق العربي بنسبة (٣١٪) ثم إقليم المغرب العربي بنسبة (٢٣٪) وإقليم شبه الجزيرة العربية بنسبة (٥,٩٪).

- تقدر الموارد المائية السطحية المتجددة بحوالي (٢٧٤) مليار متر مكعب في السنة.

- تشمل الموارد المائية السطحية (٢٣٢ مليار متر مكعب سنوياً) والتغذية السنوية للموارد المائية الجوفية (٤٢) مليار متر مكعب سنوياً.

- تقدر الموارد المائية غير التقليدية بحوالي (١٠,٤) مليار متر مكعب سنوياً ومياه التحلية (٦,٩) مليار متر مكعب سنوياً.

- وبذلك يبلغ مجموع الموارد المائية العربية المتاحة حوالي (٢٨٥,٤) مليار متر مكعب في السنة.

- تقدر الموارد المائية السطحية بحوالي ٢٣٢ مليار متر مكعب سنوياً، يأتي أكثر من ٦٠٪ من هذه المياه من خارج الدول العربية.

- لا يستغل من الموارد المائية السطحية العربية البالغة (٢٣٢) مليار متر مكعب سنوياً سوى (٢٠٤) مليار متر مكعب سنوياً، أي بنسبة (٨٨٪).

- تستهلك الزراعة حوالي (٨٨٪) من الموارد المائية السطحية المستقلة، تليها الاستخدامات المنزلية التي تستقل (٧٪) ثم الاستعمالات الصناعية التي تستهلك (٥٪) من الموارد المائية السطحية المستقلة.

- تشكل مياه الأنهار الجزء الأعظم من الموارد المائية السطحية المتجددة، وينبع معظم هذه الأنهار من خارج الدول العربية مثل: النيل، الفرات، دجلة.

وتقدر المياه السطحية المشتركة مع دول أخرى بحوالي (١٧٤) مليار متر مكعب سنوياً منها (١٣٩) مليار متر مكعب من منشأ خارج الدول العربية و(٣٥) مليار متر مكعب منشؤها داخل الدول العربية.

وتشكل الموارد المائية المشتركة من خارج الدول العربية حوالي (٨٠٪) من مجمل الموارد المائية السطحية، وحوالي (٦٦٪) من الموارد المائية المتاحة في المنطقة العربية.

ويلقي شح الموارد المائية السطحية من حيث الكميات المتوفرة ومن حيث الظروف المناخية والبيئية عبئاً كبيراً على مصادر المياه الجوفية، والتي يستخدم جزء منها في تغطية العجز وتأمين الاحتياجات المائية اللازمة لأغراض الإنتاج الزراعي.

- يقدر إجمالي المخزون المائي الجوفي في الدول العربية بحوالي (٧٧٣٤)، ويقدر إجمالي التغذية السنوية من الموارد المائية الجوفية بحوالي (٤٢) مليار متر مكعب، في حين تبلغ الكميات المتاحة سنوياً للاستخدام بحوالي (٨٣٪) من تلك التغذية؛ أي حوالي (٣٥) مليار متر مكعب سنوياً.

ومن الملاحظ تعرُّض مخزون المياه الجوفية للاستغلال الجائر، كما يتم تجاوز معدلات التغذية السنوية في بعض الدول العربية، مما يؤدي إلى:

أ- انخفاض مستويات المياه الجوفية.

ب- تدهور نوعية المياه الجوفية.

ت- الآثار السلبية البيئية.

ث- تملُّح التربة.

والجدول الآتي يوضح الموارد المائية المتاحة في الدول العربية حسب مصادرها.

## جدول رقم (١)

## الموارد المائية المتاحة في الدول العربية

الموارد المائية السطحية	٢٢٢ مليار متر مكعب
الموارد المائية الجوفية (التغذية السنوية)	٤٢ مليار متر مكعب
المتاح من الموارد المائية الجوفية	٣٥ مليار متر مكعب
مجموع الموارد المائية المتجددة السطحية والجوفية	٢٧٤ مليار متر مكعب
الموارد المائية غير التقليدية ومكونة من:	١٠,٤ مليار متر مكعب
• مياه التحلية	٤,٥ مليار متر مكعب
• مياه التثقية	٦,٩ مليار متر مكعب
مجموع الموارد المائية العربية المتاحة	٢٨٥,٤ مليار متر مكعب

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٤، ص٥٦. كذلك المنظمة العربية للتنمية الزراعية، التقرير السنوي لعام ٢٠١٤.

- د- النتائج المترتبة على خصائص الموارد العربية المائية المتاحة:
- ١- إن جزءاً كبيراً من الموارد المائية المتاحة يتعرض للفقد أو لتدهور النوعية.
  - ٢- تتسم الموارد المائية في الدول العربية بسوء توزيعها جغرافياً وصعوبة استغلال المتاح منها في كثير من الدول العربية.
  - ٣- تتفاقم ندرة الموارد المائية العربية المتاحة بمرور الزمن على كافة المستويات، حيث يشكل متوسط نصيب الهكتار من المياه السطحية في الدول العربية بنسبة ١:١٥ مقارنة بالمستوى العالمي. كما يبلغ متوسط الهطول المطري ١:٦,٤.
  - ٤- يبلغ متوسط نصيب الفرد أقل من ٦٢٤ متراً مكعباً سنوياً، ويقل عن (٥٠٠) متر مكعب سنوياً في عدد من الدول العربية تشمل: الأردن، تونس، فلسطين، جيبوتي وكل دول شبه الجزيرة العربية باستثناء عمان، مقارنة بالمعدل العالمي الذي يتجاوز (٧٧٠٠) متر مكعب سنوياً.

## كفاءة استخدام الموارد المائية في الزراعة العربية المرنة

تقدر مساحة الأراضي القابلة للزراعة في الدول العربية حالياً بحوالي (١٤٠) مليون هكتار، أي ما يعادل (١١٪) من المساحة الكلية للوطن العربي. وتشير أحدث الإحصاءات الصادرة عن المنظمة العربية للتنمية الزراعية، أن المساحة الزراعية الكلية المستغلة في المنطقة العربية وصلت حوالي (٧٩,٢) مليون هكتار، تمثل ٥٦,٦٪ من الأراضي القابلة للزراعة. وهذه النسبة تعني أن حوالي (٤٣,٤٪) الرقعة الزراعية القابلة للزراعة في الوطن العربي لا يزال غير مستغل فعلاً. كما يعكس ذلك الطاقة الكامنة العربية للتوسع الأفقي في الأراضي المزروعة عندما تتوفر مقومات الأمن المائي العربي.

إن زيادة كفاءة استخدام الموارد المائية لأغراض الزراعة يستوجب ترشيد استخدام الموارد المائية العربية المتاحة للأغراض الزراعية.

ولا تزال الحاجة ماسة جداً لزيادة مساحة الرقعة الزراعية المستغلة فعلاً، فالرقعة الزراعية المستغلة فعلاً لا تزال دون المستوى المطلوب لمواجهة الطلب المتزايد على المنتجات الزراعية بصورة عامة، والطلب المتزايد على السلع الغذائية الرئيسية بصورة خاصة. ولا شك أن زيادة الرقعة الزراعية المستغلة فعلاً يرتبط بكمية المياه المتاحة للأغراض الزراعية وكفاءة استخدامها. كما يتطلب التوسع الأفقي في الأراضي الزراعية والمشاريع الزراعية الجديدة استثمارات كبيرة لاستصلاح الأراضي وزراعتها، وتوفير البنى التحتية الأساسية. ومن الملاحظ أن التوسع الزراعي الرأسي الذي يعتمد على تطوير وزيادة إنتاجية وحدة المساحة الأكثر مرونة، وانسجاماً مع خاصية الحيازات الزراعية الصغيرة الواسعة الانتشار في الدول العربية عموماً.

ولا بد من التأكيد على أن المستويات المتراجعة من موارد المياه العربية المتاحة للأغراض الزراعية سوف يؤدي إلى المزيد من تحديد معدلات نمو الزراعة، وبالتالي تدهور مساهمة الناتج الزراعي في القيمة المضافة للناتج المحلي الإجمالي. كما سوف يسهم هذا التدهور في زيادة عجز الناتج الزراعي وزيادة قيمة الفجوة الغذائية.

إن تحقيق زيادة في الإنتاج الزراعي في الدول العربية من خلال توسعة الأراضي المروية سيبقى محدوداً جداً نظراً للشح، والخيار الأكثر قبولاً في المستقبل هو استخدام المياه المتاحة بطريقة أكثر كفاءة في الإنتاجية من خلال تحسين كفاءة الري، وتبنى سياسات تسهم في تحسين وتطوير إدارة الطلب على المياه، ووضع تشريعات جديدة لتسعير المياه، وتغيير أنماط الري المستخدمة حالياً والتي تتصف بالتخلف وفقدان عنصر التطور في أساليب الري الحديثة.

وتشير بعض الدراسات أنه في حالة تحسين كفاءة الري بنحو ٧٥٪، فإن ذلك سيؤدي إلى توفير ما لا يقل عن ٥٠ مليار متر مكعب من المياه. وفي حالة استخدام المياه التي سيتم توفيرها لإنتاج الحبوب، فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة كبيرة في إنتاج الحبوب وزيادة نسب الاكتفاء الذاتي من الحبوب، إضافة إلى تخفيض قيمة الفجوة الغذائية من الحبوب.

ويغطي الري السطحي التقليدي حوالي ٧٥٪ من المساحات المروية في الدول العربية. وأشارت بعض الدراسات أنه بالإمكان توفير ما لا يقل عن ٥٠ مليار متر مكعب سنوياً من المياه لأغراض الري، أي حوالي ثلث كميات المياه المستخدمة في الزراعة، وذلك من خلال رفع كفاءة استخدام مياه الري إلى حوالي ٧٥٪.

إن خيار التوسع الرأسمالي يتطلب عمالة كثيفة وفرص عمل جديدة يمكن أن تسهم في تقليص معدل البطالة المتمركزة في الريف أصلاً. ومما يلاحظ عدم وجود برامج تنفيذية لتنفيذ خيار التوسع الرأسمالي في الزراعة العربية.

- تقدر مساحة الأراضي الزراعية المروية في الدول العربية بحوالي ١٥ مليون هكتار يستخدم في ربيها حوالي ١٦٠ مليار متر مكعب.
- وتقدر المياه السطحية والجوفية المتجددة سنوياً وغير المستقلة بحوالي (١١٤) مليار متر مكعب، نظراً لضعف كقاعدة الري التي لا تتجاوز الـ ٥٠٪.

- ويعطى الري السطحي التقليدي حوالي ٧٥٪ من المساحات المروية في الدول العربية. وتعود أسباب ضعف كفاءة الري السطحي إلى الإسراف في استخدام المياه وإلى السياسة المائية العربية المطبقة. ومن الملاحظ أن السياسة المائية العربية أسهمت في إيجاد قطاع زراعة مروية مدعوم بشكل كبير. وقد أسهمت الأسعار المنخفضة للمياه إلى توسعة المناطق المروية وزيادة الطلب على الموارد المائية المخصصة للزراعة. ويعد عدم كفاءة استخدامات موارد المياه العربية المتاحة من أكبر التحديات التي تؤدي إلى استنزاف هذه الموارد. وعدم الكفاءة في استخدامات موارد المياه العربية، قد ينتج للأسباب التالية:

- عدم كفاءة أساليب توزيع المياه من المصادر إلى الحقل بواسطة القنوات الترابية المفتوحة.

- عدم كفاءة شبكات التوزيع وشبكات الري.

- ضعف أساليب الري الحقلي.

- استخدام أساليب الري التقليدية

وتتراوح كفاءة استخدام موارد المياه بين ٤٠٪ إلى ٥٠٪ على صعيد الدول العربية، مما يعني أن الضياع والهدر في استخدام هذه الموارد يتراوح بين ٥٠٪ - ٦٠٪.

وتشير دراسة المنظمة العربية للتنمية الزراعية ودراسة التقرير الاقتصادي العربي الموحد أن ١٥٪ من مياه الري تضيع في شبكات التوزيع، و ٢٥٪ من مياه الري تضيع في شبكات الري، و ١٥٪ من مياه الري تضيع في الحقل.

وطبقاً لهذه الدراسات فإن متوسط الفاقد من المياه يقدر بأكثر من ١٠٠ مليار متر مكعب، تمثل حوالي ٦٥٪ من المياه المستخدمة في الري.

وبينت دراسة المركز العربي (اكساد) ودراسة المنظمة العربية للتنمية الزراعية أن استخدام وسائل الري الحديثة يساعد على توفير ٥٨٪ من المياه، ويزيد الإنتاج بنسبة ٣٥٪.

كما أن تطوير الري السطحي على مستوى الحقل يحقق وفراً يتراوح بين ٣٣٪ إلى ٧٧٪ من المياه المستخدمة في الري.

وخلصت هذه الدراسات إلى أن رفع كفاءة استغلال الموارد المائية بصورة عامة بين ٥٠٪ - ٧٠٪ يوفر حوالي (٥٠) مليار متر مكعب في السنة ويمثل حوالي ٣٠٪ من المياه المستخدمة في الري حالياً.

إن هذه المؤشرات ومعدلات استخدامات المياه تعد مؤشرات حكم على أوضاع الموارد المائية المتاحة وفقاً للمعدلات العالمية.

ومن المتوقع أن يستمر تزايد الطلب على المياه في المستقبل في الدول العربية بفعل معدلات نمو السكان المتزايدة، بفعل التضييع وتحسين مستويات المعيشة، وفي مقابل هذا التزايد يلاحظ تراجع موارد المياه العربية المتاحة، وهذا بدوره سيؤدي إلى تراجع معدلات نمو القطاع الزراعي، وتراجع مساهمة قيمة الناتج الزراعي في القيمة المضافة للناتج المحلي الإجمالي. والجدول رقم ٢ يوضح الاتجاهات المستقبلية للطلب على المياه العربية المتاحة خلال عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٣٠، وذلك طبقاً لتقديرات المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة.

#### جدول رقم (٢)

توقعات الطلب على المياه في الدول العربية خلال عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٣٠

السنة	القطاع الزراعي	الاعراض المنزلية الصناعية	الإجمالي (مليار متر مكعب)
٢٠٢٠	٣٦٩	٤٠	٤٠٩
٢٠٣٠	٣٧٨	٥٨	٤٣٦

المصدر: المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والاراضي القاحلة، دمشق ٢٠١١.



النتائج المترتبة على عدم كفاءة استخدام الموارد المائية المتاحة في الزراعة العربية:

- ١- زيادة الفاقد من المياه العربية المتاحة على ندرتها.
- ٢- تخلف شبكات الري والتوزيع.
- ٣- تدهور نوعية المياه.
- ٤- ارتفاع تكاليف ضخها.
- ٥- زيادة تكاليف المنتج الزراعي.
- ٦- عدم إمكانية استخدام المشاريع القائمة عليها.
- ٧- تراجع نصيب الفرد من المياه إلى حوالي ٥٠٠ متر مكعب في السنة.
- ٨- عدم وجود خطط جادة لاستخدام وسائل الري الحديثة.
- ٩- يرجع سبب زيادة الأراضي الزراعية القابلة للزراعة وغير المستقلة للأسباب التالية:
  - الظروف المناخية غير المواتية.
  - قلة الأمطار وعدم كفايتها.
  - عدم كفاية مياه الري.
- ١٠- يتركز حوالي ٨٥٪ من مساحة الأراضي الزراعية المطرية في أربع دول هي: السعودية، السودان، المغرب، والجزائر، في حين يتركز ٨١٪ من مساحة الأراضي الزراعية المروية في ست دول هي: العراق، مصر السودان، السعودية، المغرب، وسورية.
- ١١- بالرغم من الأهمية النسبية الضئيلة لمساحة الأراضي الزراعية المروية (٢٤٪ من المساحة المحصولية) إلا أنها تساهم بالجزء الأكبر من الإنتاج الزراعي العربي الذي يقدر بـ ٦٠٪ من قيمة الإنتاج الزراعي العربي.
- ١٢- يتطلب التوسع الأفقي في الأراضي والمشاريع الجديدة استثمارات كبيرة لاستصلاح الأراضي وزراعتها وتوفير البنى التحتية الأساسية، ويعتبر التوسع الزراعي الرأسي الذي يعتمد على تطوير وزيادة إنتاجية وحدة المساحة الأكثر مرونة وانسجاما مع إمكانات الحيازات الزراعية الصغيرة الواسعة الانتشار في الوطن العربي.

## كفاءة استغلال الموارد المائية العربية المتاحة والعجز المائي العربي

تعد عدم كفاءة استغلال الموارد المائية العربية المتاحة من أكبر التحديات التي تواجه الأمن المائي العربي. ويترتب على عدم كفاءة استغلال الموارد المائية العربية المتاحة استنزاف هذه الموارد وتزايد فجوة المياه الناتجة عن تزايد الطلب على المياه وثبات المعروض منه.

أما أهم أسباب عدم كفاءة استغلال الموارد المائية العربية المتاحة فهي:

- ١- عدم استخدام أنظمة الري الحديثة.
- ٢- ضعف أساليب الري الحقلية التي تتم بواسطة القنوات الترابية المفتوحة.
- ٣- تدني كفاءة نقل وتوزيع المياه من المصادر إلى الحقل.

أما أبرز النتائج المترتبة على عدم كفاءة استغلال الموارد المائية العربية المتاحة فهي:

- ١- تتراوح كفاءة استخدام موارد المياه كالتالي:
  - ٤٠٪ - ٥٠٪ على صعيد الدول العربية.
  - ١٥٪ من مياه الري تضيع في شبكات التوزيع.
  - ٢٥٪ من مياه الري تضيع في شبكات الري.
  - ١٥٪ من مياه الري تضيع في الحقل.
  - يقدر متوسط الفاقد من المياه بأكثر من ١٠٠ مليار متر مكعب تمثل ٦٥٪ من المياه المستخدمة في الري.

ومن الملاحظ أن معدلات استخدامات المياه قياساً بالمتاح من المياه أحد أبرز مؤشرات الحكم على أوضاع الموارد المائية المتاحة.

وطبقاً للمؤشرات العالمية تعتبر نسبة استخدام المياه التي تزيد على ١٥٪ مؤشراً للعجز المائي.

ويقدر معدل الاستخدام العالمي للموارد المائية بحوالي ٧,٥٪ في حين يقدر معدل الاستخدام في الدول العربية بحوالي ٧٦,٦٪، وهذا المؤشر يعد أخطر مؤشرات العجز المائي العربي. وهناك بعض الدول العربية زادت نسبة استخدامها للموارد المائية عن ٢٠٠٪ عما هو متاح لها.

ويقدر حجم استخدام الموارد المائية في الدول العربية بحوالي ١٩٠ مليار متر مكعب سنوياً، يستخدم منها حوالي ١٦٩ مليار متر مكعب سنوياً للزراعة. وتستغل هذه الكميات لري حوالي ١٠,٥ مليون هكتار تشكل ١٤,٨٪ من جملة المساحة المزروعة. ويغطي الري السطحي حوالي ٨٥٪ من هذه الأراضي والري بالرش حوالي ١٣٪ وأساليب الري الأخرى ٢٪.

#### كفاءة استخدام المياه الجوفية

يقدر حجم المياه الجوفية في الدول العربية بحوالي ٧٧٢٤ مليار متر مكعب يخزن القسم الأكبر منها في الأحواض الجوفية الضخمة التي تحتوي على كميات كبيرة من المياه غير المتجددة.

وتقدر التغذية السنوية للمياه الجوفية بحوالي ٤٢ مليار متر مكعب، في حين تبلغ الكميات الممكن استغلالها منها بحوالي ٣٥ مليار متر مكعب.

وتتعرض المياه الجوفية للاستنزاف الجائر في معظم الدول العربية لأسباب عديدة منها:

- التوسع الأفقي في المساحات المزروعة.

- عدم استخدام أنظمة الري الحديثة.

ومن الملاحظ أن مخزون المياه الجوفية يمثل الاحتياطي الرئيسي لتلبية الطلب المتزايد على المياه للاستخدامات المختلفة في ظل محدودية الهطول المطري، وتراجع تصاريف المياه، ومخاطر مياه الأنهار المشتركة مع دول أخرى.

وهذه العوامل تؤكد الحاجة إلى وضع ضوابط للحفاظ على مخزون المياه الجوفية وصيانتها.

ومما يزيد من أهمية المياه الجوفية أن ثماني دول عربية تشترك في مياهها الجوفية بأحواض مشتركة مع دول مجاورة غير عربية.

ومن الملاحظ تجاوز معدلات التغذية السنوية في بعض الدول العربية، مما يسهم في انخفاض مستويات المياه الجوفية وتدهور نوعية المياه بفعل تغلغل مياه البحر المجاورة، وتملح التربة.

### محددات أوضاع الأمن المائي العربي

يعد الأمن المائي العربي الركيزة الأساسية والعامل الحاسم في تحقيق الأمن الغذائي العربي، وفي ضوء تزايد معدلات نمو السكان وتزايد الطلب على المياه وتزايد الفجوة الغذائية بنسبة ١٠٪ للسنوات الخمس عشرة القادمة، فإن المنطقة العربية تحتاج إلى ما يقارب ٤٢٦ مليار متر مكعب من المياه في عام ٢٠٣٠. ولكن واقع المياه العربية يشير إلى أن الموارد المائية المتاحة لن تتمكن من تلبية الاحتياجات الغذائية مهما بلغت تميميتها في المستقبل. ومما يؤكد هذا الواقع توقع تراجع نصيب الفرد من المياه دون ١٠٠٠ متر مكعب سنوياً، وهو ما يعرف بخط النقر المائي. ومن المتوقع أن يصل نصيب الفرد العربي إلى ما دون الـ ٥٠٠ متر مكعب سنوياً بحلول عام ٢٠٢٥، مما يؤثر على الوضع المستقبلي الحرج للأمن المائي العربي.

ومما يزيد من خطورة الأمن المائي العربي، أن الموارد المائية في الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل حوالي ٢ مليار متر مكعب منها ٣٣٪ من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ و ٣٥٪ من مياه الضفة الغربية و ١٠٪ من قطاع غزة و ٢٢٪ من هضبة الجولان.

كما أن المخاطر التي تهدد المياه المشتركة الدولية تزيد بدورها من مخاطر الأمن العربي.

وإزاء هذه المخاطر لا بد من صياغة استراتيجية ورؤية عربية موحدة لحماية الحقوق العربية في المياه الدولية المشتركة، وخاصة صياغة اتفاقيات دولية تضمن حقوق العرب في هذه المياه. ويضاف إلى هذا أهمية ترشيد استخدامات المياه السطحية والجوفية لتحقيق التوازن بين عرض الموارد المتاحة والطلب على المياه، وتنفيذ مشروعات دولية مشتركة على هذه المياه، والوصول إلى إدارة متكاملة للموارد المائية المشتركة تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة لكافة الدول المتشاطئة.

كما يستوجب من الدول العربية النظر إلى المياه كمورد حياتي وتمموي واعتماد إدارة الطلب على المياه من منظور اقتصادي واجتماعي.

وفي ظل الأوضاع المائية العربية الراهنة يتعرض الأمن المائي العربي لتحديات متزايدة بسبب ما يكتنفه من محددات تتمثل في الآتي:

- التغيرات المناخية العميقة.
- طرق إدارة الموارد المائية واستخداماتها.
- أوضاع الموارد المائية المشتركة.
- تذبذب كميات الهطول المطري التي تشكل الموارد الرئيسية للمياه السطحية والجوفية.
- الهدر الكبير للمياه.
- تعاقب فترات الجفاف وازدياد حدتها.

ومما يزيد من التحديات التي تواجه الأمن الغذائي العربي الأوضاع المائية التالية:

- ١- تعتمد بعض الدول العربية بشكل رئيسي على تدفقات المياه الواردة إليها من دول أخرى بمعدل يصل إلى ٨٠٪ في مصر، موريتانيا، سورية، السودان. وبمعدل ٦٨٪ في العراق، وبمعدل ٦٢٪ في الصومال و ١٠٪ في تونس و ٦, ٣٪ في الجزائر. وتضم الدول العربية ١٨ نهراً تتبع من خارج الأراضي العربية.

٢- إن النمو في الموارد المائية السطحية والجوفية ومياه التحلية والتنقية شبه ثابت، في حين ينمو الطلب على المياه بمعدلات متزايدة. وهذا الوضع يعكس الفجوة المائية المتزايدة بين الطلب على المياه والمعروض منها تقدر بحوالي ١٠٠ مليار متر مكعب عام ٢٠٥٠.

٣- يأتي حوالي ٥٩٪ من المياه السطحية من الأنهار التي تتبع من خارج الأراضي العربية.

ولقد انعكست أوضاع الأمن المائي العربي على أوضاع الأمن الغذائي العربي خاصة وأن الفجوة بين الواردات الغذائية والصادرات الغذائية تزداد بصورة متسارعة، مما يؤدي إلى زيادة قيمة الفجوة الغذائية بشكل مخيف، إذ تقدر إمكانية تأمين الغذاء بنسبة ٢٤٪ بعد عام ٢٠٣٠.

وبالإضافة إلى ذلك فإن منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (نقلاً عن التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٠، ص ٥٤)، تشير إلى أن الهطول المطري في المنطقة العربية سينخفض بمقدار ٢٠٪ نتيجة للتغيرات المناخية المتسارعة، مما يؤدي إلى زيادة العجز المائي العربي والتأثير السلبي على الأمن الغذائي العربي. وسوف يعاني سكان الوطن العربي من الفقر المائي بسبب تراجع نصيب الفرد من المياه إلى ما دون الـ ٥٠٠ متر مكعب سنوياً وهو ما يعرف بخط الفقر المائي.

وفي ظل الأوضاع المائية العربية تكتنف الأمن المائي العربي العديد من المحددات إضافة إلى ندرة هذه الموارد، وما يتعرض له جزء كبير من هذه الموارد المتاحة للفقد أو لتدهور النوعية، ناهيك عن سوء توزيع الموارد المائية المتاحة جغرافياً، وصعوبة استغلال المتاح منها في كثير من المناطق.

ومن أبرز محددات الأمن المائي العربي ما يلي:

- شح الاستثمارات الزراعية.
- التغيرات المناخية وتأثيراتها على معدلات هطول الأمطار.

- تخلف طرق إدارة الموارد المائية واستخداماتها.
- تعاقب فترات الجفاف وازدياد حدتها.
- الهدر والضياع المتزايد للمياه العربية المتاحة.
- الاستخدام الجائر للموارد السطحية والجوفية.

وفي ظل هذه المحددات تواجه المنطقة العربية تحديات كبيرة لتوفير احتياجاتها المائية، بل إن فقدان الأمن المائي العربي بات يشكل أحد أبرز عناصر فقدان السيطرة على الأمن الزراعي العربي بصورة عامة والأمن الغذائي العربي بصورة خاصة.

ويرتبط بالأمن المائي استغلال إسرائيل للمياه العربية، وكذلك مسألة الموارد المائية المشتركة؛ إذ تبلغ الموارد العربية المائية في الأراضي العربية التي تحتها إسرائيل حوالي ٢ مليار متر مكعب، منها:

٣٣٪ من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨.

٣٥٪ من مياه الضفة الغربية.

١٠٪ من قطاع غزة.

٢٢٪ من هضبة الجولان.

وما زالت إسرائيل تستغل عدداً من مصادر المياه في جنوب لبنان.

كما أن أهمية الموارد المشتركة باتت تشكل قيداً بالغ الخطورة على الأمن المائي العربي.

ومثل هذا الوضع يعكس وجود فجوة متزايدة بين الطلب على المياه والمعروض منها. وتقدر هذه الفجوة بحوالي ١٠٠ مليار متر مكعب عام ٢٠٥٠.

ويتطلب هذا الواقع جملة إجراءات من أبرزها:

- ترشيد استهلاك الموارد المتاحة.

- تطوير أنظمة الري.

- تنمية الموارد المائية.

- تطوير تقنية حصاد المياه.
- التوصل إلى اتفاقيات عادلة ومنصفة مع الدول المتشاطئة على الأنهار المشتركة.
- تثبيت حقوق العرب في المياه ضمن الأراضي التي تحتلها إسرائيل.
- تطبيق نظم الإدارة المتكاملة للموارد المائية.
- اعتماد المعايير والأسس الاقتصادية لاستخدام المياه.
- تقييم آثار التغير المناخي.
- النظر إلى المياه كمورد حياتي وتموي.
- اعتماد إدارة الطلب على المياه من منظور اقتصادي واجتماعي يراعي التوازن بين توفير الاحتياجات وتحقيق أكبر عائد من استثمار المورد المائي.
- ترشيد استخدام المياه السطحية والجوفية.
- تحقيق التوازن بين الموارد المائية المتاحة والطلب على المياه.

#### مؤشرات ومخاطر الأمن المائي العربي

- تضم الدول العربية ١٨ نهراً تتبع من خارج الأراضي العربية وأهمها أنهار النيل، ودجلة، الفرات، السنغال، شيبلي، وجوبا.
- يأتي ٥٩٪ من المياه السطحية في الدول العربية من هذه الأنهار المشتركة.
- مجموع الموارد المائية في الأنهار المشتركة ٨, ١٧٤ مليار متر مكعب منها ١٢٩ مليار متر مكعب منشأها خارجي و٧, ٣٥ مليار متر مكعب منشأها داخلي.
- ثماني دول عربية تشترك في مياهها الجوفية بأحواض مشتركة مع دول مجاورة غير عربية.



- النمو في الموارد المائية السطحية شبه ثابت في الوقت الذي يتزايد معدل نمو الطلب بصورة متزايدة، وتقدر فجوة التزايد بين الطلب على المياه والمعروض منها حوالي ١٠٠ مليار متر مكعب عام ٢٠٥٠.

### مؤشرات استخدام الموارد المائية العربية في الزراعة العربية

- تقدر مساحة الأراضي الزراعية المروية في الدول العربية بحوالي ١٥ مليون هكتار، يستخدم في ريها ١٦٠ مليار متر مكعب.

- تقدر المياه السطحية والجوفية المتجددة سنوياً وغير المستغلة بنحو ١١٤ مليار متر مكعب.

- يغطي الري السطحي التقليدي حوالي ٧٥٪ من المساحات المروية في الدول العربية.

- أسهمت السياسات المائية المعمول بها في معظم الدول العربية في إيجاد قطاع زراعة مروية مدعوم بشكل كبير.

- من المتوقع أن يستمر تزايد الطلب على المياه في المستقبل في الدول العربية بفعل النمو السكاني والتصنيع وتحسين مستويات المعيشة، وعليه فالمستويات المتراجعة من موارد المياه سوف تؤدي إلى المزيد من تحديد معدل نمو الزراعة.

### خلاصة الموارد المائية العربية

- يبلغ مجموع الموارد المائية العربية المتاحة حوالي ٢٨٥ مليار متر مكعب.

- تقدر الموارد المتجددة بحوالي ٢٧٤ مليار متر مكعب.

- لا يتعدى نصيب الفرد العربي من الموارد المائية المتاحة ٧٥٠ متراً مكعباً في السنة. ومن المتوقع تراجع نصيب الفرد العربي من الموارد المائية المتاحة إلى ٦٥٠ متراً مكعباً في السنة وحوالي ٤٠٠٠ متر مكعب في الدول الإفريقية.

- تقدر الموارد المائية السطحية المتاحة في الوطن العربي حوالي ٢٣٢ مليار متر مكعب سنوياً وحوالي ٦٠٪ من هذه الموارد من خارج الدول العربية.
- لا يستغل من الموارد المائية السطحية العربية المتاحة البالغة ٢٣٢ مليار متر مكعب سنوياً سوى ٢٠٤ مليار متر مكعب في السنة، أي حوالي ٨٨٪ فقط من إجمالي الموارد المائية السطحية.
- تستهلك الزراعة حوالي ٨٨٪ من الموارد المائية العربية المستغلة، تليها الاستخدامات المنزلية التي تستغل ٧٪ ثم الاستعمالات الصناعية التي تستهلك حوالي ٥٪.
- يلقي شح الموارد المائية السطحية من حيث الكميات المتوفرة والظروف المناخية والبيئية عبئاً كبيراً على مصادر المياه الجوفية التي يستخدم جزء منها لتغطية العجز وتأمين احتياجات الزراعة.
- ٧٠٪ من المياه المستخدمة في الزراعة فاقدة نتيجة استخدام طرق تقليدية بالري.
- ٤٠٪ فاقدة من المياه المستخدمة في المنازل.
- يقدر إجمالي المخزون المائي الجوفي في الدول العربية بحوالي ٧٧٣٤ مليار متر مكعب. ويقدر حجم التغذية السنوية لهذا المخزون بنحو ٤٢ مليار متر مكعب، وتبلغ الكميات المتاحة للاستخدام بنحو ٨٣٪ من تلك التغذية.
- نصيب الفرد العربي في تسع دول عربية أقل من ١٠٠٠ متر مكعب في السنة، وفي سبع دول عربية أقل من ٥٠٠ متر مكعب في السنة.
- عند بلوغ نصيب الفرد أقل من ٥٠٠ متر مكعب في السنة من المياه المتاحة يعد ذلك فقراً مائياً خطراً.

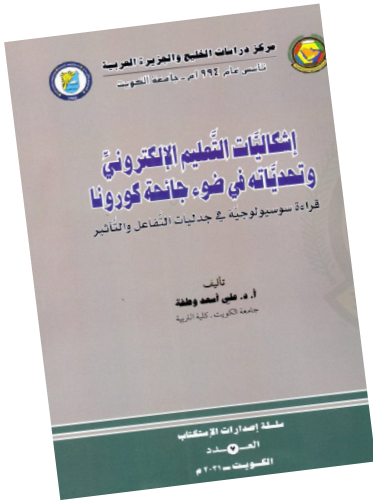
## التوصيات

- ١- إنشاء بنوك قطرية وقومية على صعيد الوطن العربي للبيانات والمعلومات ذات الصلة بتنمية الموارد المائية في الدول العربية.
- ٢- تطوير البحوث العلمية في مجال المياه واستخداماتها.
- ٣- ترشيد استغلال المياه في الاستخدامات المختلفة واستخدام طرق الري الحديثة.
- ٤- وضع برامج للتوعية باستخدام المياه وترشيد استخداماتها في الدول العربية.
- ٥- اعتبار المياه سلعة اقتصادية لها قيمتها الاقتصادية والاجتماعية وأن يتم استغلالها وفق معايير اقتصادية.
- ٦- الارتقاء بالخبرات العربية في مجال تنمية مشروعات المياه.
- ٧- توحيد وتطوير السياسات والتشريعات المائية القطرية والقومية.
- ٨- الاستغلال الأمثل للمياه بما يؤدي إلى تحقيق التنمية المتوازنة المستدامة وتحقيق الأمن الغذائي العربي.
- ٩- تطوير استثمار مصادر المياه الجوفية.
- ١٠- تسخير رأس المال العربي واستثماره لتنمية مشروعات الموارد المائية في الوطن العربي.
- ١١- تطوير بيوت الخبرة الاستشارية في مجال المياه.
- ١٢- وضع آليات محددة لربط الأمن المائي العربي بالأمن الغذائي العربي.
- ١٣- توجيه الاستثمارات العربية نحو التنمية الزراعية، مما يؤدي إلى زيادة مساهمة القيمة المضافة للقطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي العربي.
- ١٤- اعتبار قضية الأمن الغذائي والمائي العربي قضية ذات أهمية استراتيجية تتعلق بأمن الأمة الاقتصادي.
- ١٥- دعم المنظمات العربية ومراكز البحوث العاملة في مجال المياه ومجال التنمية الزراعية.
- ١٦- زيادة فعالية وتكثيف برامج الإرشاد والتوعية المائية.
- ١٧- جعل خطورة محدودية الموارد المائية محور اهتمام اجتماعات القمة العربية.

## مصادر البحث

- ١) منذر خدام، الأمن المائي العربي: واقع وتحديات. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣.
- ٢) محمود الأشرم، اقتصاديات المياه في الوطن العربي والعالم، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٨.
- ٣) محمود أحمد خليل، تنمية الموارد المائية في الوطن العربي، القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٥.
- ٤) صبحي مجدي، مشكلة المياه في المنطقة والمفاوضات المتعددة الأطراف. القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، دراسات استراتيجية رقم ٧، لعام ١٩٩٢.
- ٥) سامي مخبر، أزمة المياه في المنطقة العربية: الحقائق والبدائل الممكنة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٠٩، لعام ٢٠٠٩.
- ٦) ندوة مصادر المياه واستخداماتها في الوطن العربي، المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة. الكويت ١٧-٢٠ شباط/١٩٩٦.
- ٧) جامعة الدول العربية، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٤، ص ٥٥-٥٦.
- ٨) جامعة الدول العربية، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١١، ص ٤٩-٥١.
- ٩) جامعة الدول العربية، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠١٠، ص ٤٤-٥٥.
- ١٠) د.م سفيان التل، الأمن المائي العربي، كبير مستشاري برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، عمان- أبريل- نيسان ٢٠٠٤.
- ١١) عدنان عباس حمدان وخلف مطر الجراد، الأمن المائي العربي ومسألة المياه في الوطن العربي، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٢، العدد الثاني ٢٠٠٦.
- ١٢) المنظمة العربية للتنمية الزراعية التقرير السنوي لعام ٢٠١٦.
- ١٣) المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة، التقرير السنوي لعام ٢٠١٦.
- ١٤) جان خوري، الموارد المائية المتاحة للوطن العربي في مطلع القرن الواحد والعشرين، الزراعة والمياه في المناطق الجافة في الوطن العربي، المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة، العدد ١٦، ايلول ١٩٩٦.
- ١٥) مركز الدراسات المائية، التقرير السنوي لعام ٢٠١٤، دمشق، ٢٠١٤.

## كتب ومراجعات

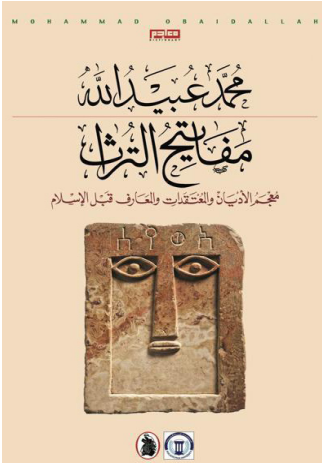




## مفاتيح التراث مشروع معجمي لتوثيق التراث الحضاري والثقافي عند العرب

أ.د. محمد عبيد الله\*

(١)



يحمل هذا الإصدار عنوان (مفاتيح التراث: معجم الأديان والمعتقدات والمعارف قبل الإسلام)، وهو حلقة من حلقات اهتماماتي المعجمية، في مجال التراث الثقافى والحضارى عند العرب، يلتقى في جانب منه باهتمامات المعجم التاريخى المخصص لحقبة واحدة، كما يقدم إضاءات مكثفة على الحياة العقلية أو الوعى العربى قبل الإسلام، من خلال العلاقة الوثيقة بين الكلمات (اللغة) وما تحمله من

دلالات فكرية وإشارات عقلية، وما تسمح به اللغة ذاتها من استنتاجات وما يمكن أن تملأ به فراغات كثيرة حول تصور العرب لأنفسهم وللكون وللعالم من حولهم.

وقد تميّز العرب منذ القديم بالسبق في مجال الصناعة المعجمية بوصفها وسيلة منهجية حيوية لضبط اللغة ومحتواها الحضاري والثقافي، انطلاقاً من مفرداتها ووحداتها المعجمية، فوضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت نحو ١٧٥هـ) كتاب (العين) ووضعت بعده معاجم متعدّدة المناهج والطرائق، تضمّنت مادّة ثريّة عن حقبة ما قبل الإسلام، وفي ضوء محدّدات الفصاحة وصحّة اللغة غدا للشعر

\* ناقد وأديب وأكاديمي، عميد كلية الآداب والفنون بجامعة فيلادلفيا (الأردن).

والتراث الجاهلي قيمة عالية؛ لأنه يحقّق تلك المعايير والقواعد أفضل تحقيق، بل يُعدّ شاهداً على صحّة اللغة وفصاحتها، ويعدّ عنصراً من عناصر فهمها وإدراك أبعادها. ومن خلال التعريف اللغوي قدّم المعجميون إضاءات تاريخية ومعرفية ومعلومات موضّحة لكثير من مفاتيح التراث الثقافي والحضاري العربي قبل الإسلام. ولعلّ جهدنا في هذا المعجم لا ينفصل عن ذلك التراث المعجمي القديم، وإن كان يختلف عنه في بعض معالم المنهج وطريقة التأليف في ضوء تطور صناعة المعاجم وترتيبها وتحريرها في العصر الحديث.

ومن المعلوم أن المعجم أي معجم كتاب كلمات أو ما في حكمها من المصطلحات والتعبيرات المتضامّة التي تصلح لتكون مداخل معجمية، وفي هذا الكتاب (٢٥٧) مدخلاً معجمياً يعكس أديان العرب ومعتقداتهم ومعارفهم، انطلقت في تحديدها من مدونة واسعة شملت الشعر الجاهلي والأمثال والنثر القديم، إلى جانب المصادر المعجمية والتاريخية والأدبية المتنوعة. وحاولت تعريفها من منظور معجمي ينطلق من المادة اللغوية والبحث في تأصيلها وتشعباتها المختلفة، مراعيّاً في ذلك ما تتطلبه وتسمح به الصناعة المعجمية من إيضاحات وشروحات، وأحسب أنه في عمومها وشمولها يقدم مادة وفيرة عن الحياة العقلية قبل الإسلام، بمنهجية علمية وأكاديمية بعيدة عن المبالغة وعن الهوى والتميط.

## (٢)

المعاجم في رأيي ورأيي كثيرين كتب مرجعية يسميها بعضنا (أمهات الكتب)، ذلك أنها تشكل منطلقاً لدراسات كثيرة متشعبة، وحتى توضع وتؤلّف تتطلب جهداً ووقتاً وصبراً بلا حدود، وهذا المعجم تطلب ما يقرب من عشر سنوات من العمل لساعات طوال بشكل شبه يومي، ولو كان الأمر جمع معلومات لكان الأمر هيناً ويسيراً، فالمعلومات ليست متوفرة بهذه البساطة على قارعة الطريق، بل في بطون



الكتب وبين السطور، وهناك تضارب واختلاف فيها بين مصدر ومصدر، ولا بد من جمعها وتحليلها وتخليها للوصول إلى صورة يطمئن إليها الباحث قبل القارئ. الملاحظة الأخرى أن المعجم ليس كتاباً إبداعياً أو كتاباً نقدياً وإنما هو كتاب يقدم المعرفة الدقيقة التي لا لبس فيها، وعادة ما نلجأ إلى المعاجم لنزيل الالتباس والغموض عن بعض الكلمات أو المصطلحات أو التسميات، فإذا لم يتم المعجم بهذا من خلال ما يقدمه من معرفة دقيقة مقنعة فإنه يكون معجماً ناقصاً أو معيباً، ولقد حاولت في هذا المعجم الإحاطة بأهم الكلمات المفتاحية التي لا بد منها لتفهم التراث الثقافي والحضاري عند العرب قبل الإسلام، وقبل أن أكتب أية مادة كنت أقرأ عشرات وأحياناً مئات الصفحات المرتبطة بالمدخل، وما في معجمي هو خلاصة أمينة موثقة أحسب أنها أفادت من جهود المعجميين العرب ومن عشرات المصادر القديمة والحديثة، وتوصلت في كثير من المداخل إلى حقائق جديدة وفهم جديد لكثير مما التبس فهمه على المعجميين والباحثين السابقين.

### (٣)

أديان العرب ومعتقداتهم ومعارفهم هي جزء من تصور الأسلاف والإنسان القديم للكون وللعالم وللعلاقة مع الطبيعة ومع قواها الخفية، وليس المهم في الأديان والأساطير القديمة أنها حق أو باطل، فهذا حديث تجاوزناه من زمن بعيد، وإنما المهم معانيها ودلالاتها، حيث ترينا جانباً أصيلاً مبدعاً من كيفية تفاعل الإنسان مع ما حوله، فهي من نوع المعرفة المبنية على الضرورة وليس الترف أو ما هو زائد عن الحاجة.

تنبئك الألفاظ المفتاحية للأديان والمعتقدات عن المجهود الكبير الذي بذله الإنسان العربي ليطمئن وليطرد خوفه، وليجلو جانباً من العتمة التي تحيط به، لم يكن العلم قد تطور كما هو اليوم، ولم تكن الكتابة والقراءة والتقنية قد أخذت حظها من الاستعمال. ولم يكن الدين الحق قد جاء ليجد الإنسان طريقاً مههداً نحو الإيمان.

ولذلك علينا أن ننظر إلى ذلك الإنسان ونقدره ونفهمه كما كانت أحواله وظروفه، وليس من موقع ترفنا المعرفي والعلمي والديني في الوقت الراهن.

كذلك يمكن الإشارة إلى أن المرحلة الإسلامية التي قلبت حياة العرب ونقلتهم إلى حياة جديدة لم تلغ في الحقيقة كل ما سبقها، فلقد اعتمدت اللغة نفسها وأقرت كثيرا من الأخلاق والتصورات التي تسربت إلى العرب من الحنيضية القديمة ومن الأديان السماوية الأخرى، والوثنية التي كانت ديانة عموم العرب جاء ذكرها في القرآن الكريم ووقف المفسرون عند معالمها، وحين نعرف بها فلكي نفهم تلك المرحلة التي توقف الاعتقاد بها منذ مجيء الإسلام. بل لكي نحسن فهم الإسلام وفهم كثير من تشريعاته وأحكامه لا بد لنا من فهم الأمور التي نقضها ورفضها، وهذا وغيره يشكل دافعا لاستمرار الاهتمام بما قبل الإسلام سواء ما يتعلق بالدين أو اللغة أو غير ذلك من مفردات الثقافة والحضارة.

#### (٤)

اللسان العربي مفتاح الحضارة والثقافة العربية بأسرها، وإذا كنا عربيين بالمعنى الجوهري والحقيقي فينبغي أن نخدم لغتنا ولساننا، في ماضيه وحاضره، ولقد قيل الكثير في الحقبة الاستعمارية عن العقلية العربية واتهمت بالضحالة والسطحية والسطحية وضعف الخيال والعجز عن النظرة التركيبية، بينما وصفت شعوب أخرى بسعة الخيال مما يتمثل في الأساطير والطقوس والمعارف الخيالية المرتبطة بالأديان القديمة، ولعل معجما مثل معجمنا يرد بشكل علمي على مثل هذه الاتهامات المنبعتة من منطلقات عرقية بائدة، ومن وهم التفوق والاستعلاء، مما له تجليات كثيرة خارج ما نتحدث عنه. عندما نُورخ تاريخاً معجمياً لهذه الثروة اللغوية التي تدل على التصورات الممتدة وعلى رؤية واسعة تشمل الكون والطبيعة فإننا نقول بأن ما سمي بالجاهلية ليس جهلاً وأن إعادة الاعتبار لجانب حيوي من وعينا الأسطوري أمر ينسجم مع احترامنا لذاتنا ولهويتنا.

ولو نظرنا على سبيل المثال في الثقافة الأوروبية والأمريكية الحديثة لوجدنا الولوج بكل ما يتصل باليونان والرومان، ولوجدنا المعاجم والقواميس المتعددة حول تلك الحضارات القديمة ومفرداتها الأسطورية والدينية وحول أعلامها وحروبها، في صورة جعلت منها أساسا يعتد به في التعليم والبحث والتأليف دون تناقض مع الحاضر، ولكن عندما يتعلق الأمر بإحياء جوانب من الحضارة العربية تجد علامات الاستفهام هنا وهناك، وكأن ماضيها بلا قيمة أو أن هناك من يعده (تابو) لا يراد استرجاعه أو الإطالة عليه.

هذا المعجم مساهمة بسيطة مني تعبر عن ولهي باللغة العربية وبالعروبة في أصولها القديمة ذلك أنني ممن يؤمنون أن حلقات الحضارة لا تنفصل وأن المستقبل لا يتحقق بالصورة التي نطمح إليها إلا من خلال استيعاب الماضي ومعرفته معرفة علمية أكيدة، بعيدا عن لغة الشعارات المنقّرة.

## (٥)

تطورت الصناعة المعجمية في مناهجها وطرائقها في الجمع والوضع وتحرير المادة المعجمية، ولا بد أن يراعي المعجمي كل ذلك ويفيد من مناهج المعجميات بما ينعكس بصورة إيجابية على عمله، وقد اجتهدت في الاستفادة من كل ذلك في ترتيب المداخل ترتيباً هجائياً سهلاً، وفي التعامل مع المداخل الاصطلاحية تعاملاً يخضع لأسس الصناعة المعجمية، بعيدا عن طريقة الجذور التي تقيد في المعاجم العامة وليس في المعاجم الاصطلاحية أو المتخصصة. وأكثر ما كان صعبا يتعلق بترتيب المعلومات المعجمية داخل المادة، بطريقة سلسلة للقراءة ولل فهم، ذلك أن المعجم يكتب لقارئ سيفيد منه، ولا يريد أن يخوض في الاختلافات والاجتهادات والمعلومات المتضاربة الواردة في المصادر أو المبنية على الاستنتاج والاستقراء، ولذلك فما أوردته هو خلاصات لأبحاث مطولة تم تكثيفها ومعالجتها لتقدم معرفة واسعة في حيز طباعي محدود، ينسجم مع ميل المعاجم إلى الكثافة بالرغم من حجمها الكبير عامة.

كذلك أفدت من علم المفردات وعلم الدلالة لمعالجة ما تتعرض له الكلمات من تطور، قبل الإسلام وبعده، وكثيراً ما كنت أشير إلى الأصل المادي للدلالة قبل أن تنتقل أو تعمم أو تخصص، أو تكتسب معنى جديداً.. كل ذلك له قوانين ومبادئ اضطرت للبحث فيها حتى تنعكس تطبيقياً على معالجة المواد والتعريف بها، ذلك أن تراثنا المعجمي لا يقدم إجابات مباشرة عن ذلك ولا بد من الاجتهاد والمقارنة وتطبيق القوانين الحديثة في علمي المفردات والدلالة لتبين جوانب من ذلك كله.

كما أفدت من مبادئ صناعة المعجم التاريخي، وخطر لي أنه قد يكون لبنة في المعجم التاريخي للغة العربية، ذلك أنه يؤرخ لألفاظ حقبة مبكرة غامضة لم تبحث بصورة دقيقة حتى اليوم، وما عملي إلا مساهمة واحدة من مساهمات كثيرة يمكن تقديمها تخص أصول الألفاظ ودلالاتها ومعانيها المتشعبة.

ومن ناحية منهج الترتيب فقد عدلنا عن منهجية الجذور الشائعة في المعاجم العربية، فقارئ المعجم المتخصص ينطلق من اللفظة الاصطلاحية بصورتها المشهورة المستعملة، وليس من الجذر اللغوي، بل إن كثيراً من تلك الألفاظ يصعب إعادتها إلى الجذور لخفائها أو ضياع أصولها. فرُتبت المداخل ترتيباً هجائياً على لفظها الأشهر، في حال وجود أكثر من كلمة للمفهوم نفسه، وليست بذات فائدة في معجم تاريخي ثقافي من هذا النوع الذي نعالجه.

وقد راعى المعجم التوجه التاريخي بمحاولة الاقتراب ما أمكن من المعنى التاريخي للألفاظ، انطلاقاً من أن المعنى يتغير ويتبدل من مرحلة إلى أخرى، فالمعنى ظاهرة تاريخية متحوّلة، وثمة نوع من المعاجم يُسمّى اليوم بالمعاجم التاريخية التي تُعنى بتطور الألفاظ مبنياً ومعنى، إلى جانب الاهتمام بتأصيل الكلمة عبر الإفادة من اللغات السامية وغير السامية التي وفدت منها الألفاظ أو استُعملت فيها.

وفي بناء المادة المعجمية وصياغتها اجتهدنا في تطبيق معظم ما يلحّ عليه المعجميون من عناصر واعتبارات معجمية؛ ومن ذلك الاهتمام بضبط الكلمة المفتاحية، ووصف ضبطها بالحروف إن لزم الأمر، وإن كان لها أكثر من صورة نبّه على ذلك. وأما المعلومات اللغوية فأثبت منها ما يحتاج إليه القارئ للإلمام بالكلمة وتفهم

معناها واستعمالها. واهتم المعجم بإيراد الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي والأمثال والنثر بوجه عام، وأكثر ما نال مساحة من الاهتمام ما يمكن تسميته بالمعلومات الثقافية والموسوعية حول المدخل المقصود، ذلك أن هذا المعجم يهدف إلى التعريف بمصطلحات وألفاظ متفاوتة الوضوح، فيلزمها التعريف الموجز الواضح، وقد حاول المؤلف تقريب مادة التعريف ما أمكن لتكون قريبة من الأفهام، بصياغة يمكن أن يفهمها ويتفاعل معها القارئ المعاصر.

ويجد القارئ في هذا المعجم معظم المداخل اللازمة للإحاطة بأديان العرب ومعتقداتهم ومعارفهم قبل الإسلام، ويشمل ذلك: أسماء أديان العرب وأصنامهم وأنصابتهم وأوثانهم. كما يشمل تسميات الوظائف والجماعات ذات الطابع الديني، وبعض الأساطير والخرافات والممارسات والطقوس القديمة، إلى جانب التعريف بالأماكن والمعابد التي كانوا يمارسون فيها عباداتهم. ويشمل المعجم سبل المعرفة القديمة؛ كالكهانة، والعرافة، والقيافة، والتطيّر، وزجر الطير ونحو ذلك، مما حاولوا من خلاله استشراف المستقبل والاطلاع على الغيب والمجهول. ويكشف عن تصوّر العرب حول الكائنات غير الإنسية من خلال تفسير التسميات التي حفظتها اللغة والأشعار لتلك الكائنات. وفي معارف السماء يعرف المعجم ببعض مفاتيح الفلك والنجوم والأنواء والأزمنة، وخصوصاً ما كان له صلة بالديانة والمعتقد. كما تعنى بعض مداخل المعجم بمعارف العرب في معالجة بعض الأمراض، وقد اختلط في فهمهم المرض بالاعتقاد، فتصوّروا أن سبب المرض يعود إلى فعل الجنّ أو غضب الآلهة، فلجأوا إلى سدنة الأصنام والكهنة والعرّافين للاستطباب.

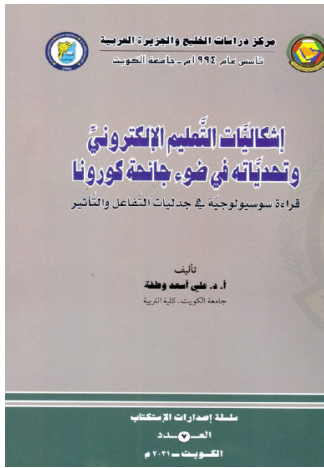
## (٦)

هناك عدة كتب من هذا المشروع، وهي تنتظر حظها من التحرير والمراجعة ليتسنى لي نشرها في المرحلة القادمة، وتشمل عدة معاجم تتصل بحقبة ما قبل الإسلام: معجم مصطلحات اللغة والكتابة والأدب، ومعجم المجتمع والثقافة الشعبية الذي

يضم مداخل حيوية حول: القرابة والنسب والجماعات والزواج، وحول دورة الحياة وثقافة المجتمع، وألغاز أيام العرب وتقاليد الحرب، وألغاز الأسواق والبيوع والمكاييل والأوزان والنقود. وأما معجم الحضارة المادية فيشمل: الأطعمة والأشربة والآنية، والزراعة والبيتر والنبات، والصناعة: الأدوات، سلاح العرب. ومعجم الفنون والألعاب والأزياء ويشمل: الرسم والتصوير، النحت والزخرفة والعمارة، الموسيقى والغناء، والألعاب والملاهي، والأزياء والمنسوجات والحلي والزينة والعمارة.

# إشكاليات التعليم الإلكتروني وتحدياته في ضوء جائحة كورونا (قراءة سوسيولوجية في جدليات التفاعل والتأثير) للدكتور علي أسعد وطفة

عرض وتقديم: د. سعيد بو عيطة\*



دفعت جائحة كورونا المؤسسات التعليمية في مختلف دول العالم إلى تطوير بدائل مناسبة ومبتكرة للتعامل مع الواقع الذي فرضته الجائحة، أهمها الانتقال إلى التعلم عن بُعد، وتدريب أعضاء هيئة التدريس على استخدام برامج التعليم ومواده وأدواته عبر الإنترنت. وبما أن التعليم الإلكتروني جديد في عالمنا العربي على الأقل، فقد صاحبه العديد من العوائق والمعضلات التي من الممكن تجاوزها مستقبلاً. لهذا، حاول العديد من الباحثين

إيجاد مقترحات ممكنة لمختلف هذه المعضلات، من أبرزهم الدكتور علي أسعد وطفة في كتابه الأخير (إشكاليات التعليم الإلكتروني وتحدياته في ضوء جائحة كورونا، قراءة سوسيولوجية في جدليات التفاعل والتأثير)، تناول من خلاله مظاهر التفاعل بين الأزمة التي أحدثها فيروس كورونا والتعليم الإلكتروني عن بُعد في مختلف مستويات المراحل التعليمية. وقدّم تصوراً شمولياً لتأثيرها في العملية التعليمية، خاصة بعد إغلاق المدارس والمؤسسات الأكاديمية في مختلف أنحاء العالم.

\* أكاديمي وناقد (المغرب).

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عن مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، بجامعة الكويت، سنة ٢٠٢١، في ٤٢٥ صفحة من الحجم المتوسط. ويتكون من مقدمة وعشرة فصول، وخاتمة. وتكمن أهمية هذا الكتاب في مسألتين أساسيتين؛ ترتبط الأولى بالباحث علي أسعد وطفة أستاذ علم الاجتماع التربوي بكلية التربية (جامعة الكويت)، الذي ارتبط اسمه بالعديد من المؤلفات، نذكر من بينها: «العنف والعدوانية في التحليل النفسي»، و«الجمود والتجديد في العقلية العربية»، و«بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي»، و«التنشئة الاجتماعية في دولة الكويت»، و«المدخل إلى التربية»، و«الشباب والمرأة»، و«الشباب قيم واتجاهات ومواقف»، و«التربية وحقوق الإنسان». كما ترجم مجموعة من الأعمال الهامة، مما مكّنه من تعميق البحث بشكل متميز في قضايا التربية والتعليم والعمولة والثقافة، لما عرف عنه من حصافة فكرية ونزعة نقدية عميقة. أما المسألة الثانية، فتتجلى في تركيز الكتاب على إشكالية شائكة ترتبط بقضايا التربية والتعليم في زمن جائحة كورونا، مما جعله، يحرز قصب السبق في هذا الجانب شديد الأهمية على مستوى الموضوع، علاوة على كونه يتميز بأسلوب ومنهجية جديدين، من خلال بحثه في التفاعل والتأثير بين مختلف عوامل هذه القضية ومتغيراتها، واستقصائه لمختلف الجوانب الإشكالية التي تتعلق بالتربية والتعليم الإلكتروني.

وقد حدّد الدكتور علي أسعد وطفه في المقدمة إشكاليات التعليم الإلكتروني وتحدياته في ضوء جائحة كورونا. لأن الجائحة الحالية تمثل حسب تصوره ظاهرة عالمية كوكبية، ترسم مفصلاً تاريخياً لمرحلة جديدة في تاريخ الفكر الإنساني. فالكارثة اليوم لا تتمثل جوهرياً في الأعداد الهائلة للمصابين بالجائحة، بل في مضاعفاتها الهائلة في مختلف مجالات الحياة. لهذا، انطلقت الدراسات التربوية والأبحاث العلمية في محاولة للكشف عن الجوانب المظلمة للأزمة، وابتكار وسائل المواجهة وطرق الدفاع والحماية، ودراسة التأثير البعيد والقريب لهذه الأزمة في المجتمع الطلابي على مستوى الكوكب، في محاولة جادة لفهم ما يجري. ومن ثمّ الانطلاق إلى مواجهة التحديات الصعبة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، دفعت



المؤسسات التعليمية في مختلف دول العالم إلى تطوير بدائل مناسبة ومبتكرة للتعامل مع الواقع الذي فرضته الجائحة، أبرزها الانتقال إلى التعلم عن بُعد، وتدريب أعضاء هيئة التدريس على استخدام برامج التعليم ومواده وأدواته عبر الإنترنت.

يستعرض الفصل الأول إشكالية الصدمة الأولى للفيروس التي أدت إلى الإغلاق الشامل للمدارس والمؤسسات التعليمية وما تترتب على هذا الأمر من تحديات فرضت نفسها على التعليم ومؤسساته في مختلف أنحاء العالم. وكان من أكثر القطاعات تأثراً مجال التربية والتعليم. فقد فرض الخوف من العدوى وضرورة التباعد الجسدي محاذير أصابت العملية التعليمية التقليدية في مقتل. وتم اللجوء إلى إغلاق المؤسسات التعليمية، والاستعاضة عن الدرس التقليدي الحضوري ببعض البدائل، من أهمها التعليم الافتراضي، أو التعليم عن بُعد. ولئن وُجد الخوف والهلع من جائحة كورونا الإنسانية، فإن مختلف المشكلات التي أنتجتها هذه الجائحة قد عمقت الفوارق بين الدول النامية والدول المتقدمة، مثلما عمقتها داخل المجتمع الواحد بين الفقراء والأغنياء. وتوقع الخبراء والباحثون والمنظمات الدولية أن تمتد آثار جائحة كورونا السلبية إلى الأجيال القادمة، وأن البشرية ستحتاج وقتاً طويلاً لمعالجة تلك الآثار، وأن تاريخ الإنسان ما قبل كورونا على هذا الكوكب لن يكون كما بعده.

وفي الفصل الذي تناول فيه المؤلف مفهوم التعليم الإلكتروني وإشكالياته (من التعليم عن بُعد إلى التعليم الإلكتروني)، أشار إلى تداخلات هذا المفهوم مع مختلف المفاهيم المتاخمة له في مختلف المستويات التعليمية، لأن المقارنة بين مفهومي التعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد في حالة الطوارئ، ستمكّن في المستقبل من تعقب آثار التعليم في حال الطوارئ، وتأثيرها في الثقافة التربوية العامة، وفي الرأي العام حول صلاحية التعليم عن بُعد في مستقبل التربية والتعليم في العالم. كما ستساعد المقارنة بين هذين المفهومين على فهم أعمق لفلسفة التعليم الإلكتروني ومضامينه التربوية، وتعزيز فهمنا لخريطة المفاهيم وشبكتها التي تغطي مختلف أشكال التعليم عن بُعد وتجلياته الإلكترونية على كل

التصورات السائدة، التي تحيل التعليم الإلكتروني إلى مجرد ممارسة تكنولوجية لنقل المعلومات عن بُعد. وهنا يأخذ التعليم الإلكتروني - حسب الباحث - صورة منظومة معرفية حيّة متكاملة الأبعاد قوامها التفاعل الحيوي بين الثورة الرقمية والفكر التربوي في أكثر تجلياته أنسنة وتميزاً. وهنا يجب علينا أن نلحّ على أهمية الفصل بين التعليم عن بُعد في حالة الطوارئ التي شهدها العالم على مدار سنة (٢٠٢٠)، والتعليم الإلكتروني الذي يحتاج إلى درجة كبيرة وعالية من الإعداد والتنظيم. لهذا، يرى الباحث أن التعليم عن بُعد الذي فرضته حالة الطوارئ، لا يخرج عن التعليم التقليدي عن بُعد؛ إذ يتم نقل المعلومات بصورة جامدة وفقاً للمنهج التقليدي في التعليم. لهذا، يختلف التعليم الإلكتروني عن التعليم التقليدي عن بُعد في المستوى والدرجة والقيمة، لكونه يقوم على فلسفة محددة وأهداف مصممة لتحقيق أفضل مستويات التعليم والتربية عند الأطفال والناشئة. لكن ليس ممكناً أبداً تبني هذا التعلم الإلكتروني من دون فلسفة جديدة للتعليم، تتوافق مع تطورات العصر في أكثر مظاهره الرقمية الذكيّة حضوراً وتطوراً. فالتعليم الإلكتروني في فلسفته التربوية يقوم على إزالة الحواجز بين الأطفال في دائرتي المكان والزمان.

كرّس الباحث الفصل الثالث الذي حمل عنوان «الأطفال في مواجهة الإعصار، جيل في مهبّ كورونا» لمعالجة التأثيرات التي فرضتها جائحة كورونا على أطفال العالم وعلى حياتهم ونشاطاتهم في مختلف أنحاء العالم. فمن نافذة القول التذكير بأن الأطفال والناشئة يعيشون في ظلّ ثلاثة فضاءات حيوية للتنشئة (الفضاء الاجتماعي، والفضاء الطبيعي، والفضاء المدرسي). وتتكامل هذه الفضاءات في عملية التشكيل الروحي والنفسي، والجسدي للطفل. كما تُبنى شخصيته من خلال تفاعله في المدرسة مع أقرانه وفي النوادي والملاهي. وبحلول الأزمات وتطبيق الحجر الصحي، فقد الطفل جناحي وجوده؛ إذ حُرِمَ من الفضاء الاجتماعي (المدرسة) ومن الفضاء الطبيعي. وهذا أدى إلى نوع من التدمير الكبير في شخصية الطفل وكيونته الاجتماعية، مما أفضى في المحصلة إلى وضعية شديدة التأزم، أثرت بصورة مباشرة في تنشئة شخصية الطفل وتربيته. أمّا الفضاء الثالث (الجو الأسري)، فهو مشبع بمسؤوليات كبيرة جداً. وقد صعب

على أفراد الأسرة جميعاً تحمّل هذا الضّغط الكبير الهائل الذي أخذ أبعاداً عدة: سيكولوجية، وتربوية، واجتماعية ضاغطة، وخطيرة؛ بمعنى أنه مهما يكن من التسليم بقدرة التعليم الإلكتروني في المنزل على أن يحلّ جزئياً إشكالية التعلم والتعليم، فإنّ هذا التعليم عن بُعد ينأى عن القصد في مجال بناء الشخصية. وهنا تكمن حسب الباحث إحدى أكبر مشكلات الحَجْر الصحي والتعليم عن بُعد. وعلى الرغم من كلّ الفروض، يظل سؤال مهمّ قائمٌ يدور في خلد الكثيرين مفاده: هل سيستمرّ زخم التعلم الإلكتروني فيما بعد كورونا، أم أنه سيختفي وتعود الأمور إلى مسارها السّابق؟ وهنا تتعدد الآراء بين من يظن أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه، ومن يعتقد أنّه لا رجعة عن التعليم الإلكتروني الذي طالّ انتظار التحوّل إليه بشكل أكبر. وفي الفصل الرابع: التعليم عن بُعد بوصفه خياراً استراتيجياً (تجارب عربية وعالمية) وصف الباحث تجربة الخليج في مواجهة كورونا بالتجربة الناجحة والمميزة مقارنة بالدول العربية الأخرى، فقد سارعت دول الخليج العربي إلى احتواء الآثار السلبية لهذه الأزمة، وتمّت إدارتها بدرجة عالية من المهنية والقدرة على التكيف واستطاعت أغلب الأنظمة التّعليمية تحقيق الانتقال السّلس إلى التّعليم عن بُعد في حالة الطوارئ لتابعة الدراسة والتحصيل العلمي للطلبة والتلاميذ في مختلف المراحل التّعليمية. فمهما يكن من أمر، فإنّه بقدر ما انطوت عليه هذه الجائحة من صعوبات جمّة، إلا أنها تمثل فرصة سانحة في حد ذاتها للاستفادة منها، لأن لدى دول الخليج القدرة على تحقيق إنجازات تتجاوز مجرد استعادة الأمور إلى سابق عهدها.

وكرس الدكتور وطفة الفصل الخامس (التجربة التربوية لدول الخليج العربي في مواجهة كورونا) للبحث في معطيات التجربة التربوية لدول الخليج العربي في مواجهة الأزمة. فقد كانت هذه التجربة فريدة من نوعها، نظراً لتميّز دول الخليج بقدراتها المالية الكبيرة، وبدرجة عالية من النمو الاقتصادي والتقدم العمراني والتّعليمي في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية؛ إذ شكلت أزمة كورونا، منطلقاً وحافزاً دفع دول الخليج العربي إلى إعادة هيكلة التّعليم بأنظمتها وفلسفاته وتوجهاته، وإحداث تحولات جذرية في مسيرة بناء الهوية التّعليمية.

واستعرض الباحث في الفصل السادس إشكالية العلاقة بني التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني. كما تناول الخصائص التي تميز كلا منهما في سياقه التاريخي، لمقاربة الكيفيات التي يتم فيها الانتقال إلى التعليم الإلكتروني عن بُعد في ظل الكارثة. لكن تحديات التجربة الحالية في التعليم عن بُعد في حالة الطوارئ انعكست كثيراً بصورة سلبية على بنية الرأي العام حول صلاحية التعليم عن بُعد، ومدى قدرته على التجاوب مع احتياجات التعليم ومتطلباته الحضارية؛ إذ قام المعلمون بنقل المحتوى الجامد عن طريق الشبكة بصورة جامدة لا حياة فيها. ووصف الباحث هذا الأسلوب بكونه صورة سلبية من التعليم التقليدي الذي يُنقل عبر الإنترنت؛ بمعنى أن التعليم عن بُعد الذي نشاهده اليوم، هو التعليم التقليدي عينه، لكونه لم يتغير إلا في طريقة النقل. لذا، فإن الآباء والمعلمين والطلاب، صدموا بسلبيات هذا التعليم، وتوهموا أن التعليم الإلكتروني النموذجي لا يختلف عن الذي يشاهدونه اليوم ويجربونه بصورة اعتباطية. لكنهم حسب الباحث، لا يعرفون مزايا التعليم النموذجي الإلكتروني. وخلص الباحث في هذا الشأن إلى تصور كانط الذي يذهب إلى أن تربية الأطفال وفقاً للمفهوم الإنساني، يجب أن لا تُشتق من مقتضيات أحوالهم الراهنة، لكن من مستلزمات الأحوال المستقبلية المتطورة للجنس البشري؛ بمعنى أن المنهج التربوي ترسمه حركة التاريخ العام، وليس تجارب الماضي.

وفي سياق حديثه في الفصل السابع: التعليم العالي والجامعي في مواجهة كورونا، تجارب عالمية وعربية؛ ناقش المؤلف التحديات التي فرضت نفسها على التعليم العالي والجامعي في مواجهة كورونا في سياق التجارب العالمية والعربية. كما بحث الكيفيات التي اعتمدها مختلف البلدان في التصدي للكارثة ومتابعة التحصيل العلمي عن بُعد في ظروف كورونا وتعقيداتها. فعلى الرغم من أن معظم مؤسسات التعليم العالي لم تستثمر تقليدياً في التعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد بوصفهما ركيزتين أساسيتين في تجربة التعليم الجامعي، فإن أزمة كورونا جاءت لترسيخ إيقاع التغيير القائم على الذكاء الاصطناعي، الذي بدأ يحدث تغيرات جوهرية في بنية التعليم العالي واستراتيجياته. فمن المؤكد أن الأزمة الحالية ستؤدي إلى تسريع هذا الاتجاه الرقمي في مختلف الجامعات في العالم.

وربما ستؤدّي كذلك تجارب التعليم عن بُعد التي فرضتها كورونا على الجامعات والمؤسسات الأكاديمية إلى تعزيز التوجهات المستقبلية، وإلى تحديث التعليم الجامعي، وترويضه على معطيات الثورة الرقمية في مجال التعليم الإلكتروني.

وتناول الباحث في الفصل الثامن: مستقبل التعليم العالي والجامعي في ظل أزمة كورونا، باعتبارها تجربة مؤلمة وصعبة على المجتمعات الإنسانية التي عليها أن تُعدّ العُدّة، وتوفّر الطاقات والإمكانات المتاحة لضمان مستقبل آمن للأطفال والطلاب والنّاشئة في مجال التربية والتعليم، مما تطلّب اجترار المبادرات العلميّة الذكيّة في مواجهة الأزمات والتغلب على أشدّ التحديات والأزمات. وهنا لا بدّ للمؤسّسات التعليميّة من أن تتبنّى الابتكارات العلميّة والإلكترونيّة الجديدة، وأن تعمل على استكشاف الحلول الإبداعية لمختلف المشكلات التي يمكن أن تواجه سير العملية التربويّة في مستقبل الأيام. وعليها أيضاً العمل المستمرّ لتطوير إمكانيّاتها وزيادة فعاليتها الإبداعية في مجال تبني التكنولوجيا الحديثة الذكيّة المتطورة، وبعد هذا كله يمكن القول: إنّ هناك جامعات متقدّمة تقوم بالتعلّم النّمودجي عن بُعد في أفضل المستويات التربويّة.

أما في الفصل التاسع: مستقبل التعلّم العام فيما بعد أزمة كورونا، فقد ركز الباحث على مستقبل التعلّم العام والأساسي فيما بعد أزمة كورونا. فتحت تأثير كورونا، بدأ الآباء والطلاب والمعلمون في جميع أنحاء أوروبا يتكيفون مع الوضعية الجديدة للتعليم عن بُعد الذي يتجه إلى أن يكون تعليماً إلكترونياً نموذجياً جيداً بامتياز. وحين تبدأ المدارس في إعادة فتح أبوابها من جديد، فإن هذا الأمر لن يتطلب التكيف مع استخدام التكنولوجيا، بل تطوير هذه التكنولوجيا التعليميّة وإعداد المحتويات الإلكترونيّة والترسّانات الرقمية ضمن قوالب تربويّة جديدة ومتطورة ومتكيّفة مع متطلبات الثورة الرقمية في مختلف مجالات الحياة الإنسانية.

يستعرض الفصل العاشر الدروس والعبر المستفادة من أزمة كورونا، كما يبحث في الوضع العربي المتأزم وضرورة الانتقال التربوي إلى عالم الثورة الرقمية تحت تأثير الصدمة. كما يبحث في الكيفيات التي يمكن فيها للأزمة أن تحرّض المدرسة العربيّة على التفاعل مع معطيات العصر وتحولات الثورة في مستقبل

الثورة الصناعية. من هنا يكرّر المفكرون عبارة: إن ما بعد كورونا لن يكون كما قبلها.

وفي الخاتمة خلص الباحث وطفة إلى أن النقطة الأكثر أهمية التي وقف عليها الإنسان بفضل الصدمة، هي هذا الارتباط المصيري بين التربية والاقتصاد وحركة التطور المعاصرة التي تنتشر بلا حدود على صورة ثورات علمية رقمية متدفقة في إطار الزمان والمكان، حيث اكتشف للتو أن التربية التي لا تتحرك في هذا الفضاء، سيحكم عليها بالفناء والاندثار، لأن مواكبة المدرسة للثورة الصناعية الرابعة، مصير حتمي إذا أرادت التربية، ومن ورائها المجتمع، الاستمرار في الوجود وظيفياً وحضارياً، مما يؤسس حسب الباحث لنزعة ثورية في التربية والتعليم، تقوم على تحرير المدرسة من براثن الممارسات التقليدية المتأكلة والمتهاكلة في مختلف الأبعاد والتجليات.

## دور الصحف والمجلات الثقافية في الحركة الفكرية الأردنية

أ.د. جودي البطاينة\*

أشير بداية إلى دور الصحف والمجلات منذ بدء تأسيسها<sup>(١)</sup>، فقد أدت دوراً مهماً في الحياة الأدبية والسياسية والفكرية لا يقل عن مثيلاتها في أرجاء الوطن العربي، منذ صدور أول جريدة أردنية في معان (الحق يعلو) ١٩٢٠ التي كان يرأس تحريرها محمد الأنسي، وكان شعارها (جريدة عربية ثورية)، التي بث فيها الكتاب أمانيهم ورؤاهم، وبعد ذلك ظهرت جريدة (الشرق العربي) التي أصدرها الأديب محمد الشريقي عام ١٩٢٣. فمع أنها كانت الجريدة الرسمية إلا أن صفحاتها حفلت بالقصائد الجيدة والشعر الرائق والمقالات الأدبية. ولا شك أن لشخصية الشريقي الوطنية وتكوينه الفكري أثراً في مسيرتها، وتلاها صحيفة (جزيرة العرب) ١٩٢٧ ومحررها حسام الدين الخطيب، وفي السنة نفسها صدرت مجموعة صحف مثل صحيفة (الشريعة) ١٩٢٧ لكمال عباس ومحمود الكرمي، و(صدى العرب) عام ١٩٢٧ للشاعر (صالح الصمادي) و(الأردن) ١٩٢٧ لخليل نصر، وبعد عام ١٩٢٨ صدرت صحيفة (الأنباء) وصور العدد الأول منها قبل نزوله للأسواق، وكان صاحب امتيازها صالح النجدوي ثم

---

\* أستاذة الأدب الحديث والنقد في جامعة جرش الأهلية، وعضو منتدى الفكر العربي (الأردن).  
(١) انظر، سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرقي الأردن منذ عام ١٩٢١-١٩٤٨، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٩، ص٤٥-٥٦.  
وانظر، محمد عبد الرحيم عطيات، الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها ١٩٢١-١٩٦٧، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠١٤، ص٣٤-٣٦.

باعه لمصطفى وهبي التل، وفي عام ١٩٣٢ صدرت مجلة (الحكمة) لنديم الملاح ١٩٣٢، وكان يكتب فيها مقالات تفسيرية لبعض الآيات والأحاديث ومقالات أدبية ونقدية، كمنه لكتاب طه حسين في الشعر الجاهلي. وبعض هذه الصحف توقف في منتصف الدرب وبعضها لم يُطبع منه غير عدد واحد.

- وبعد ذلك استقدم الأمير عبد الله الصحفي السوري الأصل تيسير الضبيان ومنحه الجنسية الأردنية، وطلب منه نقل جريدته (الجزيرة) من دمشق لعُمان في العام ١٩٣٩، وكان تيسير ضبيان أديباً، مما جعل صفحات جريدته خمائل أدبية استقطب فيها أقالماً أردنية وفلسطينية، وفسح المجال لأقلام شابة بالكتابة فيها وتغذية الحركة الأدبية. وعندما صدر عدد ممتاز من الجزيرة في ١ تشرين الثاني ١٩٤٠ بمناسبة مرور عام على صدورها - كما جاء في كتاب سمير قطامي الحركة الأدبية في شرقي الأردن منذ عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٤٨ - كتب الأمير عبد الله كلمة سامية توجيهية باسمه الحقيقي، قال فيها: (إن من المطبوعات الضار ومنها النافع، وعلى قدر ميول قرّاء تلك المطبوعات ينجم الضرر أو يكون النفع). ونشر في هذا العدد عيسى الناعوري والبدوي المثلث وشكري شعشاعة وروكس العزيزي وحسني فريز. ومن الحوادث الطريفة نشر بعض الكتاب لكتاباتهم تحت اسم مستعار لعدة أسباب، فقد وصل لتيسير ضبيان مقال من إربد مذيّل بتوقيع (مجنون) تناول فيه صاحبه بعض المقالات والقصائد والبحوث في ذلك العدد بالنقد والتحليل، كاشفاً عما يحويه من أخطاء في اللغة والنحو وركاكة الأسلوب وضعف في التراكيب وسقم في التفكير والتعبير، وكان صاحب المقال (سعد جمعة) الذي أراد أن يبقى اسمه مكتوماً، وقد علق على ذلك المقال الأمير عبد الله قائلاً: «إنه ليسرني أن أرى بين أفراد رعيتي من يمتشق مثل هذا اليراع، وأن يكون له مثل هذا الحظ من الاطلاع. وإن من يملك مثل هذه الثروة الأدبية أخرى به ألا يخفي نفسه ويتوارى خلف اسم مستعار».



وهذا يدل على العناية الهاشمية بالصحف والمجلات منذ بدء تأسيسها. وتبعنتها مجموعة مجلات مثل صحيفة (الرائد) لأمين أبي الشعر، و(النسر) لصبحي قطب و(الجهاد) لغازي خير، و(العهد) لسليمان النابلسي، و(الحق) لسعد جمعة، وغيرها الكثير.

أما بالنسبة لتجربتي الخاصة فسأتحدث بإيجاز عن مجلة (جرش الثقافية) الصادرة عن جامعة جرش، والتي أسسها الأستاذ الدكتور خالد الكركي في عام ٢٠٠٥ عندما كان رئيساً لجامعة جرش، وترأس هيئة التحرير فيها، وتكونت الهيئة الاستشارية من المرحوم الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ومحمود السمرة، والأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور محمد شاهين، والأستاذ الدكتور علي الشرع والأستاذ الدكتور محمد المجالي وأمجد الناصر، وأستاذ العلوم السياسية الدكتور محمد المسفر من قطر والشاعر قاسم حداد من البحرين والشاعر محمد علي شمس الدين من لبنان، والدكتور التونسي محمد لطفي اليوسفي، يرحم الله من غيبه الموت منهم عنا. وبعد ذلك ترأس هيئة التحرير الأستاذ الدكتور محمد ربيع، وضمت الهيئة الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض والأستاذ الدكتور عبد الله الغذامي، ومعالي حيدر محمود والأستاذ الدكتور رشدي علي حسن والأستاذ الدكتور أحمد مطلوب.

- وكانت ولا تزال المجلة تضم ملفات متعددة مثل ملف الثقافة، وكتب فيه ثلة من العلماء والأدباء والنقاد الذين لهم بصمة واضحة، ففي ملف الثقافة يكتب أحياناً الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران مثل مقالته العولمة والثقافة والتراث، ومن وزارة الثقافة يكتب الدكتور أحمد راشد نحو إصلاح ثقافي، ومن رابطة الكتاب يزودنا الأستاذ محمد المشايخ الخطة الشاملة للثقافة العربية.

- وملف دراسات نقدية فيه من تنوع المواضيع وتنوع الكتاب نقاداً وأدباء من مختلف دول العالم، فمن الصين دائم الكتابة معنا الدكتور سعيد جمال الدين ما

ينغ جغ، ومن مقالاته المنهج الوصفي والدرس النحوي العربي الحديث، والدكتور عيد الجندي من جامعة صون يات سان، ومن مقالاته التغليب بين البلاغيين والنحاة الموقع والدلالة، ومن الهند يكتب الدكتور تاج الدين المناني رئيس قسم اللغة العربية في جامعة كيرالا، ومن ماليزيا يكتب أ.د. نصر الدين إبراهيم أحمد حسين مدير المركز العربي للبحث والاستشارة ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية، وكتب في الإبداع اللغوي والبلاغي في أساليب القرآن الكريم ومعانيه، ويكتب من ماليزيا الأستاذ الدكتور عاصم شحادة وشمس الجميلي بن يوب، ومن باكستان يكتب أ.د. حامد أشرف همداني أستاذ قسم اللغة العربية في جامعة بنجاب، لاهور، باكستان. فكتب عن إسهامات الشعراء الباكستانيين في الشعر العربي، ومن نيجيريا يكتب الدكتور مطهر يوسف بن ناصر عن العلاقات المغربية الإفريقية ودورها في التفاعل الفكري والثقافي في الغرب الإفريقي.. نيجيريا أنموذجاً.

- ومن المغرب يكتب الأستاذ الدكتور جميل الحمد اوي رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون ورئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جداً دائم الكتابة فيها، ومن مقالاته المقاربة الوصائية في تدريس الأدب الرقمي، ومن المغرب أيضاً يكتب عبد الجبار لند، والدكتورة نزهة الغماري ومالنعمة علي ماء العينين، ومن الجزائر الأستاذ الدكتور فتحي بوخالفة رئيس مجلة مخبر الشعرية للدراسات والنشر ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة بوضياف المسيلة، ومن مقالاته: الأدب المغاربي الحديث رؤية في الخصائص الجمالية. ومن مصر يكتب الدكتور محمد نعمان جلال سفير مصر في باكستان والصين ويكتب لنا عن الرومانسية والحياة «محمود سامي البارودي نموذجا»، والدكتور أيمن ميدان والدكتور عبد الرحمن الوصيفي، والأستاذ الدكتور مصطفى الضبع يكتب عن أنوثة النص وهوية الأنثى، ومن سوريا يتحفنا الدكتور وليد السراقبي بمقالات متنوعة عن اللغة العربية وتحديات المصطلح اللساني، والأستاذ الدكتور فؤاد عبد المطلب من سوريا ويزودنا بكل ما هو جديد في الأدب المقارن، ومن العراق

الدكتور خالد الشخلي ويزودنا بترجمات متعددة، ومن فلسطين الدكتور عمر عتيق ومن لبنان الدكتور وايفي الماجد، ومن سلطنة عمان يكتب الأستاذ الدكتور إحسان بن صادق اللواتي، ومن السعودية يكتب الدكتور محمد عيادات: اللغة العربية بين ثبات الهوية وإشكاليات العولمة. ومن الأردن معالي الدكتور صلاح جرار ويهجننا بكل ما هو عن الأندلس، ومن مقالاته: مدينة لوشة الأندلسية في أدب لسان الدين بن الخطيب، والاستاذ كايد هاشم ويزودنا بإبداعاته القصصية من مشاهد خريفية، وفي ملف الفنون يكتب مهندسون مثل الدكتور بديع العابد: جماليات قبة الصخرة، والدكتور محمد الملاح من اليرموك ويكتب عن تجويد القرآن الكريم بالمقامات (الصوتية الموسيقية). ويوجد في المجلة ملف لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها،

- حتى ممن عرفوا بالاقتصاد والسياسة ظهرت إبداعاتهم النقدية، فللدكتور جواد العناني مقالة تتصل بالملاح الاقتصادية في شعر الغزل العربي.

- وفي ملف شاهد على العصر، كنا نستقطب مقالات من سفرائنا في الخارج عن صورة الأردن في عيون الآخرين، وقد كتب فيها سفيرنا سابقاً في الصين واليابان الدكتور سمير الناعوري، وكتب أيضاً فيها السفير فالح الطويل سفير الأردن في بغداد وموسكو وإسلام آباد سابقاً: كيف يرى الآخرون الأردن والأردنيين.

- وفي ملف قراءات يشاركنا دائماً الأمين العام السابق لمنتدى الفكر العربي وسفير السودان لدى الأردن وسفير السودان لدى أديس أبابا الدكتور الصادق الفقيه بمقالات رائعة منها: بلاغة الصمت والمبدعون قصة الانطلاق من عالم الضرورة.

- وفي فترة جائحة كورونا تحولت المجلة من ورقية إلى مجلة إلكترونية. وما زالت المسيرة مستمرة.

# إربد... مرايا الصبا

## ذكريات من الخمسينيات والستينيات

للأستاذ الدكتور نبيل حداد

عرض ومراجعة: سمير أحمد الشريف\*

صدر الكتاب في ٢١٢ ص من القطع الكبير  
عن مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، إربد،  
وبدعم من وزارة الثقافة، ٢٠١٨.

### إربد... مرايا الصبا

ذكريات من الخمسينيات والستينيات

د. نبيل حداد

٢٠١١

ارتباط الإنسان بالمكان الذي وُلد فيه مُتعلقاً بالأحلام والأمال، يُحوّله لسيرة ملحمية تاريخية، تُسجّل طبيعة العلاقة بينهما ليصير مدونة ذاتية نفسية وسجلاً أميناً لطفولته ومراحل عمره المختلفة ومرآة صافية للعمر، يطالعها كلما عصفت به الشوق.

يذكر أستاذنا نبيل حداد في إشارات تقديمه لمدونة ذكرياته أن عنوان الكتاب قد يوحي بأن الذكريات محاولة للتأريخ لعروس الشمال، لكنه يردُّ ذلك مؤكداً أنه محض مشاهدات ومعايشات لمرحلة كان الوجدان فيها مشتتلاً، وما زال قادراً على التطواف والحركة واستحضار صور الماضي حياً نابضاً في الوجدان.

يُطل علينا الدكتور نبيل في عمله المميز بكتابة هادئة وبنفس سردي أقرب للسبك الروائي، لقدرته الفائقة على التصوير الكاريكاتوري للشخصية ورسمها من الخارج، الأمر الذي يجعل المتلقي يؤكد لو أن مسار الرواية أخذ الدكتور من مسار الدراسات النقدية والأبحاث الأكاديمية وعكف عليها، لرأينا روائياً مميّزاً، له أسلوبه وبصمته ونكهته السردية الخاصة، وهو بكل تواضع يُسجّل فضل استيحاء عنوان ذكرياته للمبدع

\* أديب وناقد (الأردن).

«أما الرجل عريض القمباز الأزرق باهت اللون، بائع التين، فقد كان أسوأ الجميع حظاً، وهو نسخة عن «زكي رستم» ولكن بأدواره الطيبة، ص، ٧٥، ٥١... كان طلعت الابن الأوسط لأبي رفعت زينة شباب الحارة ويكاد في شكله يحاكي الممثل الأمريكي صاحب أشهر مأساة في تاريخ هوليوود «جيمس دين» أم الممثل المصري «يوسف فخر الدين»، ويسجل بدقة أنواع الباعة مصوراً نبرات أصواتهم ونداءاتهم الملحنة «ولكن بائع البوظة سلطان الطرب... وكان من تطريه لنا كونه يظهر في الوقت الذي يشتهي الناس فيه البوظة، بادية العصر بداية أيام القيظ، ومع أنه كان أقرب إلى الخمسين، فإنه كان في قمة النشاط والعرق يتصبب منه وهو يملأ كرات البوظة التي كانت تتحصر في ثلاثة أنواع: حليب وليمون وشيكولاته، حولها بفتية عالية لمقاطع غنائية: «أنا بياح الكولجيتا حاليب ولاموون وشوكليتته»، وكذلك بائع الترمس الذي لا ينسى «حمدان أبي الذبان» بهيئة المدمجة وبنيته القوية وبالحنة والعقال والملابس الداكنة والقميص الخارج نصفه من البنطلون... حاولت أن أقلد صوته الشبيه بخوار الثور وأخفقت، وفي ذلك من المفارقة والسخرية الناقدة والتهكم البريء الكثير، الذي يشير لمعرفة الدكتور نبيل بالأصوات وطبقاتها وإلمامه بالموسيقى وتذوقها.

نجيب محفوظ في روايته «المرايا»، وأن فكرة كتابة أوراقه هذه ألحّت عليه قبل أن ينشر الروائي عبد الرحمن منيف كتابه «سيرة مدينة»، ولا ينفك يعترف أن استعادة الماضي حالة تلازمه، وللخروج منها قرر اقتحامها اندماجاً وتوحداً وتقصصاً، مؤكداً أن الكتابة نعمة تفتح سبل النكوص نحو طريق ما مضى وانقضى.

يؤرخ الكتاب للمكان، راصداً تواد الناس وحميمية تعاملهم كأنهم أسرة واحدة... كان شارع البارحة، وامتداده الشرقي أو ما يعرف بشارع الهاشمي قلب إربد النابض تجارياً واجتماعياً في ذلك الوقت... عرفت ممن يكبرونني أن علي نيازي التل قدّم كل التسهيلات لإقامة دير اللاتين، وباع الأرض للكنيسة بأقل من سعرها السائد، مُصرّاً على أن يكون الدير قريباً من بيته، ص ٢٤.

يوظف الدكتور نبيل العامية بوصف دقيق يوصل المعاني بكل إيجاءاتها: أصابتها لوثة من جنون وقالت «مش عيب عليك يا فالح لعور تيجي تصول على النسوان عشان الولاد ندهولك، ما تظب أولادك انت وتظب شيبتك، روح يلعن أبو عورتك يا أبو عين بيضا» وكانت تقصد المعنيين المادي والمجازي، ص ٤٦.

وتفوق بتوظيف ربط الشخصيات بالممثلين ليقربهم من إدراك المتلقي

لا يعرف غير العمل المتواصل ولم أره خارج بيت النار إلا في مناسبات محدودة؛ عن لي أن أناكفه يوماً فقلت: عمي أبو سركريس «إنت عمرك ما ضحكت؟» «لم يلتف إليّ وكأني غير موجود، ولما أعدت السؤال رد ابنه سليم وكان خفيف الظل «الضحكة عند عمك بتكلفك شلن»، فمددت بالشلن نحو أبي سركريس «هاي شلن عمي بس مشان الله اضحك»، نظر إليّ شزراً وقال بصوت أجش «روح أولاه» لكنه ما لبث أن زمّ شفثيه ودون شلن، ورسم على شفثيه بسملة لطيفة، ص ٧١. وها هو الحلاق «أسعد»، النمام العريط، الكذاب، المغتاب، يعاتب الكاتب على تحوله من الحلاقة عند سعد إلى الحلاقة عند «زكريا»، فلاقاه ذات يوم في محل بيع الخضار واستحلفه:

- هل تركتني وصرت تحلق عند زكريا؟  
أرجوك عد، لكنني كنت في سن لا تسمح بالمغامرة بتغيير التسريحة أو العيب بشكل الغرة التي طالما انتشيت بها، وهذا يقودنا لمعلومة تؤكد توثيق المذكرات لصالونات الحلاقة في إربد في ذلك الوقت ورصد أسمائها وأسماء مالكيها وتحديد مواقعها أيضاً، وتوثيق أسماء وأماكن الأفران وعيادات الأسنان والدكاترة والصيديات والحمالين ومحلات الحلوى وأماكن بيع

النقد الذاتي ملمح نجده في المذكرات كذلك، وما تشير له من التهور والتسرع وعدم تحمل المسؤولية، مما يفسره الدكتور نفسياً: لم نكن صغاراً، بل مراهقين، كنا نتسم بالقسوة أو تصدر عنا أفعال لا إنسانية للتندر، فقد كان صديقنا سامح «أبو الحاج» يمتلك ثقافة برع بإصابة الهدف بها... ذات يوم كنا في منطقة العبارة... وفجأة جاء أبو الترك، لم يستشر أبو الحاج أحداً بل انبطح على بطنه وصوّب نقافته نحو الرجل، ولك أن تتخيل النهاية بما لا يخطر ببال. ولعل ذلك حسب وجهة نظر المؤلف يرجع لميول سادية تبدو على أبي الحاج، الذي لم تكفه مجازره مع العصافير، بل وسعها لتصل دجاجات الحارة، كما حدث مع دجاجة أم يحيى التي ضربها أبو الحاج ولم يقتلها فصارت ترفرف «فوق وتحت» حتى صرخت صاحبها مرددة: شايه يا أم حفيظة، والله تشنها/كأنها/الجاجة انجنت، ص ٦٦.

روح الفكاهة والنكته وتوظيف المثل الشعبي، تتوزع على صفحات الكتاب وتعكس قدرة الكاتب على تنويع أدواته السرديّة: أبو سركريس الفران شخصية لا تُنسى، عرفته وكان في منتصف العمر، لم يكن طويلاً وظهره يميل للأمام، يرتدي على الدوام شروالاً شامياً أسود/شروال أبو ليه/ طيب عفيف النفس لكنه مقطب على الدوام،

### الإتجاهين:

علي ما مات.. لولا  
خلف بنات.. لولا  
بناتو سود.. لولا  
مثل القروود.. لولا.

من الصور التي لم تُمحي من ذاكرة المؤلف منزل أبي وحيد الحلبي الواقع غرب حسة الجملة التي أقيمت مكان المقبرة وهدمت هي الأخرى وأقيم مكانها مجمع اليرموك التجاري وتملكه الأوقاف، و«أبو وحيد» من تجار إربد الشوام الذين قدموا مع ازدهار الحركة التجارية مطلع القرن العشرين، واشتهر بورعه وصداقته للجميع وكان يلبس الدماية، ويسكن بيته المبني على الطراز الدمشقي، المرتفع عن الشارع الذي يحمل اسم خالد بن الوليد الآن، وكنا نراقب كل صباح ابنه وحيد الضابط في الجيش وهو يخرج إلى عملة ولا نعرف إلى أين، ذلك الوحيد، قدوة الشباب الذين تمنوا أن يصبحوا مثله وهو يسير في الشارع، بكل تواضع، ببيته المهيبه والناس يتهامسون بأن وحيداً أصبح عقيداً بشريط أحمر يحيط بالكسكيت، ص ٩١.

إربد مرايا الصبا، وثيقة تقرأ الذات والمكان والشخصيات، وترسم بطولاتهم بما يطفو من مشاعر مُحبّة تكتب قصة حب متجذر للمكان والإنسان، لوئنتها ريشة مبدع قرأ مفردات عمره بنسخ روحه وخطها في قرطاس.

الفلافل التي كانت الوجبة منها بقرشين تكفي الصغير والكبير، والمطاعم واستوديوهات التصوير التي كانت أكثر المهن انتشاراً، كاستوديو رمسيس في شارع السينما لألبير الأرمني، الذي وثق زيارة الشيخ عبد الباسط لإربد، واستوديو ميشيل في شارع الهاشمي، لحنا الساييس واستوديو أوغاريت والبيروتى والعمرى، وصالون فلسطين لأبي حسن في موقعه الأول في شارع الملك طلال - حالياً شارع عرار- وصالون أبو غزالة وأبو رياض وصالون أبي حامد الحلاق وصالون فتحي الطشلي. وكذلك استحضار ظواهر كادت تتلاشى في الأرياف والبلدات والمدن، كاستعمال الدراجات الهوائية والتأريخ للإنسان والمكان بحميمية جارفة ووجدانية عميقة، وما تعكسه من مذاقات المحلية الرائعة، وما كان يسري بين الناس من تعاملات تكتسي بالطيبة والأمانة، ١٢٢.

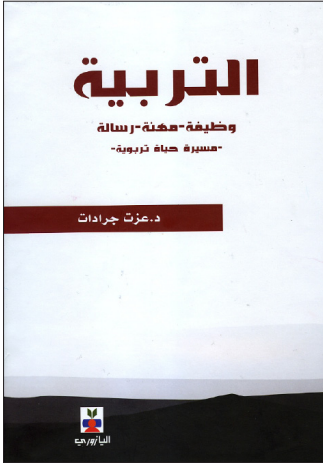
أما طقوس الأعياد فتذكرنا بالللكسات، وسيلة الإضاءة الوحيدة آنذاك في البيوت والمناسبات، وبساحة الأفراح التي كانت تشهد حلقات الدبكة ليلاً وخاصة أيام الأعياد، حيث المراجيح هي التجلي الأوضح والأجمل، وكانت تنصب في عيدي الفطر والأضحى، وفي الحي الغربي - منطقة كرم «علي نيازي» وامتداداتها، وكان أشهر أصحاب المراجيح علي الطرمة، الذي كان يردد مع الصغار وهو يدفع الأرجوحة في

# التربية : وظيفة - مهنة - رسالة

## مسيرة حياة تربوية

تأليف: أ.د. عزت جرادات

\* قراءة ومراجعة: نداء الخزعلي



تناول الكتاب (كما هو واضح من عنوانه) مسيرة نظام التربية والتعليم في الأردن، إذ قدمت هذه المسيرة بشكل مذكرات شخصية وسيرة ذاتية لتجارب وخبرات وأحداث امتدت حوالي سبعين عاماً، استعرضها المؤلف بغرض التعريف بالأفكار والرؤى التربوية التي مر بها النظام التربوي في الأردن قبيل عهد إمارة شرق الأردن وصولاً لما بعد عام ٢٠٠٠.

في هذا الكتاب الذي صدر مؤخراً من قبل (دار اليازوري)، ويقع في ٢٧٤ صفحة، رصد د.عزت

جرادات تطور الحركة التعليمية ومشهد التعليم في الأردن تماماً وبعيادية، ومن موقع متخصص مطلع على كافة التفاصيل، فالكتاب خلاصة لتجربة أكاديمية وعملية طويلة وخبرات محلية وعربية وعالمية في مختلف الأنشطة التربوية والفكرية والثقافية وضعها المؤلف بين يدي طالب المعرفة عن التربية والتعليم، ذلك أنه سيجد في الكتاب كل ما يرغب بمعرفته من معلومات عن مسيرة التربية في الأردن، والمهتم سيدرك من خلال هذا الكتاب مغزى ودلالة الدور التربوي والتعليمي الأردني بوصفه حاجة وطنية ملحة لبناء التنمية البشرية والاجتماعية.

\* باحثة في التأريخ الشفهي والكتابات القديمة (الأردن).



وبما يتطلعون إليه في مسيرة الحراك الاجتماعي.

وتضم دفئا الكتاب ستة فصول سرد المؤلف فيها أحاديث ومواقف وتجارب تراكمت في ذاكرته وخواطره، فوثق الفصل الأول وهو أطول فصول الكتاب قصة الكاتب مع معاشة التربية، بالإضافة إلى الأفكار والرؤى التربوية بدءاً في عهد ما قبل الإمارة وصولاً إلى ما بعد عام ٢٠٠٠، في محاولة لتقديم أهم الأحداث التربوية في كل عقد بإيجاباته وبعيداً عن التجريح، فقدم فصلاً غنياً وموسعاً «لم يترك شيئاً في التربية إلا ومر عليه»، ورصد الكاتب التحولات المهمة والنوعية في طبيعة الحياة التربوية والتعليمية والفكر الأكاديمي في الأردن، فتحدث عن بدايات التعليم في «الكتاب»، ومرحلة الالتحاق بالمدارس ومحدوديتها، والسعي لنشر المعارف وتشديد المدارس، وصدور نظام المعارف، وأتون الحياة المدرسية بين الثقافة والسياسة والاجتماع خلال تلك العقود، وتشكيل اللجنة الملكية للتعليم، وإعداد قانون التربية والتعليم لإحداث نهضة تربوية تلبى طموحات المملكة

قدمت المذكرات بفكر تربوي مصاغة بأبسط العبارات وتناولت بعض القضايا التربوية التي تبقى حية على الدوام لأنها مشكلة أجيال متتالية، فجاء عرضها للتعريف بها ووضعها في إطار مستقبلي لتتمكن الأجيال القادمة من مناقشتها والوصول لأنجع الطرق لحلها.

يؤرخ الكتاب بشكل توثيقي وإحصائي مهم وبالاعتماد على الأحداث المكتوبة وغير المكتوبة، والوثائق الرسمية والتقارير المتنوعة أغلب المحطات المهمة في تاريخ التربية الأردنية، ويقدم تعريفاً بالأفكار والرؤى التربوية التي مر بها النظام التربوي بدأ من التحديات وإبراز مفاصل هامة، وتحولات أساسية في المسارات التربوية وصولاً إلى تحقيق النجاح في الوصول إلى نظام تربوي متطور ذي رؤية مستقبلية أساسه البناء التربوي والاستثمار في الإنسان تربيةً وتعليماً وتأهيلاً ليكون له الدور الأساسي في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتنمية.

أورد المؤلف مسهباً تجربة الحياة في مجتمع يعزز بقيمه ومثله العليا ويتيح فرص النجاح والتمكين والإنجاز لأفراده بما يمتلكون من كفاءة وتأهيل

وإيسيسكو، ومكتب التربية الدولي، والتي تدل على الجهود والمحاولات الجادة التي بذلت للإصلاح والتطوير التربوي، ولإحداث تغيير على درجة كبيرة على المستوى المحلي والإقليمي، فسرد الكاتب في الفصل الثاني أسباب إنشاء هذه المؤسسات والمنظمات التربوية، ودورها في مجال التربية والعلوم والثقافة، وأهمية برامج التعليم والسياسات العلمية في تحقيق التنمية المستدامة والتعاون الدولي الدائم، وطرق الاستجابة للاحتياجات المتجددة من خلال تشجيع التجديد التربوي وتنشيطه، وأورد أسماء المؤتمرات والندوات والنشاطات التي عُقدت وكان له حضور فاعل فيها، وعن أهمية هذه المشاركات أوضح المؤلف «إن أهمية هذه المشاركات لا تقتصر على حضور الجلسة العامة للمؤتمر، حيث خطابات رؤساء الوفود، وضيوف اليونسكو، على مستوى قادة الدول، ولكنها تمتد للتعارف والتواصل مع قادة التربية العالميين ووزراء التربية والتعليم، العرب والمسلمين والأجانب، لتعزيز التعاون وتبادل الخبرات وتبادل زيارات الوفود التربوية».

ومستقبلها، واحتلال الضفة وتداعياته على النظام التربوي، وبرنامج تأهيل المعلم والعالوة، والتطوير التربوي الشامل، ومشروع قانون التربية والتعليم الجديد، ومشروع اتحاد المعلمين، والمؤتمرات المعنية بالمجال التربوي، والزيارات الاستشارية العربية، وأقتبس هنا من كتاب د. جرادات قولاً للملك المؤسس عبدالله -رحمه الله- «لجعل هذه البلاد بلاد دعة وأمان، ترتاح لحسن إدارتها أقطار محبيها، خالية من شكاوي قاطنيها»... «ويعتبر ذلك التعبير الذي بدأه المؤسس ورسخه الملك الحسين، ونهض به الملك عبدالله الثاني، ترجمة لاهتمام الأردن، قيادة وإدارة تنفيذية وشعباً، بالتعليم باعتباره من أنجع السبل لتحقيق التنمية الشاملة والتنمية البشرية، في مجتمع محدود الموارد، عظيم الطموحات».

ركّز المؤلف على جوانب تربوية بيد أنه وثق أيضاً الكثير من الخبرات التربوية التي اكتنزها من خلال تجاربه في التعامل مع المؤسسات التربوية على المستويات الوطنية والعربية والعالمية، والمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تنظمها المنظمات مثل اليونسكو،

والاتجاهات المعاصرة في تطويرها وإدراج القضية الفلسطينية في المناهج والكتب المدرسية الأردنية.

ولم يكتف الكاتب بسرد المعلومات عن التربية في الأردن في الكتاب بل قدم نظرة تحليلية لأهداف التعليم في الوطن العربي والأنظمة التربوية. وقدم استنتاجات متعددة من خلال قراءته لواقع التشريعات التربوية وتطبيقاتها وأثرها في إحداث نهضة تربوية عربية أكثر جودة وفعالية.

ولم يغفل المؤلف عن اللبنة الأساسية الأولى في العملية التعليمية «المعلم»، فوقف عند نشأة المعلم، والتحديات المعاصرة والمستقبلية التي يواجهها، وأساسيات إعداد معلم مستقل، فيقول: «المعلم الأفضل هو الذي يتسم بالصفات الخمس التالية: حب المهنة، والإلمام بالمادة التعليمية، ومهارة عالية في فن التعليم، والثقة المتبادلة مع الطلبة، والشخصية القوية مع الجاذبية في التعامل».

وفي الفصل الرابع وثق الكاتب الأفق الإسلامي والاهتمام بالقضية الفلسطينية والقدس كونها القضية

ولا يتردد مؤلف الكتاب في الفصل الثالث في مناقشة مجموعة من القضايا التربوية التي تشغل الرأي العام باعتبارها قضايا أساسية في النظام التربوي وتظل مفتوحة للحوار المتجدد بشكل واضح وموسع، فوصف مشهد التعليم بحيادية خلال عهد الإمارة وما قبله معتمداً على تقرير وزارة الثقافة والإعلام، وبين الحالة الأردنية في التشريع التربوي، فقال: «ويمكن القول إن النظام التربوي الأردني غني في مجال التشريعات التربوية، والتي بدأت مع عهد الإمارة، وكانت الميزة العامة للتشريعات التربوية في ذلك العهد أنها تستجيب لحاجات المجتمع الأردني من جهة، وتلبي طموحات الأهالي لتوفير الفرص التعليمية لأبنائهم وبناتهم من جهة أخرى؛ وأوضح د. جرادات دور الإرساليات التبشيرية بتأسيس المدارس الخاصة وتقديم خدماتها التربوية لأبناء المنطقة، ومكانة التعليم الخاص في النظام التربوي الأردني، ووثق قصة المثابرة والنجاح لمشروع محو الأمية في الأردن منذ مطلع الخمسينات من القرن الماضي من خلال «اللجنة العليا لمحو الأمية»، وخطط تطوير المناهج

استثمارية تتطلب الاستخدام الذكي لجزء من مدخرات المجتمع في تطوير قدرات الأفراد ومهاراتهم بهدف رفع الطاقة الإنتاجية».

وعن المشهد العربي قال المؤلف: «فالوطن العربي يظل في أشد الحاجة، مستقبلياً، لبناء نسيج مجتمعي - سكاني يجسر الفجوة بينه وبين العالم المعاصر، تقنياً ورقمياً وحضارياً، والتعليم أنجع السبل الوقائية والعلاجية للتغلب على التحديات التي تعيق إعادة بناء ذلك النسيج المجتمعي - السكاني للوطن العربي».

ويقف المؤلف بالفصل السادس لتقديم رؤية شخصية عن البيئة التي أسهمت في التكوين شخصيته من خلال ذكرياته، فيتحدث عن مدينته إربد بشكل كامل فيبدأ بمزيجها الاجتماعي الدافئ، وبيئتها الثقافية الغنية بالصحف والمجلات المحلية والعربية، ويذكر بدايات الانتماء السياسي، ويصف اقتصادها ونشاطها التجاري، وينتهي بذكر أماكنها ومعالمها التراثية والأثرية، وقال المؤلف في إربد «لم تغب المحاضرات الفكرية والثقافية والأدبية

الأهم من خلال المؤسسات الإسلامية المستقلة التي تعنى بالقضايا العامة للأمة العربية-الإسلامية، ونماذج حوارات الأديان والحوار الإسلامي-المسيحي، وحوار الحضارات، وقد أورد الكاتب تجربته المعاشة في المؤتمرات والندوات والأنشطة المتعلقة بالمؤتمر الإسلامي لبيت المقدس، وأحداث المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية المعنون «الدعوة الإسلامية»، مشيراً إلى دور «مؤسسة آل البيت» في إنجاح برنامج الحوار بين الأديان.

قدم لنا المؤلف في الفصل الخامس عدداً من الأفكار والاقتراسات من مقالات عديدة كان قد نشر عدداً منها في جريدة الدستور الأردنية، لأهميتها وتناسقها مع مضمون الكتاب، ومن الاقتباسات التي أوردتها «تدرك المجتمعات الإنسانية في هذا العصر أن أفضل وسيلة للنمو الاقتصادي هي الاستثمار في التعليم من أجل إيجاد أو تكوين رأس المال بشري قادر على تحقيق زيادة في الدخل القومي الحقيقي، ويحصل على عائد اقتصادي واجتماعي أفضل، فالتعليم عملية

المؤلف الذي عايش الأحداث وتفاعل معها وكان في جزء كبير منها فاعلاً، مما جعله يورد معلومات لم تذكر في مصدر آخر، ويوسع دائرة فهمنا لبعض المجريات، ويقدم نظرة شاملة لنشأة التعليم المتواضعة التي بدأت في الأردن وخطوات تطورها لاحقاً لتصل إلى نظام تربوي متطور يواكب الحاجات الوطنية والمنتغيرات العالمية، مما يساهم في تطور الأردن سياسياً واجتماعياً وثقافياً وفكرياً للوصول إلى التنمية الشاملة والمستدامة.

عن «البيئة الإربدية»، فكان يدعى لها كبار المفكرين والمتقنين من خارج إربد»، وكانت سميتها السماحة والتسامح والعيش الرغيد.

يشكل الكتاب بالمجمل مادة مرجعية مهمة للمهتمين بالعمل التربوي والتعليمي وللباحثين، كما أنه يعتمد الرواية الشفهية والذاكرة الجمعية أساساً للمعلومات الواردة فيه، فهو نتاج معرفة متراكمة استمرت في الذاكرة الجمعية زمناً طويلاً، ويعكس انطباع

## الكيميائي الذي دَرَسَ التاريخَ وبحثَ في التنمية

حوار مع الأستاذ الدكتور حامد عيد

حاورته: شيرين نبيل\*



الأستاذ الدكتور حامد عيد أستاذ الكيمياء المتفرغ بكلية العلوم جامعة القاهرة، عمل مستشاراً ثقافياً بالسفارة المصرية بالمملكة المغربية، وخبيراً في مديرية العلوم بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-الإيسيسكو، الرباط، المغرب.

كما تم انتدابه رئيساً لقطاع المراكز العلمية بالمكتبة الوطنية المصرية (دار الكتب والوثائق القومية) وهو مؤسس ومدير مركز التراث العلمي بجامعة القاهرة.

وتموضع انشغالاته في المجالات العلمية والبحثية التالية: الكيمياء، مجال الكيمياء الخضراء، مجال جودة التعليم العالي وقبل الجامعي، مجال العمل العام بالكلية والجامعة، تاريخ العلوم وإنشاء مركز التراث العلمي، وريادة الأعمال، والترجمة والنشر باللغة العربية، والنشر العلمي باللغة الإنجليزية في مجال العلوم الاجتماعية.

وله نشاط في المؤتمرات والندوات الدولية بالحضور والمشاركة والاحضوراً ومشاركة وإعداداً.

وعمل مستشاراً ثقافياً ومديراً للمركز الثقافي بالرباط. وخبيراً في منظمة الإيسيسكو.

\* كبير المذيعين ومعدّي البرامج في شبكة إذاعة «صوت العرب» - القاهرة (مصر).

وقد صدرت له الكتب التالية: كتب مؤلفة: حكمة المصريين (مشاركة)، صفحات من تاريخ العلوم والتكنولوجيا، أنفاس التاريخ، من إصدارات هيئة الثقافة الجماهيرية. خمسين رسالة إلى بريد الأهرام، من إصدارات الهيئة العامة للكتاب. أفكار وتأملات حول الجامعة والبيئة وأشياء أخرى، تحت الطبع، من إصدارات الهيئة العامة للكتاب. كتاب تم نشره على الانترنت بالإنجليزية: تاريخ العلوم الإسلامية. "History of Islamic Science"

<https://issuu.com/hichem.karoui/docs/history-of-islamic-science>.

كتب مترجمة وتحت الطبع: الطريق لجامعة الجيل الثالث، تأليف جون ويسما، صدر عن دار الوفاء للنشر والتوزيع، القوة الناعمة والتعليم العالي في الصين والعالم، تأليف جيان لي، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا. (تحت الطبع)، توجيه التنقلات: العولة والهجرة، قناة السويس وما وراءها، المؤلف فاليسكا هوبر، المركز القومي للترجمة (انتهى وتحت الفحص)، من المهد إلى المهد، Cradle to Cradle: «إعادة صياغة الطريقة التي نصلح بها الأشياء» من تأليف وليم ماكدنو ومايكل برونجارت، بالتعاون مع وزارة البيئة، (تمت الترجمة وفي انتظار حقوق الملكية الفكرية).

ومن واقع خبرته التي تمتد إلى أكثر من ٥٠ عاماً كان لنا معه هذا الحوار:

• قمت بعمل دؤوب علي مدى عشرات السنوات في مجال الكيمياء وفي خدمة الجامعة والمجتمع بوجه عام، ودرست مقررات ونشرت أبحاثاً... دعنا نرجع إلى البدايات، فلماذا اخترت التخصص في مجال الكيمياء؟

•• في عام ١٩٦٥ التحقت بكلية العلوم بجامعة القاهرة. لم تكن رغبتى الأولى دراسة العلوم الأساسية ولكن كنت أتمنى أن أدرس الطب، وكتبت فى ورقة التنسيق كل كليات الطب فى نطاق مجموعتى فى ذلك الوقت، ولكن التنسيق لم يأت لي فى ذلك الوقت إلا بطب أسويط أو المنصورة، و لم تكن رغبة أهلي فى الغربية، فأثرت الالتحاق بكلية العلوم جامعة القاهرة.

وبدأت الدراسة بتخصص يضم أربعة علوم أساسية هي: الكيمياء والفيزياء والنبات والحيوان، وقد أهلني تفوقني في الكيمياء إلى الالتحاق بتخصص الكيمياء، واخترت الكيمياء التطبيقية. ومن هنا بدأ ولعي بالكيمياء حيث تخرجت بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وكان ذلك بداية الطريق.

• حصلت على دبلوم دراسات عليا في كلية الآداب لدراسة التاريخ العام. ما الذي دفعك للجمع بين التاريخ والكيمياء؟

• • كانت الصدفة هي الدافع الذي دفعني لدراسة التاريخ عندما وقع تحت يدي كتاب حول تاريخ العلوم باللغة الإنجليزية، فكان لا بد أن أقرأ بعمق في التاريخ، وفي ذلك الوقت أعلنت كلية آداب جامعة القاهرة عن دبلوم دراسات عليا في التاريخ لأول مرة، فوجدت أنها فرصة لدراسة التاريخ. فدرست مناهج مرحلة الليسانس في عامين على أيدي نخبة من أساتذة التاريخ بالجامعة المصرية في عام ١٩٩٧ منهم الأستاذ الدكتور رؤوف عباس، ود. محمد عفيفي وغيرهم من أساطين التاريخ في مصر. وقد شملت: التاريخ القديم والأوسط والحديث والمعاصر، فكانت تلك الدراسات نواة جيدة للانطلاق بمركز التراث العلمي، ولي شخصياً، إلى آفاق جديدة وبعيدة من حياتي العملية.

• ما أهم الأبحاث التي قدمتها في مجال الكيمياء وكيف تمت الاستفادة منها؟

• • بدأت بعد تخرجي عام ١٩٦٩ العمل في مجال الكيمياء العضوية، بمحاولاتي الأولى للبحث حول كيمياء السليلوز كموضوع تطبيقي، ولكن لظروف ما لم يكتمل المشروع، وكان التوجه الثاني نحو إحدى المدارس العلمية القائمة التي كان يترأسها أ.د. عبد الحميد حرش أستاذ الكيمياء العضوية، وتضم عدداً من شباب الأساتذة في ذلك الوقت، ومنهم د. نظمي كساب، الذي صار أستاذاً، حيث دعمني وقدم لي كل ما هو متاح في ذلك الوقت، وبدأنا مشروعاً بتحضير مركبات عضوية من سلسلة المركبات الحلقية غير المتجانسة من فصيلة الثيازول الثيازولدينات، وتستخلص من مصادر حيوانية أو نباتية ولها أهمية حيوية كبيرة، حيث تدخل في صناعة الكثير من الأدوية، وتلعب دوراً مهماً في بعض



العمليات الحيوية وتستحق الدراسة والبحث، كما أن لها تطبيقات حيوية عديدة مضادة للفطريات والبكتريا وكذلك السرطانات.

وفي عام ١٩٧٢ حصلت على درجة الماجستير، وفي عام ١٩٧٦ حصلت على درجة الدكتوراه في فلسفة الكيمياء العضوية، وعلى أثرها عينت مدرساً بكلية العلوم لتدريس بعض مقررات الكيمياء العضوية، وفي الفترة من ١٩٧٦ إلى ١٩٧٧ تم استدعائي لتلبية نداء الوطن حيث قضيت سنة التجنيد بالجيش المصري ضمن سلاح الحرب الكيميائية.

وعلى مدى الأعوام من ١٩٦٩-١٩٩٨ قرابة الثلاثين عاماً خضت تجربة هامة مع مشروع أبحاث في كيمياء الحلقات غير المتجانسة، وقدمت أكثر من ٣٣ ورقة بحثية في هذا الموضوع العام ونشرت في مجلات عالمية، كما قمت بثلاث مهمات علمية إلى ألمانيا وإنجلترا، أفادتني في جمع المادة العلمية وعمل بعض التحاليل التي كان يصعب تنفيذها في مصر في ذلك الوقت. فني عام ١٩٧٧ سافر إلى ألمانيا من خلال منحة قدمت لي في واحدة من أشهر الجامعات الألمانية وهي جامعة هومبولت العريقة بمدينة برلين، وكانت تلك بداية أول احتكاك بالمدرسة الغربية في مجال الكيمياء حيث قمت بدراسة اللغة الألمانية مدة ثلاثة شهور كانت بمثابة البداية. بعدها بدأت مرحلة البحث في إحدى معامل قسم الكيمياء بالجامعة مع أستاذ ألماني هو بروفيسور هيوبرت كوبل، وتم نشر بحث مشترك معه في أحد المجلات الألمانية وباللغة الألمانية تحت عنوان:

“Synthese und spektroskopische Eigenschaften von neuen Tetrahydrothiopyrano [2,3-d]-thiazol-Derivaten”

وفي عام ١٩٨٩ سافرت إلى إنجلترا من خلال مهمة علمية قدمها المجلس البريطاني لقضاء ٣ شهور بجامعة سالفورد، لجمع مادة علمية والاحتكاك بالمدرسة الإنجليزية. وفي عام ١٩٩٠ وعن طريق هيئة التبادل الألماني DAAD

تمت دعوتي في مهمة ثانية إلى ألمانيا، بجامعة ماربورج، حيث قضيت ٣ شهور في مكتبتها العامرة.

وقد تعاونت مع العديد من أساتذة قسم الكيمياء في البحث العلمي في مجال الكيمياء العضوية، مما أحدث توافقاً وامتزاجاً علمياً بين أكثر من مدرسة علمية بالقسم في مجالات مختلفة، منها العضوية وغير العضوية والفيزيائية، مما أتاح لي فرصاً طيبة للنشر العالمي المشترك.

• في عام ١٩٩٦ تقدمت بمشروع لإنشاء مركز متخصص في تاريخ العلوم إلى مجلس إدارة جامعة القاهرة باسم مركز التراث العلمي. حدثنا عن هذا المركز والهدف من إنشائه، وماذا قدم لخدمة الجامعة المجتمع؟

•• لما كان تاريخ العلم هو حجر الأساس للبناء التعليمي والحافز على تنمية الميل إلى البحث العلمي والثقافة العلمية، والاستزادة من مفاهيم العلم المختلفة ومن خلاله رد الاعتبار لتاريخ العلوم، وكذلك حماية التراث العلمي في مصر من الاندثار، فقد كان قرار إنشاء مركز التراث العلمي في رحاب كلية العلوم منذ عام ١٩٩٦ بأدوات بسيطة وجهد إنساني، وتم وضعه على مسار قومي. وكان أن بدأ في أنشطته المتنوعة وفعالياته بدءاً من إنشاء موقع على شبكة الانترنت مروراً بندوات ومؤتمرات ومعارض وحضور إيجابي بين المراكز المماثلة، وكان أن جاءت أنشطته متنوعة جذبت إليه الأعلام. فقدمت العديد من الندوات مثل: كنوز التراث العلمي (مارس ١٩٩٧)، ندوة عن الطبيب والفيلسوف المصري علي بن رضوان (١٧/٥/١٩٩٩)، كما شارك المركز عن طريق مديره د. حامد عيد في عدد من المؤتمرات منها: مؤتمر «الخيمياء والتقاليد الهرمسية» في براج بالجمهورية التشيكية (١٩٩٧)، مؤتمر «ابن رشد» بجامعة هايدلبرغ بألمانيا (١٩٩٨)، المدرسة الدولية لتاريخ الرياضيات بجامعة المنصورة (١٩٩٩)، مؤتمر تاريخ العلوم بسانت لويس بالولايات المتحدة الأمريكية (٢٠٠٠).

كما قدمت بوصفي مدير المركز في ذلك الوقت محاضرات عامة عن التعريب، وأثر المستشرقين الغرب في تاريخ العلم الإسلامي-جامعة الأزهر، وأثر الحضارة الإسلامية في الترقى العالمي-المجلس الأعلى للثقافة-مصر، والحضارة المصرية القديمة في مجال العلوم الطبيعية-مؤتمر سانت لويس أمريكا، والكيمياء في مصر القديمة، وتاريخ الكيمياء على مر العصور (براج-لندن)، وتاريخ الكيمياء في القرن العشرين (القاهرة). كما شارك في إقامة عدد من المعارض التراثية في كل من مكتبة مبارك بمصر، جامعة الم بألمانيا، المركز الثقافى المصرى بلندن-إنجلترا.

وفي الفترة الثانية أثناء توليتي الفترة الثانية (٢٠١٤-٢٠١٩) قدمت العديد من الأنشطة، فكانت البداية بتجهيز مقر جديد للمركز بالدور الثالث للمكتبة المركزية الجديدة ليصبح مقراً مؤقتاً للمركز ومعرضاً دائماً لمقتنياته من الصور واللوحات. وكانت البداية بتوقيع اتفاقية تعاون علمي في مجال التراث العلمي مع المكتب العلمي للسفارة الإيطالية بالقاهرة والمركز القومي للترجمة: يتضمن ترجمة نشر الكتاب الإيطالي «مقدمة في علم الفلك في مصر القديمة» للكاتب الإيطالي ماسوميليانو فرانشى.. ثم تبعه عقد عدة صالونات ثقافية حول:



مفاهيم خاطئة حول الحضارة المصرية القديمة، «العلم في مصر في القرن ١٩، واليوم الإيطالي المصري في مجال التراث العلمي وأقيم يوم الثلاثاء الخامس من مايو ٢٠١٥: وعرض الترجمة العربية لكتاب «علم الفلك في مصر القديمة»، وندوة عن مساهمات الحضارتين المصرية القديمة والإسلامية في مجال العلوم وأثرها على الحضارة الأوروبية، وتمت إقامة معرض الوسائط المتعددة حول تراث العلوم

المشتركة في أنحاء البحر الأبيض المتوسط بمشاركة متحف جاليليو للعلوم في فلورنسا ومركز دراسات التراث العلمي، وعرض عدد من الأفلام والبرامج حول الحضارة المصرية القديمة ثم مناقشة كتاب «القاهرة-خطتها وتطورها العمراني» للمؤلف د. أيمن فؤاد سيد. وندوة «نشأة الجامعات وتطورها»: وقد صدر الكتاب الأول عن المركز بمشاركة المكتب العلمي للسفارة الإيطالية والمركز القومي للترجمة بعنوان «الفلك في مصر القديمة».

وقد تم توقيع مذكرة تفاهم بين جامعة القاهرة ومؤسسة ألف اختراع واختراع البريطانية، والاحتفال بالسنة الدولية للضوء الذي أقيم بالمكتبة المركزية: بالتعاون مع مؤسسة «ألف اختراع واختراع» احتفالية بالسنة الدولية للضوء، تحت رعاية كل من وزير الثقافة، الدكتور حلمي النمنم، ورئيس الجامعة الدكتور جابر نصار، وبدأت الفعاليات بندوة كبرى بعنوان «العالم الحسن بن الهيثم ورحلته من الظلام إلى الضوء» كما أقيم على هامش الاحتفال معرض صوراً ومستنسخات عن إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم، بالإضافة إلى معرض لكتب التراث بمشاركة دار الكتب والوثائق القومية، وتم عرض قائمة ببيولوجرافية حول أعمال الحسن بن الهيثم. وأيضاً تم عرض بروموشن حصرياً لفيلم الحسن بن الهيثم ولأول مرة والذي أنتجته مؤسسة «ألف اختراع واختراع» وشارك فيه النجم الراحل عمر الشريف.

وضمن أنشطة المركز الدولية الأخرى شاركت ضمن فعاليات هيئة التبادل العلمي الألمانية DAAD في ندوة حول العالم الألماني ماكس مايرهوف، وكانت محاضراته حول الأجانب في الجامعة المصرية. وأيضاً احتفال قسم الفلسفة بأداب القاهرة باليوم العالمي للفلسفة في ندوة حول تاريخ العلوم عند العرب ودور الحسن بن الهيثم.

حاورته: شيرين نبيل

ولقد تم إصدار ثلاثة أعداد (الأول - الثالث) من نشرة غير دورية يصدرها المركز.



• في عام ١٩٩٩ تم اختيارك رئيساً لقطاع المراكز العلمية بدار الكتب والوثائق. حدثنا عن تلك الفترة وما تم بها من إنجازات.

•• في ١٩٩٩ وفي سابقة هي الأولى تم اختياري رئيساً لقطاع المراكز العلمية بدار الكتب والوثائق الوطنية، حيث قمت بالإشراف على ٥ مراكز هامة بالدار وهي: مركز الترميم، مركز التاريخ المعاصر، مركز التوثيق الإلكتروني، مركز المخطوطات، ومركز الطفل. وأثناء تلك الفترة نجحت في إنشاء أول موقع إلكتروني على الانترنت لدار الكتب ضم العديد من الروابط الهامة، كما تم تكليفي بعدد من المهام داخل وخارج البلاد، منها رحلة إلى مملكة البحرين عام ٢٠٠١ لتقديم الدعم لمركز الترميم في دار الثقافة البحرينية.

• عام ٢٠٠١ مرحلة مهمة وتاريخية في حياة أ.د. حامد عيد، وهي تكليفك من قبل وزارة الخارجية المصرية لمهمة قومية كمستشار ثقافي ومدير المركز الثقافي المصري بالرباط، وهنا يرتبط العمل العلمي والأكاديمي بالعمل الدبلوماسي. نتذكر معاً هذه المرحلة المهمة في مسيرتك وكيف أفدت واستفدت منها؟

•• هي واحدة من أهم مراحل حياتي العملية عندما تم اختياري مستشاراً ثقافياً بالسفارة المصرية بالمغرب، ومديراً للمركز الثقافي المصري بالرباط، ومثلت أكبر تحدٍّ يواجهني. ففي الأول من يوليو ٢٠٠١ عندما وطئت قدمي لأول مرة أرض مطار كازابلانكا بالمملكة المغربية في مهمة قومية أمثل فيها بلدي، بدأتها بتنفيذ اتفاق بيني وبين المرحوم الأستاذ عبد الوهاب مطاوع الذي كان يشرف على بريد الأهرام، وهو واحد من أشهر الأبواب الصحفية في مصر أن أقوم بإرسال رسائل التعريف بالمغرب، فكانت البداية برسالة عن انطباعاتي الأولى التي شعرت بها عند زيارتي عدة مدن مغربية، بدأتها بالرباط العاصمة السياسية للمملكة مروراً بالدار البيضاء ومعلمها الكبير مسجد الحسن الثاني؛ تلك الجوهرة التي بنيت فوق الماء واشترك في بنائها كل الشعب المغربي، ثم إلى مدينة فاس التي كتبت عنها رسالة بعنوان «أنفاس التاريخ» حكيت فيها مشاعري عندما زرت المدينة القديمة، ثم كانت الرسالة الرابعة عن مدينة الحب والسلام، مدينة تطوان، ولأول مرة يتعرف المصريون على زيت أرجان وتلك الشجرة العجيبة التي تنمو بجنوب المغرب في رسالة بعنوان «شجرة الحياة».

تلك كانت البداية، والتي وصلت إلى الشعب المغربي من خلال وكالة الأنباء المغربية بعنوانين مثيرة مثل، دبلوماسي مصري يتحدث عن...، أو المستشار الثقافي المصري يصف مدينة... وغيرها من التعليقات مما أوجد حالة من الود فكان استقبالاً حافياً بي، ثم أتبعتها بمقالات أخرى طويلة بصفحة قضايا وآراء بالأهرام تعرّف بالمغرب وثقافته والروابط المشتركة للشعب المغربي مع شقيقه الشعب المصري، وكانت تنشر بالإضافة إلى الأهرام القاهرية في واحدة من كبريات الصحف المغربية وأعرقها وهي صحيفة العلم، منها: صفحة جديدة

في تاريخ العلاقات المصرية المغربية، جامعاتنا وسوق عربييه مشتركة للثقافة والتعليم.. أيام طه حسين في المغرب، في ذكرى محمد الخامس الملك العالم، مصر ودورها الثقافى العربي، التعريب وأزمته المستحكمة، في مواجهه تشويه حضارة الإسلام، الترويج لمونديال ٢٠١٠، نحو وثيقة للأخلاقيات في مجال العلوم والتكنولوجيا، الذكرى الـ١٢٠ لرحيل الشيخ رفاعه الطهطاوي، عقب التاريخ في روح العلاقات المصرية المغربية، المقهى الثقافى من الرباط-وتكريم بنسالم حميش، مرور ٧٠٠ عام على ميلاد الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة. وفي نفس الوقت أردت أن أعرف القارئ المغربي بماهية الحضارة المصرية القديمة حين استضافتني صحيفة العلم في مقال أسبوعي بعنوان «مصريات» تحدثت فيه على مدى أكثر من عشر مقالات عن قصة الحضارة المصرية في مجال الكيمياء، والفن والهندسة، والطب، والصيدلة، ومعجزة بناء الأهرام وغيرها.

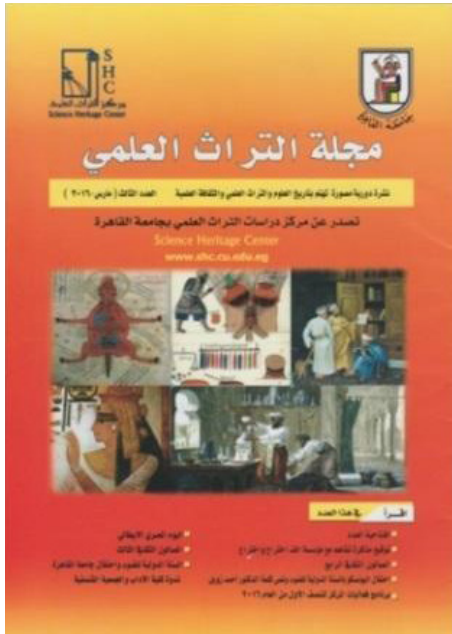
وبنفس الحب قمت بقيادة فريق من ثلاثة من العاملين بالمركز، وانطلقنا لآفاق بعيدة ورحبه في حدود إمكاناته، حيث انتقلنا بمقتنياته ومعارضة إلى مدن خارج الرباط بأسابيع ثقافية تم تنظيمها في رحاب عدد من الجامعات المغربية في كل من تطوان ومكناس والمحمدية والقنيطرة والدار البيضاء، واكتسبت أرضاً جديدة عرفت من خلالها جموع الطلاب المغاربة على مصر وثقافتها وكان يرافقنا دائماً سعادة السفير أشرف زعزع سفير مصر آنذاك وعدد من أعضاء السفارة المصرية، مما مثل زخماً كبيراً لتلك العلاقات.

وبعد عام من وصولي إلى المغرب بدأت الإعداد للصالون الثقافى المصري حيث عقدت تسعة لقاءات تركت أثراً كبيراً بين مثقفي المغرب وأعلامه: فكان أول لقاءاتي مع السياسي المغربي المخضرم د. عبد الهادي بو طالب الذي حكى فيه عن رحلته السياسية في نصف قرن، وتبعه اللقاء الثاني المفكر الإسلامى ووزير الإعلام والشباب المصري الأسبق الدكتور أحمد كمال أبو المجد وعضو أكاديمية المملكة، الذي تحدث فيه عن الوضع السياسي المتردى الذي تعيشه الأمة العربية، ثم كان للشعر نصيب في لقاءات الصالون حيث دعي السفير الشاعر الدكتور

عبد العزيز خوجة سفير المملكة العربية السعودية بالمغرب وألقى عدداً من قصائده، منها تلك القصيدة التي يتحدث فيها عن مصر وحبها وعنوانها «أوبة العاشقين»، وفي اللقاء الرابع استضاف الصالون المفكر والسياسي المصري الكبير الدكتور عبد الوهاب المسيري، أستاذ الأدب الإنجليزي والخبير في الصهيونية، وكان ضيف الصالون الخامس الدكتور عبد العزيز التويجري المدير العام لمنظمة الايسيسكو الذي كتب وصفا لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن ٢١، وكان اللقاء السادس مع الفيلسوف المغربي الكبير د. طه عبد الرحمن في حديث عن الترجمة ودورها في تحديث الفكر العربي، أما اللقاء السابع فكان مع المتحدث الرسمي باسم القصر الملكي الدكتور حسن أوريد الذي طرح رؤيته العلمية لرحلة الشيخ الطهطاوي إلى باريس، وكان اللقاء الثامن الذي جاء في وقته تماماً مع عميد الأدب المغربي ومستشار جلالة الملك الدكتور عباس الجراري حيث تحدث فيه بصراحة عن دور المثقفين العرب في قضية الساعة وهي الإصلاح العربي، ويختم الصالون لقاءاته برحلة مع المناضل الكبير الدكتور عبد الكريم غلاب مدير صحيفة العلم، يحكى فيه عن ذكرياته عن مصر خلال فترة وجوده فيها الأربعينيات من القرن ٢٠ وسجلها في كتابه «القاهرة تبوح بأسرارها».

لم يكتفِ المركز خلال تلك السنوات الثلاث الهامة التي قضيتها كمستشار ثقافي بتلك الأنشطة المتنوعة، ولكن في رحابه دعيت إلى العديد من الندوات العلمية والثقافية والفنية التي غطت عدداً من الموضوعات الهامة التي تهم العلاقات المصرية المغربية والحالة الثقافية وموضوعات الساعة، وما أذكره هنا ليس على سبيل الحصر ولكن للتعرف على نوعيات تلك الندوات، فكانت البداية بندوة هامة عن رحلة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين إلى المغرب بدعوة من جلالة المغفور له الملك محمد الخامس، والتي جرت أحداثها في عام ١٩٥٨ وبعدها تم الاحتفال في ندوتين بذكرى شاعرين مصريين كان لهما صدى كبير لدى شعراء ومفكري المغرب وهما أمير الشعراء أحمد شوقي وشاعر النيل حافظ





إبراهيم، وكانت الندوة التالية بعنوان تأثير ثورة يوليو على حركات التحرر في شمال إفريقيا» التي شارك فيها من مصر د. جابر عصفور أمين المجلس الأعلى للثقافة آنذاك، وشارك فيها عدد من المفكرين والسياسيين العرب والمغاربة.... وتتوالى الندوات، ولأول مرة بالرباط ينظم المركز الثقافي المصري بالرباط في فبراير ٢٠٠٣ معرضاً للحضارة المصرية القديمة، وندوة كبرى بنفس العنوان شارك فيها كل من المستشار الثقافي

المصري ود.البيضاوية بلكمال والدكتور عبد العزيز سالم والأستاذ إياد يونس من سوريا، وفي مايو ٢٠٠٣ ينظم المركز ندوة أدبية وثقافية رائعة ضمت فنانين من مصر والمغرب وكان محورها الرئيسي هو «دور الفنان العربي في مواجهة المتغيرات الثقافية في عصر العولمة» دعي للحديث فيها من مصر الفنان الكبير يحي الفخراني والفنان القدير د. أحمد عبد الحليم، كما دعي من المغرب الناقد الفني د.مصطفى المسناوي والكاتب المسرحي عبد الكريم برشيد... تبعتها ندوة علمية هامة بعنوان الرقم العربي بين الحقيقة والافتراء وحدث فيها ما يشبه المناظرة كان طرفاها الدكتور يونس الحملاوي أستاذ الحاسبات بجامعة الأزهر وأمين عام الجمعية المصرية لتعريب العلوم. وفي الجانب المدافع عن الأرقام المستخدمة في المغرب العربي كان الدكتور عبد الرازق الترابي الحاصل على الدكتوراه في الإسلاميات وعضو هيئة تحرير مجله أبحاث اللسانيات، واتخذ دور الحكم بينهما الدكتور علي القاسمي الكاتب والباحث العراقي المقيم في المغرب الذي اختاره مؤخراً مجمع اللغة العربية عضواً مراسلاً عن العراق. وفي وقت لاحق من العام ٢٠٠٣ أقام المركز أمسيه أدبيه لتكريم الأديب والروائي المغربي

د. بن سالم حميش الفائز بجائزه نجيب محفوظ للأدب الروائي للعام ٢٠٠٢ التي تمنحها الجامعة الأمريكية سنوياً في عيد ميلاد الأديب العالمي عن روايته العلامة.

لقد شهد المركز الثقافي المصري العديد من المحاضرات والندوات العلمية والثقافية، من أهمها ندوة «العمارة الإسلامية في الوطن العربي» ثم كانت الندوة الهامة التي أقيمت بمشاركة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط عن رفاعة الطهطاوي وتأسيس مرجعية النهضة العربية، وذلك بمناسبة مرور مائتي عام على ميلاد رفاعة رافع الطهطاوي. وفي بداية العام ٢٠٠٤ نظم المركز بالتعاون مع الجمعية المغربية للتنسيق بين الباحثين في الآداب المغربية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ندوة بعنوان «ثقافة الطفل والشباب في العالم العربي» حضرها عدد من الباحثين من مصر والسعودية والمغرب، وفي العشرين من مايو ٢٠٠٤ عقدت بالمركز ندوة هامة مشاركة في الاحتفاء بذكرى مرور ٧٠٠ عام على ميلاد الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة، وشارك فيها من مصر الدكتور حسين نصار ومن المغرب عضوا أكاديمية المملكة المغربية الدكتور عبد الهادي التازي ومحمد بن شريفة.

لقد استقبل المركز ضيوفاً كثيراً من مصر ألقوا محاضرات وأسهموا بجد في إيجاد صيغة من التواصل بينهم وبين الشعب المغربي المحب لكل ما هو مصري، فها هي اللقاءات السنوية من شهر رمضان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي، ولقاءات مع الدكتور مصطفى الفقي وفضيلة الشيخ إسماعيل الدفتار والعالم الجليل الدكتور عبد الحافظ حلمي وغيرهم من العلماء المصريين الذين كانوا في زيارات خاطفة للمغرب.

أما عن التعاون العلم الذي فكان لدور المركز النشاط الحظ الأوفر في تفعيله من خلال ربط الاتصال بين الجامعات المصرية والمغربية حتى إنه ساهم في توثيق العلاقة بين أربع جامعات مصرية ومثيلتها مغربية من خلال اتفاقيات تم توقيعها بالأحرف الأولى أتمنى أن يتم استثمارها وتتنعش الرحلة العلمية بين

البلدين، ويتوافد الباحثون من مصر إلى المغرب وبالعكس لتتكون قناة جديدة مهمة تزيد من أطر العلاقات الوطيدة بين الشعبين الشقيقين، بالإضافة الى رد الروح لبرتوكول التعاون العلمي بين البلدين حيث تم تشكيل لجان مشتركة لتقوم بتنفيذ هذا الاتفاق الهام.

وعن العلاقات الثقافية فحدث ولا حرج، لقد كانت الوفود الفنية التي جاءت إلى أرض المغرب، بالإضافة لفرق الفنون الشعبية والفرق المسرحية، لقد جاءت بحق تشارك الشعب المغربي في أفراحه وأتراحه، وفي مهرجاناته واحتفالاته بدعم كامل من وزارة الثقافة المصرية وبتواصل حي من المركز الثقافي المصري، مما أدى إلى وجود حقيقي للثقافة والفن المصري في قلب المغرب شماله وجنوبه.

أما العلاقات الشبابية والرياضية، فقد شهدت على مدى تلك السنوات الثلاث نمواً شهد به القاصي والداني، فلم تنقطع رحلات الوفود الرياضية والشبابية بين مصر والمغرب، مما كان له الأثر الكبير في إنجاح تلك الاتفاقية الهامة الموقعة بين وزارتي الشباب والرياضة في كل من البلدين، وكان دور المركز الثقافي هو همزة الوصل بينهما، مما ضاعف من النجاح الذي شهدته تلك العلاقة.

وتبقى كلمة عن مكتبة المركز العامرة التي تقتني أكثر من ٢٥ ألف كتاب، وتم تزويدها خلال السنوات الثلاث التي قمت فيها بمهمتي بأكثر من ألفي كتاب في شتى مجالات المعرفة من أحدث الإصدارات التي قدمتها المطابع المصرية، لتكون شاهداً على ما يربط تاريخياً وثقافياً بين مصر والمغرب، وهنا ود أن أقدم شكرنا لهيئة الكتاب، دار الكتب والوثائق القومية، هيئة الثقافة الجماهيرية، المجلس الأعلى للثقافة، مؤسسة الأهرام، دار المعارف التي زودتنا بالعديد من الإصدارات التي أغنت مكتبة المركز بشكل متميز.

كما كان لبرتوكول التعاون الذي تم عقده بين المركز الثقافي المصري بالرباط أثناء تولية منصبي مع المجلس الأعلى للآثار برئاسة الدكتور زاهي حواس،

آنذاك، أكبر الأثر في تزويد المركز بالعديد من المستنسخات المصرية القديمة والتي تم شحنها إلى الرباط ويمكن مشاهدتها حتى اليوم.

• في عام ٢٠٠٥ التحقت كخبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومقرها الرباط، وكانت أيضاً إضافة مهمة لخبرتك العلمية والمهنية الكبيرة. ماذا مثلت لك تلك الفترة؟

•• كانت تلك المهمة هي استكمال لمهمتي كمستشار ثقافي، حيث عدت إلى القاهرة بعد انتهاء مهمتي الأولى ومكثت ثلاثة شهور أعقبها خطاب ندب من وزارة الخارجية إلى منظمة دولية هي المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة «الاييسكو» ومقرها أيضاً بالرباط، فكأنني أكمل المهمة ولكن في توجه دولي إقليمي، كانت هي مسك الختام لحياتي الدبلوماسية التي أفخر بها ضمن حياتي العملية.

فخلال عامين قضيتهما ضمن خبراء منظمة الايسيسكو التي زحرت بالكثير من الخبرات الميدانية، أتاح لي عملي كخبير للعلوم فرصة الاطلاع على العديد من الأنشطة العلمية، وقدمت فيها العديد من المهمات العلمية التي كلفت بها من قبل المنظمة لإعداد العديد من المؤتمرات والندوات الإقليمية والدولية في عدد من الدول الإسلامية، حيث استفدت جداً من سفري والاحتكاك بالعديد من المدارس العلمية. فقد شاركت وأعددت وقيمت بإلقاء كلمة المدير العام للمنظمة في العديد من اللقاءات منها:

١. «الدورة التدريبية الوطنية حول استخدام التقنيات الإلكترونية لنقل المعلومات في مجال تعليم العلوم» والتي عقدت في الفترة من ١٩ إلى ٢١ فبراير ٢٠٠٦م بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

٢. «المؤتمر الدولي حول الموارد المائية المرئية»، الذي عقد في ١٤-١٧ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٦، بيروت، لبنان.

٣. الندوة الدولية حول تكنولوجيا النانو والتطبيقات الصناعية ٥، ٦ كانون الأول ٢٠٠٥، بيروت، لبنان.
٤. «مدرسة النانو تكنولوجي وتطبيقاتها وتقنياتها» المنعقدة في الفترة من ٢٦ إلى ٣١ أكتوبر ٢٠٠٦، لاهور باكستان.
٥. «الدورة التدريبية الإقليمية حول استخدام تقنيات المعلومات الحديثة وطرق التعليم عن بعد في تدريس العلوم»، والتي عقدت في ٩-١١ نيسان ٢٠٠٦، حلب، الجمهورية العربية السورية.
٦. ورشة عمل تدريبية إقليمية حول صيانة الأجهزة العلمية للمهندسين والفنيين، من ١٩ إلى ٢٣ كانون الأول ٢٠٠٥، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.
٧. دورة تدريبية إقليمية حول «حقوق الملكية الفكرية»، ٢٦-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥، الكويت.
٨. دورة تدريبية وطنية حول تحلية المياه والحفاظ على التلوث، ٢٠-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٥، الخرطوم، السودان.
٩. «تنمية معارف ومهارات الباحثين لإجراء مسوحات حول مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية»، المنعقدة في العاصمة الأردنية- عمان في الفترة من ٦-٨ حزيران ٢٠٠٥.
١٠. «المنتدى الوزاري العاشر بشأن التكنولوجيات السلمية بيئياً على الحدود من أجل التنمية المستدامة لإفريقيا - دور المغتربين»، الذي عُقد في ٢٧-٢٩ نيسان / أبريل ٢٠٠٦، أكرا، غانا.
١١. «أخلاقيات التعامل مع التقنيات الحديثة» المنعقد في ١٦ و ١٧/٥/٢٠٠٦ طرابلس - ليبيا.
١٢. «اجتماع مجلس الوزراء العرب المسؤولين عن البيئة» الذي عقد في ١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٩، مرسى علم، مصر.
١٣. المؤتمر الدولي الثاني بعنوان «الحوار العربي الغربي: اختلاف أم اختلاف في التوافق» المنعقد في الفترة من ٢٩ إلى ٣١ مارس ٢٠١٠، المنيا، مصر.

١٤. «المؤتمر الدولي الثامن للتعليم عبر الإنترنت - تحت رعاية جامعة الدول العربية» المنعقد في الفترة من ١٤ إلى ١٦ يوليو ٢٠٠٩، القاهرة، مصر.
١٥. شاركت كممثل كرسي الإيسيسكو في جامعة القاهرة، في تنظيم ندوة «تحديات التعليم الطبي في الجامعات المصرية» المنعقد في ٢٥ مارس ٢٠٠٩، القاهرة، مصر، و«المؤتمر الإقليمي العربي للتعليم العالي، جامعة الدول العربية»، المنعقد في الفترة من ٢١ مايو إلى ٢ يونيو ٢٠٠٩، القاهرة، مصر، كخبير دولي في «المائدة المستديرة حول الاستهلاك والإنتاج المستدامين» المنعقدة في ٢٧-٢٩ سبتمبر ٢٠٠٩. بمقر جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر. وخبير دولي في «الندوة الإقليمية حول تاريخ الزراعة في العصر الإسلامي المبكر» المنعقدة في ٢٤-٢٦ نوفمبر ٢٠١٤، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.

• في احتفال جامعة القاهرة بالذكرى المئوية وهي مناسبة تاريخية، تم اختيارك مستشاراً لرئيس الجامعة ورئيساً للمكتب الفني للاحتفال، وأعتقد هنا أن العمل ارتبط بانتمائك واعترافك بالفضل لهذه الجامعة العريقة، نتذكر معاً هذه الاحتفالية ومجهوداتك فيها؟

•• في عام ٢٠٠٧-٢٠٠٨ احتفلت جامعة القاهرة بالذكرى المئوية لتأسيسها، وتم اختياري مستشاراً لرئيس جامعة القاهرة آنذاك، معالي الأستاذ الدكتور علي عبد الرحمن، ورئيساً للمكتب الفني للاحتفال، وكنت مسؤولاً عن جميع الفعاليات والندوات والأنشطة التي عقدت خلال العام بأكمله، وأنشأت موقعا إلكترونياً ضم تلك الفعاليات. (مرفق قائمة بالفعاليات التي أشرفت وأدرت فعاليتها) <http://100.cu.edu.eg>

• قمت بنشر العديد من المقالات بالجرائد والصحف حول مفهوم الحياة الخضراء، والكيمياء الخضراء وغيرها من المفاهيم. نتعرف على هذه المفاهيم باختصار وما تريد أن توصله للناس.

•• إن الجهود الرامية إلى تطوير الوعي البيئي تحقق نجاحاً أكبر حين تبدأ من النقطة الصحيحة؛ أي منذ السنوات الأولى التي يتفتح فيها وعي أبناء أي مجتمع

على الدنيا، وهنا كان من الواجب أن أقدم مبادرة مهمة لكل القطاعات ذات الصلة بالتوعية ونشر المعرفة بالبيئة، وسبل حمايتها بطريقة ممنهجة، حيث تأتي الجامعة من أوائل تلك القطاعات المنوط بها دعم وتنفيذ مخططات على مستوى الدولة، لجعل عملية تخضير عقول أبنائنا تسير بشكل متوازٍ مع ما يدرسونه من مقررات عملية وعلمية، فالتعليم البيئي يسعى إلى تقديم معلومات متعلقة بالبيئة وعناصرها ووظائفها وكيفية التفاعل مع تلك المكونات، وتلفت النظر إلى مخاطر تهدد كوكبنا، بالإضافة إلى نشر القيم البيئية وتطوير المهارات اللازمة للمساعدة على اتخاذ القرارات والإجراءات، وتجديد السلوكيات الصحية للتعامل مع البيئة والموارد الطبيعية والأنظمة البيئية أيضاً، ومع التطور العمراني والتقدم الاقتصادي وزيادة عدد السكان زادت الحاجة إلى الموارد الطبيعية، لذا يجيء التعليم البيئي لتزويد الطلبة وأفراد المجتمع بتلك المعلومات والقيم التي تؤدي إلى مجتمع واع بقضايا البيئة والمخاطر التي تواجهها. ومن ثم المساهمة في الحلول، إما بشكل فردي أو جماعي أو بمساعدة جهات حكومية. فالتطورات الحديثة الجارية في العالم اليوم تحت مفهوم الكيمياء الخضراء هي جزء من اتجاه عالمي يدعو إلى المجتمع الأخضر أو ما يسمى بالتنمية المستدامة. والكيمياء الخضراء تعنى بتصميم منتجات كيميائية أكثر رفقا بالبيئة وتقلل الأثر السلبي على صحة الإنسان وبيئته بالإقلال أو الإقلاع عن استخدام أو إنتاج المواد ذات الخطورة، وتقليل الانبعاثات الناتجة عن عمليات التصنيع وابتكار مواد كيميائية جديدة تعود بالخير على البيئة.

وهنا بدأت محاولات جادة نحو تدريس مقرر جديد لطلاب السنة الرابعة تحت مسمى «الكيمياء الخضراء» والذي تحول بعد ذلك إلى مسمى جديد «الكيمياء العضوية البيئية» حيث جذب العديد من طلاب تخصصات الكلية المختلفة

لدراسته، لما له من تأثير على حياتهم، وكذلك لإكسابهم وعياً علمياً للحفاظ على البيئة وحمايتها.

وفي سبيل نشر هذا التوجه، تمت استضافتي لتسجيل ١٠ ساعات من المحاضرات العلمية حول الكيمياء الخضراء بالتلفزيون المصري (قناة التعليم العالي) ورفعت على اليوتيوب للكافة، تحت عنوان «مقرر الكيمياء الخضراء وتاريخها وأهميتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى» وكذلك قدمت دورات حول عنوان «الكيمياء الخضراء والبيئة».

وقمت بنشر عدد من المقالات بجريدة الأهرام حول مفهوم الحياة الخضراء منها على سبيل المثال: التحدي البيئي، الربيع الصامت، تخضير العقول والقلوب، اليوم العالمي للمياه وثقافة صونها، الفلسفة الخضراء، من المهد الى المهد، العمارة الخضراء، مستقبلنا المسروق، نحو بيئة خضراء بالجامعة.

• هل فشل العالم في فهم التحدي البيئي الذي نواجهه حالياً بما فيه من تغيرات مناخية أدت إلى ما نعانیه من فيضانات وحرائق وارتفاع كبير في درجات الحرارة؟

•• العالم لحقه ما يمكننا أن نسميه بالفشل في فهم التحدي البيئي الذي نعيشه، في ظلال متغيرات البيئة ذاتها في عهدنا المعاصر وفترتنا الراهنة، والتي تجلت في ظواهر عدة منها ظواهر التغير المناخي الرهيب الذي نمر به ويمر بنا، والذي يتجسد فيما نراه الآن من متغيرات مناخية فارقة أدت على سبيل المثال للفيضانات التي تضرب أوروبا - ألمانيا نموذجاً - في شهور الصيف، وفي درجة حرارية عالية في حين لم يحدث هذا شتاءً! كذلك الحرائق التي تضرب الغابات في تركيا واليونان والبرتغال بصورة بالغة دعنتني إلى أن أشكك فيما أسميه بالفلسفة الخضراء التي تنتهجها هذه الدول التي يُنظر لها باعتبارها دولاً تسابق الزمن في اكتشاف المجهول.



• ما هو المشروع الذي تعمل عليه حالياً وأهم القضايا التي تشغلك؟  
•• أنا مهتم بقضايا الوطن بوجه عام وتجذب انتباهي موضوعات الساعة المتعلقة بالتنمية المستدامة، وكيف يمكن للجامعات المصرية أن تدعم اتجاه الدولة في هذا المجال. وانشغلت بقضايا العولمة وعلاقتها بمصر وكتبت فيها سلسلة تسمى العولمة في مصر في إطار تاريخي، وحوّلت هذا الاهتمام إلى بحوث علمية نشرت في مجلات عالمية.

والمجال الثاني الذي جذب انتباهي حالياً هو الجامعة ودورها في مجال الاقتصاد الدائري وأهمية وضع خريطة طريق له، بالإضافة إلى موضوع استشراف المستقبل في مصر، ولي فيها عدة بحوث علمية أتمنى أن تكون ذات إضافة في هذا المجال.

## حكايات المدينة

### «وصلت الكهرباء»!

قصة دخول الكهرباء إلى مدينة عمّان

نداء الخزعلي\*

في أواخر القرن التاسع عشر شهدت عمّان قدوم وافدين جدد، سواء من الشركس ومن الشام - من دمشق تحديداً - ومن نابلس، وساعد هذا اللجوء والتوافد على انتعاش الحركة التجارية والثقافية فيها والتي تركزت في وسط البلد بالقرب من الجامع الحسيني.

كانت عمّان خلال هذه الفترة قرية صغيرة على ضفاف السيل الذي عُرفَ باسمها، وبمقارنتها مع مثيلاتها من عواصم دول الجوار، فقد كانت تبدو مدينة بسيطة الموارد والإمكانيات، تنتشر في طرقاتها وعلى مداخلها الفوانيس والمصابيح التي لا يتجاوز عددها الأربعين، حيث كان يقوم متعهد البلدية (بهجت صادق السعودي) بتعبئتها بالكاز وإنارتها بعد صلاة المغرب، وإطفائها عند الفجر، وذلك من خلال إنزال الفانوس عن طريق السلك الموجود على العجلة، ثم يسحب السلك لرفع الفانوس. وركبت هذه الفوانيس في الحارات على الأعمدة الخشبية، أما داخل المنزل فوضعت في مشكاة خاصة، مع التهديد والوعيد لمن يحاول الاقتراب منها. ووجد نوع من الفوانيس انتشر بكثرة بسبب جودته الممتازة حمل اسم «ياسين» وكان سعره ثلاثة قروش، ووجد كذلك فانوس آخر بجودة وسعر أقل حمل اسم «ياسمين»، وكتبت الميم في الاسم بخط أصغر من باقي الأحرف.

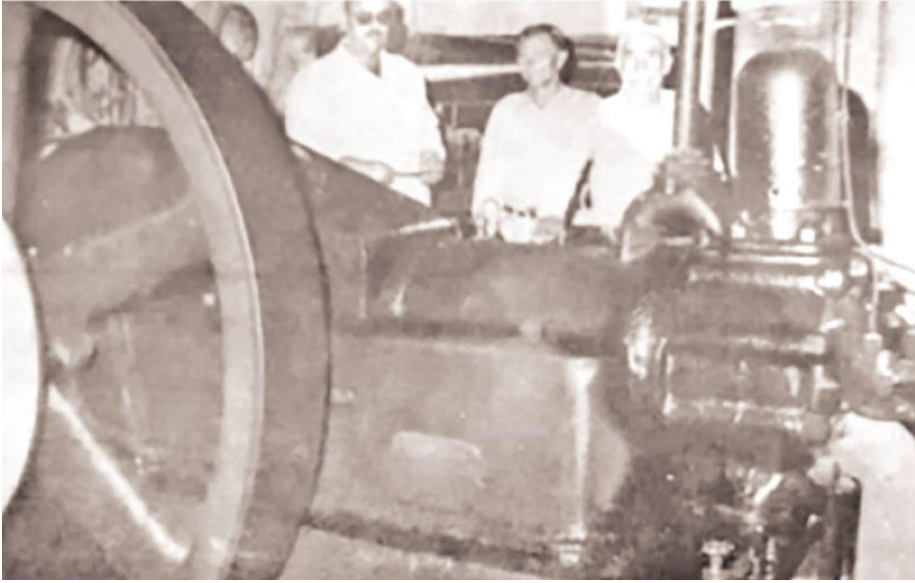
\* باحثة في التأريخ الشفهي والكتابات القديمة (الأردن).

لم تكن الحياة في عمان بداية الأمر سهلة، فجبال عمان وطبيعتها الجغرافية حتمت على ساكنيها البناء في أماكن معينة، فمنهم من كان قرب السيل ويتمتع باليسر في تعبئة الماء من العين، وإحضار الكاز للفوانيس من بقالة السمان (أبو علي اللداوي)، ومنهم من كان أعلى الجبال ويحتاج إلى من يحمل له سطل الماء والكاز، لذا وجد ما عُرف «بالحمالين»، الذين كانوا يتقاضون أجورهم «بحسب طبيعة الحمل، وثقله أو خفّته، وبحسب المسافة وطبيعة التضاريس من حيث السهولة والوعورة».

وعلى الرغم من بساطة الحياة وبدايتها في ذلك الوقت، وجد في عمان من عرف الكهرباء لكن بنطاق ضيق، إذ وجد مولد صغير يستعمل لضخ المياه للمقر الأميري وإنارته، كما وجدت بعض المولدات عند عدد من التجار، والملاكين، ورجال الأعمال تستخدم لأغراض خاصة ومحددة، منها مولد لتغذية مطحنة السعودي الذي أحضره (رشدي السعودي) من فلسطين، ومولد لإنارة دار سينما أبو صياح القباني في عمان، كما وجد مولد في عيادة الدكتور (صبيح أبو غنيمة) وأحضرت المولدات إلى عمان من بيروت وإسطنبول ودمشق كذلك.

كان (الحاج محمد علي بدير) أو كما عُرف بـ(أبو الكهرباء) ذا الأصول السورية، قد كبر وتعلم في كتاتيب عمان، وشرب من سيلها، وبسبب تنقله الدائم بين عمان وبيروت والقاهرة كان قد تعلم الكثير من الأفكار وأراد تطبيقها في عمان ومنها توصيل الكهرباء إلى أحياء عمان، فعمته عمان الموحشة لا تناسب طبيعتها ونسيجها الاجتماعي المفعم بالحياة.

اشترى الحاج محمد علي بدير رخصة تعهد إنارة الفوانيس من بهجت صادق السعودي بمبلغ ١٠٠ جنيه فلسطيني، واقترح مع مجموعة من رجال الأعمال على أصحاب المولدات الخاصة أن يضاعفوا إنتاجها ويزودوهم به مقابل مبلغ مالي زهيد، ثم بعد ذلك اجتمع أصحاب المولدات الصغيرة، ورجال الأعمال، وعدد من سكان عمان لتزويد بعض شوارع عمان بالكهرباء، إذ استأجر أول مولد من مطحنة السعودي الواقعة في نهاية حي المهاجرين، وكان يستخدم المولد في الصباح لطحن الحبوب، وفي المساء يستخدم لإنارة الشوارع، وبعدها تم شراء أول



#### أول موتور في عمان سنة ١٩٣٤

وفي عام ١٩٣٨م تأسست شركة للكهرباء وحملت اسم (شركة كهرباء عمان لأصحابها محمد علي بدير وشركاه) برئاسة الحاج محمد علي بدير و خليل الصفدي، وضمت عدداً من المساهمين منهم ياسين التلهوني، وبشير حافظ، ومحيي الدين عمر الجندي، وأسعد صابر، ومليح حمزة الدية، ومحمد الغريواني، وانضم إليهم لاحقاً كل من وديع أسعد، وتوفيق طوقان. وكانت الشركة ذات إمكانيات بسيطة وبمولد قوته ٧٠ حصاناً، لتوليد الطاقة الكهربائية، أنشئت بداية الأمر كمبنى صغير مكون من طابقين على طريق المحطة، فالطابق الأول أخذ شكل عدد من الغرف المفتوحة على الشارع كالدكاكين، والطابق الثاني مكاتب للشؤون الإدارية، حيث وجد فيه مكتب للحاج محمد علي بدير، وللمدير محمد شاهر إسماعيل، وكان عدد الموظفين لا يتجاوز العشرين موظفاً موزعين بين الفنيين والإداريين، والجباة، وعرف غالباً باسم مكتب الطوارئ. وبعد مدة قصيرة قام الحاج محمد علي بدير بشراء قطعة أرض في منطقة رأس العين وبناء المحطة «الهنجر» عليها، ووضع فيها مولدات لتوليد الكهرباء باستخدام الديزل،

وعمل فيها عدد من الفنيين والمهندسين، الذين كانوا في الغالب من سكان المناطق المجاورة، وكانوا يحظون بفترة استراحة يومية لتناول الغداء الذي كان يأتيهم به أحد أفراد أسرهم ومنهم (محمد سعيد عمر بكج) العامل الفني بالمحطة والذي كان يحظى بوجبة غداء ساخنة يومية؛ إذ كانت تأتي بها ابنة أخيه التي وصفت المحطة بأنها «بناء صغير من حجر طابق واحد مسقوف بزينكو وفيها موتورات صوتها عالي كثير وكبيرة».



### صورة حديثة للنهجر الذي استخدمته شركة الكهرباء قديماً

وفي نفس السنة قدم الحاج محمد علي بدير وعدد من رجال الأعمال طلباً إلى رئيس بلدية عمان (سامح حجازي) بإنارة شوارع البلدية بمائتي مصباح كهربائي، ووافقت البلدية على هذا الطلب، ووزع في عمان عدد من الأعمدة الخشبية كتب عليها «خطر الكهرباء والعبث يؤدي إلى الموت» «هذا نور لكنه نور مميت»، وكان شارع الرضا أول شارع يضاء في عمان، ثم وصلت الكهرباء إلى عدد من البيوت في

جبل عمان بشكل تدريجي، وكان عدد المشتركين حينها ٥٠٠ شخص، وقد فرضت الشركة حينها مبلغاً مسترداً في بداية التسجيل للخدمة تحت بند التأمينات، كما فرضت مبلغ ٥٠ فلساً شهرياً على المشتركين من أجل أعمال الصيانة وتغيير العداد، وكان والد (محمد مامسر) قد تأخر في مد خط الكهرباء للبيت، مما جعل محمد كباقي شباب أحياء عمان يقوم بحيل عدة ليعتقد الجيران بأنهم مدوا خط الكهرباء ومنها: أنه كان يرفع شعلة الفانونس ثم ينزلها أكثر من مرة بسرعة، وأن يوزع الفوانيس بالقرب من النوافذ.

«وصلتك الكهرباء؟» هو أكثر سؤال انتشر بين سكان عمان في نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات، فوصول الكهرباء إلى عمان دون المدن المجاورة لها، أضاف جاذبية وسحراً لها وميزة جعلت ساكنيها لا يكون ولا يملون من التباهي بوصول الكهرباء لمنزلهم، وشكر الحاج محمد علي بدير في كل مناسبة، كما دفعت الكهرباء عجلة الحضارة والاقتصاد فيها، مما جعل العاصمة محط أنظار أبناء وسكان المناطق المجاورة.

وفي الأربعينات وأثناء الحرب حاولت عدد من الشركات الأجنبية المساهمة والدخول في إدارة شركة الكهرباء، إلا أن المغفور له بإذن الله الملك المؤسس عبدالله بن الحسين أصدر أمراً إلى رئيس الوزراء (سمير الرفاعي) حينها بمنح شركة كهرباء عمان امتيازاً لسنتين طويلة لتكون أول شركة كهرباء عربية خالصة، وكان مديرها التنفيذي في ذلك الوقت (فاهيه غزالبن شركسي) الذي كان في بداية كل سنة يقوم بإطفاء الكهرباء عن عمان لمدة دقيقتين للاحتفال برأس السنة، وقد كان عدد العاملين في الشركة حينها حوالي سبعين موظفاً موزعين بين الإداريين والفنيين والكشافين وعمال تركيب العدادات، والجباة، في حين بلغ عدد المساهمين حوالي ٩٩ مساهماً، ووصل عدد المشتركين في الخدمة ما يقارب ٦٠٩ مشتركين، وكانت الأولوية في الاشتراك للعاملين الفنيين في الشركة والمساهمين الذين بلغت رواتبهم ما بين ٧ دنانير إلى عشرة دنانير حينها.

كانت ساعات الدوام موزعة على فترات، فالفترة الصباحية تمتد من الساعة ٧:٣٠ إلى ٤ عصراً لكافة الأقسام، ثم الفترة المسائية وتمتد من الساعة ٤ لساعة

١١ مساءً للأقسام جميعها باستثناء القسم الإداري، وفترة الطوارئ التي تبدأ بعد الساعة ١١ وتكون للفنيين والعاملين على شبكات الضغط العالي، وحمل كل موظف بطاقة تعريفية تحتوي على رقم خاص به، يتم فحصها من مراقب الدوام يومياً في بداية الدوام، وكان الموظف يحصل على تعويض مقداره حوالي ١٠٠٠ دينار كل خمس عشرة سنة.

وعند تقديم الطلب للحصول على الخدمة كان على المشترك إحضار جواز السفر، وإذن الإشغال، ثم تعبئة طلب الاشتراك ودفع ١٥ ديناراً قيمة الاشتراك، و١٠٠ ديناراً تأمين عداد، وأخيراً كتابة تعهد بأن لا يعبت بالكهرباء، وأن يكون أميناً على استخدامها؛ وكانت المدة بين تقديم الطلب ومدّ الخط تتراوح بين ثلاثة إلى أربعة أيام بسبب قلة المستفيدين من الخدمة حينها، وكانت تكاليف الحصول على الخدمة تختلف إذا كان العقار داخل منطقة الخدمة أم خارجها، فكل عمود خارج منطقة الخدمة كانت تكلفته ٣٥ ديناراً.

ووجدت أسباب عديدة لرفض طلب الاشتراك، منها مرور الخط عبر أرض الغير، ووجود تمديدات داخل الحمامات، وعدم إحضار رخصة العقار، وهي من القوانين التي ما تزال سارية إلى الآن. وكانت الشركة تتعاقد مع متعهد لتأمينها بعمال المياومة من أجل أعمال الحفر ونقل المعدات للمواقع، بالإضافة إلى الدواب لنقل المعدات الثقيلة.

ومع مرور الأيام زاد عدد السكان نتيجة موجات اللجوء والهجرة القسرية، حيث استقر عدد كبير في كل من عمان والزرقاء، مما زاد المسؤولية والضغط على شركة كهرباء عمان، لذا عملت الشركة عام ١٩٥٦م على شراء مولدين بقوة ٥٠٠٠ كيلو واط للواحد يعملان بالديزل والمازوت من (شركة كروسلي البريطانية)، وأصبح عدد المستفيدين من الخدمة ٦٠٠٠ مستفيد منزلي، و٣٠٠ مصنع.

وعملت الشركة على توسيع مناطق الامتياز لديها منذ عام ١٩٥٨م لتشمل بلدية وادي السير، وبلدية الرصيفة والزرقاء، وبلدية مادبا، وصويلح ليصبح عدد المشتركين في الخدمة حوالي ١٧٠٠٠، وفي عام ١٩٦٢ تم دمج شركة الكهرباء

الأردنية مع شركة كهرباء الأردن المركزية تحت اسم « شركة الكهرباء الأردنية المساهمة المحدودة»، وتم تجديد الامتياز للشركة لمدة خمسين سنة.

وفي عام ١٩٦٢م أنشأت الشركة محطة توليد ماركا لتغطية الطلب المتزايد على الكهرباء، وعملت الشركة عام ١٩٦٣م على مشروع اليرموك لإضاءة لواء عجلون وتعميم الكهرباء على مدنها فوضع (أحمد الهنداوي) مدير شركة كهرباء عجلون خطة عمل لخمس سنوات، حيث عمل في السنة الأولى على تزويد مدينة الرمثا بالكهرباء من إربد عن طريق حوارة والصريح والحصن، وقدرت تكلفة هذا الخط بأربعين ألف دينار، وفي السنوات الأربعة الأخرى عمل على توصيل الكهرباء إلى منطقة الأغوار، ودير أبي سعيد، والمنطقة الشمالية، والمفرق، وبنبي حسن، ثم إيصالها إلى كل من قضاء عجلون وجرش؛ وفي عام ١٩٦٤م تم توسع امتياز الشركة ليشمل محافظة البلقاء، والمخيمات؛ إذ أخذت الموافقة على تمديد الكهرباء للمخيمات بشروط خاصة تتعلق بارتفاع الأسلاك عن أسطح منازل المخيم من وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (أونروا).

عدد من موظفين شركة الكهرباء في محطة ماركا حوالي ١٩٥٠

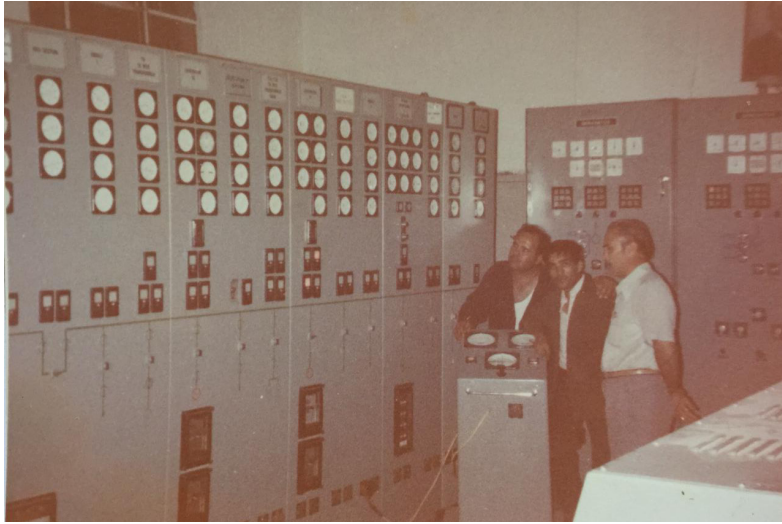




## بطاقة تعريفية لأحد العاملين في شركة الكهرباء



عدد من فنيي شركة الكهرباء في محطة ماركا- حوالي ١٩٦٠



وفي عام ١٩٧٠ بلغت قوة المولدات في الشركة بين ٢٥٠٠-٦٢٠٠ كيلو واط، ووصل عدد المشتركين إلى ما يزيد على ٧٢٨٣٢ مشتركاً، وعدد الموظفين أكثر من ٣٠٠٠ موظف موزعين بين الإداريين والفنيين والنقل بين جميع أفرع الشركة، بينما بلغ عدد المساهمين ٦٩٠٤ مساهماً.

وهنا يذكر أحد موظفي شركة الكهرباء أن الكهرباء لم تقطع أثناء الحرب عام ١٩٧٠، حيث أعلنت حالة الطوارئ في الشركة وبقي جميع العاملين خلال فترة الحرب على رأس عملهم داخل الشركة، بعدما عملوا على تأمينها ودهان الشبائيك باللون الأزرق ووضع اللاصق عليها، وكانت وجبات الطعام تأتيهم بأوقات معينة.

وفي عام ١٩٧٢ افتتح (محمد إسماعيل) المدير العام لشركة الكهرباء، محطة عين غزال، حيث بُني هنجر يحتوي على خمسة مولّدات كهرباء؛ كل مولد بقوة ٤٠٠٠ كيلو واط، وبجانب الهنجر وجدت المكاتب والمستودعات، وسكن بالقرب من المحطة الخبير البريطاني (بورتير) ليقوم بتدريب العاملين في المحطة على المولّدات الجديدة.

تراوحت رواتب الموظفين خلال فترة الستينات والسبعينات بين ٢٠ إلى ٢٠٠ دينار، بحسب الخبرة والمؤهل ومجال العمل. وامتازت الشركة بعدد من المميزات منها حصول الموظفين على التأمين الصحي لهم ولأفراد أسرهم طوال مدة الخدمة، وتفعيل صندوق الادخار بهدف إيجاد منفعة للمشاركين في الصندوق، واستثمار ما يجمع من أموال لتعود بالفائدة على الموظفين، حيث كان يتم اقتطاع ١٠٪ من راتب الموظف شهرياً، وتقدم الشركة ١٠٪ لكل موظف يتم وضعها في الصندوق كمدخرات، وقد أوقف العمل بصندوق الإِدخار عند تفعيل قانون الضمان الاجتماعي.

كان العمل في الشركة في هذه الفترة على مدار ٢٤ ساعة بنظام ثلاث فترات للأقسام الفنية تبدأ من الساعة ٧:٣٠ صباحاً، أما الأقسام الإدارية فيبدأ الدوام فيها من الساعة ٨ صباحاً لغاية ٢:٣٠ مساءً، بالإضافة لفترة استراحة مدتها نصف ساعة من ١٠ إلى ١٠:٣٠ صباحاً.

وفي هذه الفترة عند تقديم الطلب للحصول على خط كهرباء وجب على المشترك الحضور وتقديم الطلب، وتعبئة النموذج الموحد، وإحضار إذن إشغال، وسند

التشغيل، ومخطط الموقع ليطلع عليه الفنيون في الشركة، ورخصة بناء، وقد ارتفعت رسوم الاشتراك فقدرت بـ ٣٥ ديناراً، بالإضافة إلى ٣٠ ديناراً في حال كان العداد منزلياً، و ٦٠ ديناراً إذا كان العداد صناعياً، بالإضافة إلى التأمين المسترد بقيمة ١٥ ديناراً، وتراوحت قيمة فاتورة المنزل خلال فترة الستينات والسبعينات بين دينارين وعشر دنانير كحد أقصى.

وبدأت شركة الكهرباء خلال هذه الفترة بإرسال الفنيين والمهندسين إلى بريطانيا وفرنسا وتركيا لأخذ دورات لها علاقة بالمولدات، وتركيبها وآليات استخدامها وخصوصاً المولدات الجديدة، وفعلت نظام الترقية والزيادة السنوية للموظفين.

وكانت الشركة خلال هذه الفترة توظف العاملين فيها بعد اجتيازهم امتحان مركز التدريب المهني، حيث يدرّب فيه الطلبة تحت إشراف فنيين من شركة الكهرباء لمدة سنة، أما الأقسام الإدارية فكان يتوجب على العاملين فيها أن يكونوا حاملين شهادة التوجيهي أو البكالوريوس.

وتعاقدت الشركة مع عدد من شركات النقل مثل شركة (الهمشري) لتزويدها بالناقلات الكبيرة، والسيارات لنقل الأدوات والأعمدة، وعدد من الخبراء الذين يقيمون بالأردن لفترة معينة من أجل تدريب الكادر على الآليات والأجهزة الجديدة.

وتوقف العمل بالمولدات رأس العين سنة ١٩٧٩، حيث أصبحت شركة الوطنية لتوليد الكهرباء الأردنية تقوم بتوليد الكهرباء بواسطة محطة الحسين الحرارية بالزرقاء، والمحطة البخارية في العقبة، ثم بيعها إلى شركة الكهرباء الأردنية وامتيازها عمان، والزرقاء، ومادبا، وسحاب ومناطق الوسط عموماً، وإلى شركة الشمال في إربد وامتيازها مناطق الشمال، وإلى شركة الجنوب وامتيازها المناطق الجنوبية، وقد تأسست الشركة الوطنية لتوليد الكهرباء في الثمانينات من القرن الماضي في شارع زهران.

وفي بداية عام ١٩٩٠ تم الإعلان رسمياً عن تأسيس شركة الكهرباء الوطنية المساهمة، كما أنشئت هيئة رقابة لتنظيم قطاع الكهرباء، ووضعت أسس وقواعد تحكم العلاقات بين مؤسسات القطاع ومنح الرخص للتوليد والنقل والتوزيع ومراجعة التعرفة، كما وضع نظام الرقابة على خدمة الكهرباء من حيث معايير السلامة العامة والبيئة وحماية المستهلك، وفصل نشاط توليد الكهرباء عن نشاط النقل والتوزيع.

وتعمل شركة الكهرباء الأردنية المساهمة المحدودة من خلال خمسة وعشرين مكتباً موزع على محافظات ومناطق المملكة كافة، بالإضافة إلى أربعة وثلاثون مكتب تحصيل، ووصلت نسبة تغطية الكهرباء في الأردن إلى ٩٩٪، ما يعني أن الكهرباء وصلت لأغلب مناطق المملكة.

وثائق



### إعلان مبادرة القيادات الدينية والعلماء والمفكرين للعمل على حماية المصلين ودور العبادة\*

أطلق علماء ومفكرون وشخصيات دينية، عربية ودولية، مبادرة عالمية للعمل على حماية المصلين ودور العبادة. وأكد الموقعون على المبادرة، التي دعا إليها سمو الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي ورئيس مجلس أمناء المعهد الملكي للدراسات الدينية، رفض كل أشكال التطرف والكرهية والدعوة إلى حوار يُعزّز الوعي الفكري والإنساني؛ يتلاقى فيه الجميع على نتائج تحيي وتُقوي التعاون الإنساني، في سبيل وعي عالمي يمكنه التصدي بالوسائل المشروعة لحماية دور العبادة والأماكن المقدسة والمصلين الأبرياء.

وفي ما يلي نص إعلان المبادرة:

أمام ما نراه من استمرار الاعتداءات المتكررة على أماكن العبادة وعلى أرواح المصلين الآمنين في عدة أماكن من هذا العالم، وانطلاقاً من المسؤولية الإنسانية والأخلاقية المشتركة، فإننا ندعو نحن مجموعة القيادات الدينية والعلماء والمفكرين إلى التشبيك مع الجهود التي تبذلها المؤسسات والأفراد لحثّ الناس جميعاً على رفض كل أشكال التطرف والكرهية والممارسات الأليمة بحق الروح الإيمانية والكرامة الإنسانية.

نحن ندرك أن خطاب الكراهية والاستقطاب الذي يثير الأحقاد ويبرّر سفك الدماء لا يزال يتصاعد، ويصاحبه لجوء البعض إلى إساءة استخدام الأديان والعقائد كذريعة للعنف والإقصاء والتمييز.<sup>(1)</sup>

إنّ هذه الاستهدافات المقيتة تشمل أيضاً المواقع التاريخية والأثرية والتراث المعماري، بما في ذلك المتاحف والمكتبات والمخطوطات، مما يعدّ محوً للذاكرة

\* (الخميس ٤/١١/٢٠٢١).

التي تصون حضارات الشعوب وجوهرها القيمي من الإندثار، واقتلاعاً مُسْتَكْرَماً لماضيها المحسوس وتجاربها الإبداعية. ويتجاوز ذلك إلى إبادة البشر وتدمير الحجر والعمران؛ ما يعني أن الخوف يقبع في كل عملية من عمليات الاعتداء ومحو الذاكرة على هذه الشاكلة، بل الخوف من تمثّلات الذاكرة في الضمير والمشاعر والأفكار والمواقف، وتجسّد مظاهرها في الكتب والممتلكات الثقافية والفكرية والمؤثرات النابعة من الأخلاق.

لا شك أن الاعتداء على دور العبادة وقدسيتها في الوقت الذي يؤدي المصلون الصلاة والشعائر الدينية في رحابها، هو ذروة هذه الأعمال الوحشية. وهذا يدعونا إلى التساؤل المشروع: ألم يحن الوقت للنظر في مسألة حرية العبادة كجزء لا يتجزأ من الحق في الحياة والنظر في قيمة التراث الإنساني فيما يخص الثقافة والهوية؟

وفقاً للأمم المتحدة، فقد «كانت الانتهاكات الجسيمة للحقوق الثقافية من بين الأسباب الجذرية للنزاعات؛ ويمكن أن يؤدي الفشل في معالجة التمييز المنهج وأوجه التفاوت وعدم المساواة في التمتع بهذه الحقوق إلى تقويض التعافي من النزاعات».<sup>(٢)</sup>

يُضاف إلى ذلك، أن «النداء العالمي للعمل من أجل العبادة الآمنة لتعزيز التضامن وحماية المواقع الدينية والمصلين» يحتفي بإضفاء الأهمية العالمية على المواقع الدينية بوصفها رموزاً لإنسانيتنا وتاريخنا والتقاليد المشتركة للشعوب جميعاً في أرجاء العالم.<sup>(٣)</sup>

ليس جديداً أنه في تاريخ الحروب والصراعات استُهدِفَت مواقع التراث الثقافي ومكتبات دول «المشرق» والمواقع والمراكز الأخرى الممثلة للحضارة العربية والإسلامية، فقد شهد هذا التاريخ تدمير مكتبة دار الحكمة في بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، وكانت أكبر مكتبة على وجه الأرض في زمانها.

إننا نؤكد في هذا المجال دعوتنا إلى أن تكون السياسات وخاصة لفترة ما بعد الحرب والنزاعات المستشرية، سياسات إنسانية شاملة، تستند إلى المنطق والحس



العالي بالمسؤولية بعيداً عن السياسات المرتجلة وما تؤدي إليه من انقسام وتفتت يجعلان الانتماءات الضيقة تسود المشهد على حساب التضامن والحقوق الإنسانية. فلا يمكننا الاستمرار في تجاهل أن الحقائق الوجودية تشملنا وتعيننا جميعاً.

وعلى الرغم من الخصائص الثقافية والوطنية المرتبطة بالتراث، فإن المعنى الأعمق للتراث يكمن في القدرة على اكتشاف مساهماته المختلفة في تكوين حضارة إنسانية مشتركة.

دعونا إذاً نحترم تاريخنا وتراثنا من خلال العمل على تعزيز الاحترام المتبادل مع الآخرين، وأن نتذكر أنه، ومن دون التاريخ، ليس بمقدورنا أن نصمد للمستقبل؛ فالتاريخ والتراث ما هما إلا ركيزة للحاضر الذي نسعى إلى بنائه؛ ليغدو الحاضر الذي يليق به الازدهار والرخاء والتميز والإبداع الفكري الإنساني.

ينبغي علينا التأكيد بأن الإنسانية لن تستطيع مواجهة التحديات التي تجتاح كوكبنا دون التعاون والتضامن، وهذا يستدعي بدوره تعزيز مفهوم القيم الإنسانية المشتركة. مع الإشارة إلى أنه على النقيض مما قد يعتقد البعض، فإن مفهوم «القيم الإنسانية المشتركة»، بالمعنى المعمق له لا «يُضعف الإحساس بالخصوصية المتأصلة في المعتقدات الدينية»، ولا «يتعارض مع الهويات الثقافية أو القومية». إن الدول والشعوب، وبصرف النظر عن اختلافاتهم في المعتقدات والثقافات، فإنهم يتشاطرون إنسانية واحدة موحدة لا مُفرقة.

كما تُستحسن الإشارة هنا إلى أن من أهم الجوامع التي نادى بها الإسلام هي مكارم الأخلاق، التي شكلت المهمة الأساسية التي جاء النبي محمد ﷺ ليتممها. وفي القرآن الكريم تأكيد على وحدة القيم الأخلاقية بين الناس، وتحريم الإساءة للنفس: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. (سورة المائدة: ٣٢)

ختاماً، لا بد من الدعوة إلى حوار يُعزّز الوعي الفكري والأخوة الإنسانية؛ ويتلاقى فيه الجميع على نتائج تحيي وتقوي التعاون الإنساني، في سبيل وعي عالمي يمكنه التصدي بالوسائل المشروعة لحماية دور العبادة والأماكن المقدسة والمصلين الأبرياء، والله الموفق وهو خير مُعين.

## الموقعون:

- الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي ورئيس مجلس أمناء المعهد الملكي للدراسات الدينية (الأردن)
- الأستاذ الدكتور علي محي الدين القرعة داغي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين (قطر)
- الأستاذ أرشد هورمزلو، مستشار الرئيس التركي السابق (تركيا)
- الأستاذ خليل خليل، عضو مجلس الشورى السابق (المملكة العربية السعودية)
- الدكتور محمد أبو حمور، أمين عام منتدى الفكر العربي (الأردن)
- الدكتور أحمد الخليلي، مدير مؤسسة دار الحديث الحسنية (المملكة المغربية)
- الدكتورة نائلة طيارة، رئيسة مؤسسة أديان (لبنان)
- الأستاذ الدكتور يوسف كلام، الأستاذ في مؤسسة دار الحديث الحسنية (المملكة المغربية)
- الأب الدكتور متري الراهب، رئيس جامعة دار الكلمة (فلسطين)
- السيد كريستوفام بواركي، سينا تور (البرازيل)
- الأستاذ الدكتور حسن محمد وجيه حسن، جامعة الأزهر (جمهورية مصر العربية)
- الأمام يحيى بالافيشيني، رئيس اتحاد الهيئات الإسلامية الإيطالية (إيطاليا)
- الدكتور عدنان مقراني، زميل رئيس في مؤسسة العلوم الدينية (إيطاليا)
- الإمام عز الدين الزير، أمام فلورنسا ورئيس مدرسة فلورنسا لحوار الأديان والثقافات (إيطاليا)
- الدكتور باولو ماجيوليني، زميل باحث في الجامعة الكاثوليكية في ميلان (إيطاليا)
- الدكتور مارتينو ديز، المدير العلمي لمؤسسة الواحة الدولية (إيطاليا)
- الدكتور إيكاردت سونتاغ، باحث رئيسي في جامعة هومبولدت، برلين (ألمانيا)
- الدكتور ألبرتو ميلوني، رئيس كرسي اليونسكو للتعددية الدينية والسلام، جامعة بولونيا (إيطاليا)
- الدكتور غابرييل سعيد رينولدز، أستاذ الدراسات الإسلامية واللاهوت في جامعة نوتردام (الولايات المتحدة الأمريكية)
- الأستاذ الدكتور هائل الداود، وزير الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية الأسبق (الأردن)
- الأستاذ الدكتور وائل عربيات، وزير الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية الأسبق (الأردن)
- الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل، وزير الأوقاف والمقدسات والشؤون الإسلامية الأسبق (الأردن)
- الشيخ عبد الحافظ الربطة، قاضي القضاة (الأردن)
- الشيخ القاضي كمال الصمادي، رئيس المحكمة الشرعية العليا (الأردن)
- الشيخ الدكتور عصام عربيات، رئيس المحاكم العليا الشرعية سابقا (الأردن)

الدكتورة رينيه حتر، مدير المعهد الملكي للدراسات الدينية (الأردن)  
الشيخ عزام الخطيب، مدير الأوقاف الإسلامية في القدس  
الشيخ الدكتور عبد الله الصيفي، رئيس رابطة علماء الأردن (الأردن)  
السيد عبد الله كنعان، أمين عام اللجنة الملكية لشؤون القدس (الأردن)  
المطران عطا الله حنا، رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس، بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس  
المطران جوزيف جبارة، رئيس أساقفة بترافيلادلفيا وشرق الأردن للروم الكاثوليك (الأردن)  
الأرشمندريت أفيديس ابيراجيان، نائب بطريرك الأرمن الأرثوذكس (الأردن)  
المطران الدكتور قيس صادق، مطران أرضروم والمساعد البطريركي الأنطاكي، مؤسس ورئيس  
مركز الدراسات المسكونية (الأردن)  
المطران سليم الصايغ، مطران اللاتين الأسبق (الأردن)  
الأب الدكتور جمال دعبس، النائب البطريركي لللاتين (الأردن)  
الأب الدكتور رفعت بدر، مدير المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام (الأردن)  
الدكتور محمد أحمد الغول، مفتي الدفاع المدني الأسبق (الأردن)  
الأستاذ الدكتور عبد الله الكيلاني، أستاذ الفقه وأصوله، الجامعة الأردنية (الأردن)  
الأستاذ الدكتور أحمد القرالة، عميد كلية الشريعة، جامعة آل البيت (الأردن)  
الأستاذ الدكتور آدم نوح القضاة، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك (الأردن)  
الدكتور عامر الحايقي، أستاذ الأديان المقارنة، جامعة آل البيت (الأردن)  
الدكتور محمد عليان العمري، نائب عميد كلية الشريعة، جامعة آل البيت (الأردن)  
الدكتور عروة ناصر الدويري، رئيس قسم الفقه وأصوله، جامعة آل البيت (الأردن)  
الدكتور أشرف العمري، القاضي في المحكمة العليا الشرعية (الأردن)

## الهوامش

- (١) إعلان نتائج المؤتمر العالمي: «المضي قدماً نحو قدر أكبر من التقارب الروحي في جميع أنحاء العالم لدعم المساواة في حقوق المواطنة» (جنيف، ٢٠١٨)
- (٢) الأمم المتحدة. مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان. (٢٠٠٨). أسئلة وأجوبة حول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (رقم ٢٣). مكتب مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان.
- (3) <https://www.unaoc.org/2020/10/global-call-to-action-for-safe-worship/>

### بيان منتدى الفكر العربي

### بمناسبة المولد النبوي الشريف

من أبرز مظاهر التكريم الإلهي للبشرية أن جعل الله سبحانه وتعالى الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) فلا يتقاتلوا ولا يتناحروا إن أعطاهم حرية الاختيار وليس الإكراه، واعتبر جلت قدرته أن التدبُّن هو أرقى أنواع الاختيار، كما جعل ميزان التفاضل بينهم هو التقوى، وهي مخافة الله والامتناع عن الظلم، وكذا مقدار ما يقدمه المرء من خدمة للصالح العام.

لقد شاءت إرادته، عزَّ وجلَّ، أن لا يكون البشر على ملة واحدة، ولا رأي واحد، ولا مذهب واحد، وجعل اختلاف الألوان والألسن آيات للعالمين ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) وقيل خلقهم للاختلاف، وقيل خلقهم للرحمة والرحمة فرع المحبة ومقتضاها.

وعلى ذلك فما يشهده العالم من تقاتل وتفجير وتدمير هو مناقض ومخالف للغاية من الخلق وهي الرحمة والمحبة، ومخالف أيضاً للغاية من إرسال الرُّسل عامة ورسولنا المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهي تحقيق العدالة الإنسانية والرحمة العالمية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

كما أن الدعوة إلى التقاتل والتفجير والتدمير ومصادرة الرأي الآخر تتنافى بشكل كلي مع السنن الكونية والقواعد الربانية، التي شاءت إرادته سبحانه وتعالى فيها أن يكون الاختلاف أمراً كونياً ولازماً من لوازم الوجود، ولو غاب هذا الاختلاف لما عاد للحياة لون ولا طعم، ولنفقدت الغاية من العمل وبذل الجهد، وتحرى الحقيقة

والاستكشاف الأمثل للموارد الكونية وتوظيفها بما يحقق أهدافها؛ ولعماد الغياب بهذه الصورة على أصل الوجود بالنقض مما يتنافى مع مقاصد الشريعة وغائيّة التشريع ومآلاته، وتحقيق مفهوم الاستخلاف في الأرض وعمارتها لا تدميرها وتبديد ثرواتها.

إنّ ما شهدناه في الآونة الأخيرة من أحداث تستهدف أماكن العبادة مما هو مرفوض على كل الصعد والمستويات، فيه مناقضة واضحة وصريحة لأبسط المبادئ الإسلامية الخلقية والإنسانية التي تنهى عن الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل، ومن هنا فإن ما يحتمه علينا ضميرنا الفكري وقيمنا العربية الإسلامية ومسؤوليتنا الانسانية أن نؤكد الدعوة إلى المشترك الإنساني للحوار، ولا بدّ أيضاً من الدعوة إلى تنزيه المشترك الإيماني بين المذاهب والأديان التي يمكن اعتماد الحوار الهادف والبناء فيما بينها لمحاربة الفكر المتطرف.

إنّ منتدى الفكر العربي يدعو قيادات الأمة وعلمائها ومفكرّيها ومؤسّساتها والمؤمنين والعقلاء جميعاً؛ إلى العمل ما وسعهم الجهد على القيام بواجب التعاضد والوقوف معاً لوقف النزيف الدموي في العالم أجمع، ولدى الشعوب الأكثر استضعافاً في الأرض، وأن تكون خطط التعايف الفكري في العالم على درجة التعايف الصحي والاجتماعي والتموي، وأن نقف وقفة أخوية إنسانية إيمانية من أجل ذلك، والعمل على بناء يقظة فكرية تُعيد العافية لوحدة الأمة وكيانها في الفضاء الحضاري والإنساني العام.

وإنّنا بهذه المناسبة الكريمة مناسبة المولد النبوي الشريف لنسأل الله عزّ وجلّ أن يمدّ المخلصين فكراً وقولاً وعملاً بالعون في السعي لحقن الدماء، وأن يجنب العرب والمسلمين والإنسانية جمعاء كل مكروه وينعم عليها برفاهٍ روحي ورخاء مادي لتحقيق الأمن والكرامة الإنسانية في هذا العالم.

عمّان في ١٢ ربيع الأول ١٤٤٣ هجرية

الموافق ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٢١ ميلادية

## دعوة للمشاركة بالدراسات والبحوث المحكمة في مجلة «المنتدى»

### محور العدد القادم:

• دراسات في النهضة العربية الجديدة؛ بمناسبة مرور أربعين عاماً  
على تأسيس منتدى الفكر العربي (١٩٨١-٢٠٢١م)

تدعو المجلة الباحثين والكتاب في الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز الدراسات والبحوث والمعنيين للمشاركة في الكتابة في المحور المشار إليه وما يتفرع عنه من قضايا، وفقاً للشروط الآتية:

- أن لا تكون الدراسة أو البحث منشورة/ منشوراً من قبل في أي من المنشورات الورقية أو عبر الوسائل الإلكترونية، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره قبل تسلّم رده هيئة تحرير مجلة «المنتدى» بقبول النشر أو الاعتذار.
- أن تتسم الدراسة/ البحث بالمنهجية العلمية والموضوعية، والجدة في الأفكار والطرح، ويُراعى التوثيق وفق قواعد البحث العلمي،
- الحرص على سلامة اللغة العربية نحواً وصرفاً والأسلوب الواضح. وعند إيراد نصوص بلغات أجنبية ضمن الدراسة/ البحث ترجمتها نصّاً.
- أن لا تزيد عدد صفحات الدراسة/ البحث عن (٣٠) صفحة مطبوعة على الكمبيوتر بحرف *Simplified Arabic 16*، وتُدرج الهوامش وقائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة/ البحث بحرف *Simplified Arabic 14*.
- يُدرج التوثيق في الهامش ويُعطى أرقاماً متسلسلة حتى نهاية الدراسة/ البحث، ويكون توثيق المصادر والمراجع بالشكل الآتي: (المؤلف/ الكاتب، عنوان الكتاب/ عنوان الدراسة أو المقالة، الناشر/ اسم الدورية ورقم العدد وتاريخه، مكان النشر/ الطبع، السنة (للكتب)، رقم الصفحة. وعند تكرار استعمال المصدر أو المرجع يكتب: اسم المؤلف، الكتاب/ عنوان الدراسة أو المقالة، اسم الدورية (ويُشار إليه بعبارة المصدر السابق نفسه، أو مصدر سبقت الإشارة إليه).

- تُرسل الدراسة/ البحث إلى البريد الإلكتروني لمدير تحرير المجلة ([kayed@atf.org.jo](mailto:kayed@atf.org.jo))، أو تُسلم على CD لمدير التحرير في مقرّ المنتدى، في موعد أقصاه شهر واحد قبل صدور العدد الذي يتضمّن المحور المتعلق بموضوع الدراسة/ البحث، مع السيرة الذاتية للكاتب وصورة شخصية حديثة.
- تحوّل الدراسات والبحوث الواردة وفق الإجراءات التحكيمية المتبعة إلى أستاذين متخصصين في موضوعها، وتؤخذ النتيجة من حاصل مجموع العلامتين مقسومة على اثنين، ويبلغ الكاتب بالقبول أو الاعتذار.
- لا تنشر المجلة إلا الدراسات والبحوث التي تتجح بالتحكيم، وهيئة التحرير غير ملزمة بإعادة ما لم يقبل نشره أو إبداء أسباب عدم القبول.
- لهيئة التحرير أن تستكتب أو تكلف باحثين وكتّاباً للكتابة في موضوعات معيّنة، وتعامل دراساتهم وبحوثهم وفق هذه الشروط ودون استثناء أيّ منها.
- تدفع المجلة مكافآت رمزية لأصحاب الدراسات والبحوث المقبولة للنشر.

# المنتدى

## قسمة اشتراك في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في: مجلة المنتدى

مجلة المنتدى: الإصدارات السنوية (الكتب)

الاسم: .....

العنوان: .....

قيمة الاشتراك\*: طريقة الدفع: نقداً .....

### حوالة بنكية (صافي القيمة): بنك الاتحاد/الجيبية

رقم الحساب/ بالدينار: IBAN JO 46UBSI1090000160101556615101

رقم الحساب/ بالدولار: IBAN JO 05UBSI1090000160201556620102

سويفت كود: SWIFT: UBSIJOAXXXX

التوقيع: .....

التاريخ: .....

\* تملأ هذه القسمة وترسل مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي:

منتدى الفكر العربي: ص. ب ١٥٤١ عمّان ١١٩٤١ الأردنّ

المجلة + الكتب	المجلة	
للأفراد: (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات: (١٠٠) مئة دينار أردني	للأفراد: (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات: (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	داخل الأردن
للأفراد: (١٥٠) مئة وخمسين دولاراً أمريكياً للمؤسسات: (٣٠٠) ثلاثمائة دولار أمريكي	للأفراد: (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات: (١٠٠) مئة دولار أمريكي	خارج الأردن